مايكل كونللي

MICHAEL CONNELLY

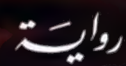


إجازة في بركة دماء

ECHO PARK

رواية







الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إجازة في بركة دماء

ECHO PARK

مكتبة | 792
سُر مَن قرأ

إهداء لـ..

صاحب الرسالة

من أحسن الرمي وأصاب



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

ECHO PARK

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

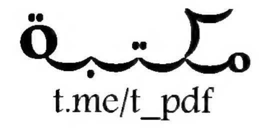
Grand Central Publishing, Hachette Book Group

عبر Little, Brown and Company

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى: آب/أغسطس 2020 م - 1441 هـ

ردمك 978-614-01-3089-0



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

www.aspbooks.com

asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

إجازة في بركة دماء

ECHO PARK

رواية

مايكل كونللي

MICHAEL CONNELLY

ترجمة ماجد حامد

مكتبة | 792
سُر مَن قرأ

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

هـــاي تـــاور

1993

وجـدوا السـيّارة التـي كانوا يبحثـون عنها. بالرغم من أنّ لوحتها لم تكن موجـودة، إلا أنّ هـاري بـوش تعـرّف إليهـا. إنها هوندا أكـورد من طراز العام 1982، أبهتـت أشـعةُ الشـمس طلاءهـا العنّابـي، وُضع عليهـا ملصق ترويجي أخضـر لحملـة كلينتـون الانتخابيـة 1992، والـذي أصبح باهتاً بـدوره. رُكنت السـيارة فـي مـرأب ضيـق لا يتسـع إلّا لسـيارة واحـدة، وهـذا مـا دفـع بوش للتفكير: كيف اسـتطاع السـائق الخروج منها. أدرك أنّ عليه الطلب من أفراد الأدلة الجنائية الدقة في رفع البصمات عن هيكل السيارة والجدران الداخلية للمرأب، وعلم أيضاً أنّ أفراد الأدلة الجنائي سينزعجون من هكذا طلب، لكنه سيقلق ما لم يطلب إليهم ذلك.

للمـرأب بوابـة سـحب بمقبـض مصنوع مـن الألمنيوم، وهـذا النوع من المقابض يصعب بقاء البصمات عليه، لكن بوش قرر الطلب إلى أفراد الأدلة الجنائية رفع البصمات عنه.

سألَ عنصري الدورية اللذين انتهيا للتو من تثبيت الشريط الأصفر حول بداية الطريق المسـدود والذي تحده مرائب فردية على طرفي الشـارع، وعند مدخل مجمع شقق هاي تاو: من وجدها.

أجاب العنصر الأكبر: «صاحب الشقة. فالمرأب يعود للشقة التي أخلاها المسـتأجر، لـذا يفتـرض بـه أن يكون فارغـاً. فتحه قبل يوميـن لتخزين بعض

الأثاث، والأشياء الأخرى، وعندها رأى السيارة، اعتقد أنها لشخص ما يزور مستأجراً آخر. لكن بعد مضي يومين، وعدم تحرك السيارة، بدأ بسؤال المستأجرين عنها، لم يتعرف أحد إلى السيارة أو إلى صاحبها، لذلك اتصل بنا معتقداً أنها مسروقة، لأنها لا تحمل لوحة».

هزّ بوش رأسه، واقترب من المرأب، وأخذ نفساً عميقاً.

اختفت ماري غيستو قبل عشرة أيام، لو كانت في صندوق السيارة كان سيشمّ رائحة، انضمّ إليه شريكه جيري إدغار.

سأله: «هل من شيء؟».

«لا أعتقد ذلك».

«جيّد».

«جيّد».

«لا أحب القضايا المتعلقة بصناديق السيارات».

«في القضايا المتعلقة بصناديق السيارات نحصل عادة على ضحية، فننطلق منها للبدء بالتحقيق».

تفحص بوش السيارة باحثاً عن أيّ شيء قد يساعدهم، عندما لم يجد شيئاً، أخرج زوجاً من القفازات المطاطية من جيب معطفه، ونفخهما كالبالون ليمدّد المطاط، الأمر الذي يُسهّل عليه إدخال يديه فيهما. رفع يديه كما لو كان جراحاً يستعد لدخول غرفة العمليات، وتحرّك بشكل جانبي كي يتمكن من الدخول إلى المرأب، والوصول إلى باب السائق من دون أن يلمس شيئاً.

كان المرأب مظلماً. أبعد بعض شِباك العناكب من أمامه، وخرج من المرأب، وسأل أحد عناصر الدورية إن كان يستطيع استخدام المصباح الذي يحمله في حزام معداته. عندما عاد إلى المرأب، أضاء المصباح، ووجّهه نحو نافذة السيارة. في البدء تفقّد المقعد الخلفي، فوجد حذاءَ فارسٍ وخوذته، وإلى جانبهما كيس بقالة عليه شعار مايفير سوبرماركت. لم يستطع معرفة ما

في داخل الكيس، لكنه أدرك أنه سيفتح مجالاً جديداً في التحقيق لم يفكروا فيه من قبل.

تقدم ليتفحص مقعد الراكب الأمامي، فلاحظ وجودَ كدسة من الملابس المطوية بأناقة موضوعة فوق حذاءٍ ركض. استطاع تمييز بنطال جينز، وقميصاً ذا كمين طويلين، تلك الملابس التي شوهدت فيها ماري غيستو آخر مرة عندما كانت متجهة إلى بيتشوود كانيون لامتطاء الخيل. رأى فوق القميص جواربَ مطويّة، وسروالاً داخلياً، وحمّالة ثديين. شعر بوش بشيء في صدره، فقد اعتبر أن الملابس دليلٌ واضح على موت ماري غيستو. أدرك ذلك في أعماقه، كما أدركه الجميع، بمن فيهم والدا ماري اللذان ظهرا على التلفاز، وناشدا كي تعود ابنتهما سالمةً.

ملابسها هي ما لفت نظر بوش، أو بالأحرى الطريقة الأنيقة التي طويت فيها. هل هي من طوَتها؟ أم القاتل؟ كانت الأسئلة الصغيرة هي ما تزعجه، وترهبه.

بعد أن تفقد سائر أرجاء السيارة عبر الزجاج، خرج بوش من المرأب بحذر.

سأله إدغار مجدداً: «هل وجدت شيئاً؟».

«وجدت ملابسها، وعدّة ركوب الخيل، وبعض البقالة. هناك متجر مايفير في نهاية بيتشوود، لا بد أنها توقفت هناك في طريقها نحو الإسطبل».

هزّ إدغار رأسه. هذا دليلٌ جديد علينا تتبّعه، ومكانٌ لنبحث فيه عن شهود.

عبر بوش أسفل البوابة المرفوعة، ونظر إلى الأعلى نحو شقق مجمع هاي تاور، إنه بناء مميز في هوليوود. تكتُّل من الشقق المبنية التي تبدو كما لو أنها تلال خلف هوليوود. صُمّمت هذه الشقق على النمط التبسيطي الحديث، وكلّها متصلة بالمركز الذي هو عبارة عن هيكل رفيع يحتوي المصعد، سُمي الشارع والمجمع باسم هاي تاور. عاش بوش في هذا الحي لفترة عندما

كان صغيراً، ومن منزله في شارع كامروز القريب، كان بإمكانه سماع فرَق الأوركسترا تتمرن في المسرح في أيام الصيف. وعندما كان يقف على السطح، كان يستطيع رؤية الألعاب النارية التي تُطلق في الرابع من تموز، وفي نهاية الموسم.

في الليل، كان يرى الأضواء المنبعثة من نوافذ مجمع هاي تاور، والمصعد يتحرك نحو الأعلى ليوصل شخصاً آخر إلى منزله. في طفولته، ظن أنّ أقصى درجات الرفاهية هي أن يقلك المصعد إلى المنزل.

سأل بوش أحد عنصري الدورية الذي كان لديه إشارتان على كمّيه: «أين المدير؟».

«لقد صعد. وقال إن أردنا منه شيئاً يمكننا استعمال المصعد إلى منزله، إنه المنزل الأول قبالة الممشى».

«حسناً سنصعد. أما أنتما فانتظرا الأدلة الجنائية، لا تدعا رجال قطر السيارات يقتربون من السيارة قبل أن تصل الأدلة الجنائية».

«لك ذلك».

كان المصعد في البرج عبارة عن مكعب صغير اهتزّ بتأثير وزنيهما عندما فتح إدغار الباب ودخلا. بعدها أُغلق الباب بشكل تلقائي، وتوجب عليهما إغلاق باب سلامة داخلي. كان هناك زرّين فقط، 1 و2. ضغط بوش على الزر رقم 2 فتحرك المصعد إلى الأعلى. المصعد صغيرٌ، ولا يتّسع إلا لأربعة أشخاص على الأكثر، سيكونون قريبين بعضهم من بعض بشكل يمكّنهم من شم أنفاس بعضهم.

قال إدغار: «اسمع، أنا متأكد أنّ أحداً لا يمتلك بيانو هنا».

قال بوش: «استنتاج رائع يا واتسون».

عندما وصلا الطابق الثاني، فتحا الباب، وخرجا إلى ممشى إسمنتي يصل بين البرج والشقق المنفصلة. استدار بوش، ونظر إلى ما بعد البرج، ليشاهد

منظراً يشمل معظم هوليوود، وشعر عندها بالنسيم الجبلي. نظر إلى الأعلى، ورأى مروحية حمراء الذيل تحوم فوق البرج كما لو أنها تراقبهما.

قال إدغار: «لقد وصلنا».

التفت بوش، ليرى صديقه يشير إلى درجات تؤدي إلى إحدى الشقق. كان هناك لافتة أسفل الجرس كُتب عليها: المدير. فُتح الباب قبل أن يصلا إليه، وخرج منه رجل نحيف القدّ، أبيض اللحية، قدّم نفسه على أنه ميلانو كاي، مدير مجمع الشقق.

بعد أن عرضا عليه شارتيهما، سأله إدغار وبوش إذا كان بإمكانهما رؤية الشقة الشاغرة التي خُصص لها المرأب الذي وجدت فيه سيارة الهوندا، فقادهما إليها.

سلكوا درباً يؤدي إلى باب شقة أخرى، أدخل كاي مفتاحاً في قفل الشقة.

قال إدغار: «أنا أعرف هذا المكان، لقد ظهر هذا المجمع والمصعد في الأفلام».

عقّب كاي: «هذا صحيح. لقد صوروا طيلة سنوات».

فكّر أن مكاناً كهذا لا يمكنه إلّا أن يلفت انتباه الصناعة المحلية.

فتح كاي الباب، وأشار إلى بوش وإدغار كي يدخلا أولاً. بدت الشقة الصغيرة فارغة؛ إنها تتألف من غرفة معيشة، ومطبخ فيه مكان لتناول الطعام، وغرفة نوم ادمج فيها حمامها الخاص، لم تتجاوز مساحتها أربعمئة قدمٍ مربع، سرعان ما أدرك بوش أن هذه الشقة كانت ستبدو أصغر لو أنها مؤثثة.

تميزت هذه الشقة الصغيرة بإطلالتها، فمن خلف أحد جدرانها الزجاجية المائلة يمكن للمرء أن يرى المشهد عينه لهوليوود الذي قد يراه من الممشى المؤدي إلى البرج، هناك باب زجاجي يؤدي إلى شرفة خلف الحائط الزجاجي. خرج بوش ليرى إن كانت الإطلالة أفضل من الخارج، وبالفعل

رأى أبراج مركز المدينة عبر الضباب الدخاني، وعلم أن المنظر سيكون أجمل في الليل.

سأل المدير: «منذ متى والشقة خالية؟».

أجابه كاي: «منذ خمسة أسابيع».

«لم ألاحظ وجود لافتة تدلّ أن الشقة معروضة للإيجار».

نظر بوش إلى الطريق المسدود في الأسفل، ورأى عنصري الدورية ينتظران الأدلة الجنائية، وقاطرة السيارات التي تعود لمرأب الشرطة. اتكأ عنصرا الشرطة على سيارتهما، وأولى كل منهما ظهره للآخر، لم يبدُ أن هناك انسجاماً بينهما.

قال كاي: «لم يسبق لي أن وضعت لافتة، فما أن نعلن أن لدينا شقة شاغرة، حتى يقبل عددٌ كبير من الأشخاص لاستئجارها، فلا مثيل لهذا البناء في هوليوود كلها. أضف إلى ذلك أنني أعمل على تجهيزها، وطلائها، والقيام ببعض الإصلاحات. لست على عجلة من أمري.

سأله إدغار: «كم يبلغ بدل إيجار هذه الشقة؟».

«ألف دولارٍ في الشهر».

أطلق إدغار صفارةً عاليةً، فالإيجار مرتفع وحتى بوش لا يستطيع تحمله، لكن إطلالتها تشير إلى أنها تستحق المبلغ الذي قد يُدفع مقابل استئجارها.

سأله ليعود إلى الموضوع الرئيسي: «من يعلم أن المرأب فارغ؟».

«عدد قليل من الأشخاص، بالتأكيد السكان، والأشخاص الذين سبق لهم أن أبدوا اهتماماً باستئجارها، هناك مستأجر يتابع الأمور في غيابي عندما أكون في إجازة، هو الآخر عرَض الشقة للإيجار».

«لقد ترك المرأب من دون قفل».

«لأنه ما من شيء في المرأب يمكن سرقته، وللمستأجر عادة أن يختار تركيب قفل أم لا، مع أنني عادة أنصح المستأجرين بتركيب قفل».

«هل تحتفظ بسجلاتٍ عن الأشخاص الذين تريهم الشقة؟».

«لا. لكن قد أكون احتفظت ببعض الأرقام التي سأتصل بها لاحقاً، لأنه ما من جدوى بفتح سجل لأي شخص ينوي استئجارها، وكما ترى، لم أقم بتأجيرها لأحد».

هزّ بوش رأسه. من الصعب تتبّع هذا المسار في التحقيق. فكثيرون يعلمون أن المرأب غير مقفل، وفارغ، ومتاح.

سأله: «ماذا عن المستأجر السابق؟ ما الذي حصل له؟».

أجاب كاي: «في الواقع، كانت امرأةٌ. عاشت هنا لخمس سنوات، وسعت وراء التمثيل، لكنها استسلمت في النهاية، وعادت إلى ديارها».

«النجاح في هذه المدينة صعب. إلى أين ذهبت؟».

«لقد أرسلتْ أغراضها إلى أوستن في تكساس».

هزّ بوش رأسه.

«هل أقامت في الشقة بمفردها؟».

«كان حبيبها يزورها ويبقى لفترات طويلة، أظن أن علاقتهما انتهت قبل مغادرتها».

«نريد عنوانها في تكساس».

هزّ كاي رأسه بالإيجاب، وقال: «أخبرني عنصرا الدورية أنّ ملكية السيارة تعود إلى فتاة مفقودة».

وضّح بوش: «فتاة شابة».

مدّ يده إلى جيب داخلي في معطفه، وأخرج صورة لماري غيستو، وأراها لكاي، وسأله إن تعرف إليها، وإن كانت أحد الأشخاص الذين سعوا لاستئجار الشقة. لكنّه نفى رؤيته لها.

فسأله إدغار: «ولا حتى من التلفاز؟ إنها مفقودة منذ عشرة أيام، وعُرضت صورها في نشرات الأخبار».

قال كاي: «لا أملك تلفازاً أيها المحقق!».

فكّر بوش، لا يمتلك تلفازاً، فلا بدّ أنه مفكر حرّ في هذه المدينة.

فناور إدغار بقوله: «كذلك ظهرت صورُها في الصحف».

قال كاي: «أقرأ الصحف من وقت إلى آخر. إنّها في سلة المهملات في الأسفل. عادة ما أقرأها بعد عدة أيام من إصدارها، لكنني لم أقرأ أي مقال عنها».

قال بوش: «لقد فُقدت قبل عشرة أيام، يوم الخميس في التاسع من هذا الشهر. هل تتذكر حصولَ شيء في ذلك اليوم؟ أيّ شيء غريب هنا».

هزّ كاي رأسه نافياً.

«لم أكن هنا. كنت في عطلة في إيطاليا».

ابتسم بوش: «أحبّ إيطاليا. إلى أين ذهبت؟».

أشرق وجه كاي وقال: «ذهبت إلى بحيرة كومو، ومن هناك ذهبت إلى قرية صغيرة على سفح تلة تدعى أسولو. هناك عاش روبيرت براونينغ[1]».

هزّ بوش رأسه كما لو أنه يعرف هذه الأماكن، ويعرف من هو روبيرت براونينغ.

قال إدغار: «لقد وصلَنا زوارٌ».

تتبع بوش نظرات زميله إلى نهاية الطريق المسدود. فقد توقفت سيارةٌ تابعة لإحدى قنوات التلفزة بجانب الشريط الأصفر، على سطحها العلوي هوائيّ، ومطبوع عليها رقم 9 بحجم كبير. مشى عنصرا الدورية تجاهها. نظر هاري من جديد إلى مدير مجمع الشقق.

«سنحتاج إلى التحدث أكثر في المستقبل، وإذا أمكنك ابحث عن الأرقام التي بحوزتك لكل من اتصل أو أتى ليرى الشقة. كذلك علينا التحدث إلى الشخص الذي تولّى الأمور في غيابك عندما كنت في إيطاليا، فنحن بحاجة

---

(1) شاعر وكاتب مسرحي إنكليزي من أشهر شعراء العصر الفيكتوري.

إلى اسم وعنوان المستأجرة السابقة التي عادت إلى تكساس».

«لا مشكلة في ذلك».

«وسنتحدث إلى باقي المستأجرين لنعرف إن رأى أحدهم مَن ركن السيارة في المرأب، سنحاول ألا نكون مزعجين».

«لا مشكلة في أيٍّ من هذا، وسأرى ما يمكنني الوصول إليه من أرقام».

غادرا الشقة نحو المصعد برفقة كاي. ودّعا المدير، ونزلا. مرة أخرى بدأ المكعب الحديدي بالاهتزاز قبل أن تستقر حركته.

قال إدغار: «لم أكن أعلم أنك تحب إيطاليا يا هاري».

«لم أحبها أبداً».

هزّ إدغار رأسه عندما علم بأنّ هذا تكتيك لدفع كاي للتكلم، والحصول على معلومات أكثر بشأن حجة الغياب.

سأله: «هل تشك فيه؟».

«لا، ولكنني أريد التأكد من كلّ شيء. أضف إلى ذلك أنه لو كان هو الجاني، ما من سبب يحمله على ركن السيارة في المرأب؟ لماذا سيفعل هذا؟».

«نعم. لكنه قد يكون ذكياً بما فيه الكفاية ليجعلنا نظن بأنه أذكى من أن يقوم بهذا. أتفهم قصدي؟ ربما يتحايل علينا يا هاري. ربما أتت الفتاة لرؤية الشقة، وعندها حصل شيءٌ ما. ربما أخفى الجثة، ولم يحرك السيارة لخوفه من أن توقفه الشرطة. فانتظر عشرة أيام، ثم أبلغ عن الموضوع».

«إذن يجب أن نتحقق من حجة غيابه في إيطاليا يا واتسون».

«لماذا أنا واتسون؟ لماذا لا يمكنني أن أكون هولمز؟».

«لأن واتسون هو من يتحدث كثيراً، لكن إن كنت ترغب، فسأبدأ بدعوتك هولمز، قد يكون هذا أفضل».

«ما الذي يزعجك يا هاري؟».

فكّر بوش في الملابس المطوية بشكل أنيق على المقعد الأمامي للسيارة، وشـعر بذلك الضغط داخله من جديد، كما لو أنّ جسـده ملفوفٌ بسـلك يُشـد من الخلف.

«ما يزعجني أنني أشعر بالسوء تجاه هذه القضية».

«أي نوع من الشعور السيئ؟».

«ذلك الشـعور الذي يخبرني أننا لن نتمكن من إيجادها، وإذا تمكنّا من إيجادها فلن نتمكن من اكتشافه».

«القاتل؟».

توقف المصعد، وتأرجح قبل أن يثبت في مكانه. فتح بوش الباب. وفي نهايـة النفـق القصيـر الـذي يؤدي إلى الطريـق المغلق والمرائب، رأى سـيدة تمسك ميكروفوناً، ورجلاً يحمل كاميرا بانتظارهما.

قال: «نعم.. القاتل».



القِسْمُ الأوّل

القاتل

1

رنّ الهاتف في الوقت الذي كان فيه هاري بوش وشـريكته، كيز رايدر، يجلسان في مكتبيهما في وحدة القضايا غير المحلولة والتي لا تزال مفتوحة، ينهيان الأعمال الورقية المتعلقة بقضية ماتريس. ففي اليوم السابق أمضيا ست ساعاتٍ فـي غرفـة مـع ماتريس، يناقشـان جريمـة مقتل بائعة الهـوى كاريس ويذرسبون في العام 1996. تطابق الحمض النووي الذي استخرج من السائل المنـوي الـذي كان موجـوداً فـي فم الضحيـة والذي خُزّن لعشـرة أعوام، مع الحمـض النـووي لماتريـس؛ كان دليلاً حاسـماً. حفظ ملـف حمضه النووي في قسم التحقيقات في العام 2002، بعد إدانته بالاغتصاب، ولم تُفتح قضية ويذرسبون إلا بعد أربع سنوات عند قدوم بوش ورايدر اللذين سحبا السائل المنوي وأرسلاه إلى مختبر الولاية؛ لتحليله في محاولة بائسة لمعرفة القاتل.

فُتحت القضية بسبب التحاليل المخبرية، ولكن بما أن كاريس ويذرسبون كانت تعمل بائعة هوى في الفترة التي قتلت فيها، لم تكن نتائج تحليل الحمض النووي دليلاً كافياً ضد المتّهم. يمكن أن يكون الحمض النووي لشخص آخر كان معها قبل أن يأتي القاتل، ويضربها على رأسها مرات عدة بقطعة خشبية.

لذلك لم تحسم نتائج التحاليل المخبرية الأمر، والآن يتوقف حلّ القضية علـى مـا سيجري في الغرفة، والمعلومات التـي يمكنهما الحصول عليها من

ماتريس. عند الساعة الثامنة صباحاً، أيقظاه في مركز التأهيل الذي وُضع فيه وفقاً لإطلاق السراح المشروط ليكمل محكوميته في قضية الاعتداء، واقتاداه إلى باركر سنتر. كانت الساعات الخمس الأولى من المقابلة مرهقة، ولكن في الساعة السادسة انهار واعترف بإقدامه على قتل ويذرسبون، وثلاث بائعات هوى أخريات قتلهن في جنوب فلوريدا قبل أن ينتقل إلى لوس أنجلوس.

عندما أُعلم بوش أن لديه اتصالاً على الخط الأول، اعتقد أن قسم ميامي يتصل به من جديد. لكن الأمر لم يكن كذلك.

بعد أن رفع السماعة قال: «بوش».

«فريدي أوليفاس من قسم الجرائم الشماليّ الشرقيّ. كنت أبحث عن ملفّ في الأرشيف، وأخبروني أنك من تسلّمه».

صمت بوش للحظات محاولاً نسيان قضية ماتريس، والتركيز في المكالمة. لم يكن بوش يعرف أوليفاس لكن الاسم بدا مألوفاً، لكنه لم يستطع تذكر أين سمعه. في ما يخص الملفات المستلمة، كانت مهمته مراجعة القضايا القديمة، والبحث في طرائق لاستخدام التطوّر الحاصل في الأدلّة الجنائية في حلّها. لطالما كان لديه، في أيّ وقت من الأوقات، هو ورايدر حوالى خمسة وعشرين ملفاً من الأرشيف.

قال بوش: «لقد سحبت كثيراً من الملفّات من الأرشيف، عن أيّ ملف تتحدث؟».

«غيستو. ماري غيستو. إنّها القضية رقم تسعة وثلاثين».

لم يُجب بوش على الفور. شعر بضيق في صدره. لطالما شعر بهذا الإحساس كلما فكّر بقضية غيستو، حتى بعد ثلاثة عشر عاماً، لطالما استحضر صورة ملابسها المطوية بأناقة في المقعد الأمامي لسيارتها.

«نعم. الملف لديّ. ما الجديد في القضية؟».

انتبه لرايدر وهي تترك عملها وتنظر إليه عندما أحست بالتغيرات في صوته. كانت طاولة كل منهما قبالة طاولة الآخر وهذا يعني أنهما يواجهان بعضهما خلال العمل.

قال أوليفاس: «إنه أمر حساس وسريّ، مرتبط بقضية حالية لديّ، ويريد المدعي العام مراجعة الملف. هل يمكنني المرور عليك وأخذه».

«هل لديك مشتبه به يا أوليفاس».

لم يجب أوليفاس في البداية، لكن بوش سأله سؤالاً آخر على الفور.

«من هو المدعي العام؟».

لم يجب أوليفاس. فقرر بوش ألا يستمر.

«اسمع يا أوليفاس، إنّ القضية قيد التحقيق. أنا أعمل عليها ولدي مشتبه به، إذا أردت التحدث إليّ فيمكننا ذلك. إذا كان لديك أيّة معلومات جديدة فيجب أن تطلعني عليها، وإلا فأنا مشغول، طاب يومك. هل هذا واضح؟».

كان بوش على وشك إنهاء المكالمة عندما تحدث أوليفاس بود.

«اسمعني، سأجري اتصالاً، وسأعاود الاتصال بك».

أنهى المكالمة من دون أن يقول وداعاً.

نظر بوش إلى رايدر.

قال: «المدعي العام يريد ملف ماري غيستو».

«لكن هذه قضيتك، من المتصل؟».

«شخص من القسم الشمالي الشرقي. فريدي أوليفاس. هل تعرفينه؟».

هزت رايدر رأسها وقالت: «لا أعرفه شخصياً، ولكنني سمعت عنه، كان يحقق في قضية راينارد ويتس. هل تتذكرها؟».

تذكر بوش الاسم؛ كانت قضية ويتس ملفاً مهماً جداً. من المرجح أن أوليفاس نظر إلى قضية ويتس على أنها بطاقته الرابحة نحو الشهرة. قُسمت

شرطة لوس أنجلوس إلى تسعة عشر قسماً على أساس جغرافي، ولكلّ منها مركز شرطة، ومكتب تحقيقات. حققت أقسام وحدات التحقيق في جرائم القتل بالقضايا الأقل تعقيداً، وكانت المناصب فيها كنقطة انطلاق إلى فئة النخبة التي كانت تتمثل بفرَق قسم تحقيقات جرائم القتل والسطو، وكانوا يعملون في المقر الرئيسي في باركر سنتر. هنا كانت تكمن الشهرة. واحدة من هذه الفرق كانت وحدة التحقيقات بالقضايا غير المحلولة. علم بوش أنه لو كان اهتمام أوليفاس بملف غيستو مرتبطاً بقضية ويتس ولو من بعيد، فسيسعى زاحفاً طامعاً بحجز مكان له في قسم التحقيق بجرائم القتل والسطو.

سألته رايدر: «ألم يخبرك بما يجري؟».

«لا، لكن لا بد من أن هناك أمراً مهماً. حتى إنه لم يخبرني مَن المدعي العام الذي يعمل معه».

«ريكوشيت».

«ماذا؟».

«ريك أوشيا. إنه المدعي العام في قضية ويتس، أشكّ أن لدى أوليفاس شيئاً جديداً في القضية، لقد انتهوا لتوّهم من الجلسة التمهيدية في المحكمة، وهم في طريقهم إلى جلسة المحاكمة».

لم يقل بوش شيئاً عندما أخذ ذلك في الحسبان.

كان ريتشارد «ريكوشيت» أوشيا المسؤول عن قسم الادعاء الخاص في مكتب النائب العام. كان ناجحاً جداً، وعلى وشك أن يصبح أكثر نجاحاً، كان هناك إعلانٌ في الربيع بأن النائب العام الحالي قرر إجراء إعادة انتخاب، وكان أوشيا من بين المدعين العامين والمحامين الخارجيين الذين سجلوا أنفسهم مرشحين للوظيفة. لقد نجح في الانتخابات الأولية بأغلبية الأصوات لكنها لم تكن أغلبية مُطلقة.

احتدم التنافس على من سيكون الفائز، إلا أن أوشيا هو المرشح الأكثر

حظاً في ذلك؛ فهو يحظى بدعم النائب العام الحالي، ولديه معرفة بطبيعة العمل داخل المكتب وخارجه، ولديه سجل يُحسد عليه من الإنجازات كمدعٍ عام فاز بقضايا كبيرة. إنها ميزة نادرة في مكتب النائب العام خلال العقد الماضي.

كان خصم ريك أوشيا هو غابريل ويليامز، الذي اعتبر دخيلاً بالرغم من أنه سبق له أن عمل مدعياً عاماً، لكنه أمضى العقدين الأخيرين في مكتب خاص، يعمل بشكل رئيسي على القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان. غابريل أسود البشرة في حين كان أوشيا أبيض البشرة. كان يعمل على وعود مراقبة وإعادة تشكيل ممارسات إنفاذ قانون في المقاطعة. بينما عمل أعضاء من حملة أوشيا على الاستهزاء ببرنامج ويليامز وأهليته للفوز بمنصب المدعي العام الأعلى، وبدا جلياً أنّ مواقفه الغريبة وبرنامجه في إعادة التشكيل بدأت تحتل حيّزاً كبيراً من الاهتمام في استطلاعات الرأي، وهذا ما قلّص الفارق بين المرشحين.

علم بوش بما يحصل في كل من حملتي ويليامز وأوشيا؛ لأنه كان يتابع الانتخابات المحلية باهتمام غير مسبوق. في هذا السباق المحتدم للوصول إلى مقعد المستشار في المدينة، دعم بوش مرشحاً يُدعى مارتين مايزيل. كان مايزيل في ولايته الثالثة ممثلاً عن مقاطعة الجهة الغربية، وهي بعيدة عن مكان سكن بوش. نظر إليه على أنه سياسيّ من الطراز الأول، قطع وعوداً في الكواليس، وكان مديناً بمصالح مالية كبيرة على حساب مقاطعته. وبالرغم من ذلك، دعمه بوش مادياً بسخاء في حملته، على أمل أن يُعاد انتخابه.

كان منافسه نائب قائد شرطة سابق يدعى إيرفين ر. إيرفينغ، وكان بوش سيفعل المستحيل كي يرى إيرفينغ مهزوماً. وعد إيرفينغ كما ويليامز بإعادة التشكيل، وكان هدف حملته شرطة لوس أنجلوس. اصطدم بوش بإيرفين

مرات عدة عندما كان يخدم في القسم. لم يرد رؤية هذا الرجل يجلس على كرسي مستشار المدينة.

كانت أخبار الانتخابات وملخص ما يجري فيها يُنشر يومياً في صحيفة التايمز وهذا ما أبقى بوش على اطلاع على أحدث المستجدات في المنافسة بين المرشحين الآخرين وكذلك المنافسة بين مايزيل وإيرفينغ. إنه يعلم كلّ شيء عن الصراع الذي كان أوشيا جزءاً منه. سعى المدعي العام إلى تعزيز موقفه من خلال حل ملفات وإغلاق دعاوى مهمة لإظهار قيمة خبرته. استغل قبل شهر جلسة الاستماع التمهيدية في قضية راينارد ويتس لتظهر بالعناوين الرئيسية في البرامج والصحف. تم إيقاف المجرم المتهم بجريمتي قتل في إيكو بارك عند حاجز مروريّ ليلي، فقد وجد عناصر الشرطة دماً يتسرب من أكياس قمامة على أرضية سيارته، وعندما فتّشوها وجدوا فيها أشلاء سيدتين، وإن لم يكن هناك أي استغلال لمثل هذه القضايا في السابق، فإن قضية رجل الأكياس في إيكو بارك استُغلت واستُخدمت في جذب اهتمام الإعلام نحو المرشح لمنصب المدعي العام.

لكن النقطة الآن، أنّ التغطية الإعلامية توقفت، واحتُجز ويتس، لاتهامه بالجريمة في نهاية الجلسة التمهيدية، ولأنها كانت قضية قد تصل عقوبتها إلى الإعدام؛ تأجّلت المحاكمة واستئناف نشر الأخبار عنها لأشهر، ولن يعاود نشر أخبار عنها إلا بعد الانتخابات. احتاج أوشيا إلى قضية جديدة للفت أنظار وسائل الإعلام من جديد، وليحافظ على انتشار أخبار إنجازاته. سيكون على بوش التساؤل عما ينويه المرشح بشأن قضية غيستو.

سألته رايدر: «هل تعتقد بوجود رابط بين قضية غيستو وقضية ويتس؟».

أجابها بوش: «لم يرد هذا الاسم في التحقيقات عام 1993».

«وكذلك إيكو بارك».

رنّ الهاتف، فالتقط بوش السماعة بسرعة وقال: «وحدة القضايا غير

المحلولة المفتوحة. معك المحقق بوش. كيف يمكنني مساعدتك؟».

«معك أوليفاس. أحضر الملف إلى الطابق السادس عشر في تمام الساعة الحادية عشرة، ستقابل ريتشارد أوشيا. أنت معنا في القضية أيها اللامع!».

«سنكون هناك على الموعد».

«انتظر دقيقة. ماذا تقصد بسنكون؟ ستأتي بمفردك مع الملف».

«لديّ شريكة يا أوليفاس سترافقني».

أنهى بوش المكالمة من دون أن يقول وداعاً، نظر إلى رايدر الجالسة قبالته وقال: «يجب أن نكون هناك في تمام الساعة الحادية عشرة».

«ماذا عن قضية ماتريس؟».

«سنؤجلها إلى وقت لاحق».

للحظات فكّر في أشياء عدة، ثم وقف واتجه إلى خزانة الملفات المقفلة خلف مكتبه. أخذ ملف قضية غيستو، وعاد إلى مكتبه. منذ أن عاد إلى العمل في السنة الماضية بعد تقاعده، سحب الملف من الأرشيف ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يقرأ الملف، ويجري بعض المكالمات والزيارات ليتحدث مع بعض مَن وردت أسماؤهم في التحقيق قبل ثلاثة عشر عاماً.

تعلم رايدر ما تعنيه هذه القضية لبوش، وساعدته على العمل فيها بحريّة عندما لم يكن هناك من شيء ضروريّ آخر ليقوما به. لكن لم يفلح أيّ من هذا، لم يكن هناك حمض نوويّ ليتتبعه، ولا بصمات أصابع، ولا أي دليل على مكان وجود غيستو - لكنه كان مقتنعاً أنها ميتة - ولا دليل حسيّ يقود إلى مختطفيها. لطالما عوّل على الرجل الوحيد الذي كان أقرب مشتبه به، لكنه لم يصل إلى أي شيء. فقد تمكن من تعقّب خط سير ماري غيستو من شقتها إلى المتجر لكنه توقف هنا. ووجد سيارتها في المرأب في مجمع شقق هاي تاور، لكنه لم يستطع الوصول إلى الشخص الذي ركن السيارة هناك.

لطالما كان لدى بوش الكثير من القضايا غير المحلولة. لا يمكن حل

القضايا كلها، وأي رجل شرطة في قسم التحقيق بجرائم القتل يعترف بذلك، لكن قضية غيستو هي القضية التي علقت في ذهنه. في كل مرة عمل على القضية لأسبوع أو أكثر، ثم وصل إلى طريق مسدود، عندها أعاد الملف إلى قسم الأرشيف متأكداً أنه فعل ما يمكنه القيام به، لكن قناعته هذه ما كانت لتدوم أكثر من أشهر عدة، فسرعان ما كان يعود من جديد إلى قسم الأرشيف ليملأ طلب الحصول على الملف مجدداً.

صاح أحد المحققين الآخرين: «بوش، ميامي على الخط الثاني».

لم ينتبه بوش إلى جرس الهاتف في غرفة الفرقة.

قالت رايدر: «سأردّ أنا، تبدو شارداً».

أجابت رايدر على الاتصال، وفتح بوش ملف غيستو مجدداً.

2

تأخر بوش ورايدر عشر دقائق بسبب الازدحام عند المصعد. يكره بوش القـدوم إلـى مبنـى محكمة الجنايات بسـبب المصاعد. كان الانتظار والزحمة يشعرانه بالضيق الذي لم يكن يرغب في الشعور به.

طلبـوا منهمـا أن ينتظـرا في غرفة الانتظار الملحقة بمكتب المدعي العام في الطابق السادس عشر ريثما يأتي أحدهم لمرافقتهما إلى مكتب أوشيا. بعد دقائق خرج شخص من الباب، وأشار إلى الحقيبة التي كان بوش يحملها.

سأله: «هل الملف معك؟».

لم يتعرف بوش إليه، كان رجلاً لاتينياً أسمر البشرة، يرتدي بذلةً رماديةً.

«أوليفاس؟».

«نعم. هل أحضرت الملف؟»

«نعم. لقد أحضرت الملف».

«حسناً، أدخل أيها اللامع!».

عاد أوليفاس من الباب الذي خرج منه. تحركت رايدر لتتبعه، لكن بوش أمسك بساعدها. توقف أوليفاس عندما نظر إليهما ووجد أنهما لم يتبعاه.

«هل ستدخلان أم لا؟».

تقدّم بوش نحوه.

«لنوضح بعض الأشياء يا أوليفاس قبل أن ندخل. صفني مرة واحدة بعد باللامع، وسأضع الملف في مؤخرتك من دون أن أخرجه من الحقيبة».

رفع أوليفاس يديه مستسلماً.

«لك ما تريد».

فتح لهما الباب فتبعاه إلى القاعة الداخلية. مشوا في ممر طويل، وانعطفوا مرتين نحو اليمين قبل أن يصلوا إلى مكتب أوشيا. كانت مساحة المكتب كبيرة، وتشبه في تصميمها مكتب النائب العام. لطالما تشارك المدعون العامون المكاتب، كلّ اثنين أو أربعة في مكتب واحد، وكانوا يحجزون غرفة الاجتماعات الموجودة في نهاية كلّ قاعة لإجراء مقابلاتهم. إلا أن مكتب أوشيا كان بضعف مساحة المكاتب العادية، ويتسع لمكتب بحجم البيانو، وفيه مكان منفصل للجلوس. إذن هناك امتيازات خاصة بأن تكون رئيس قسم الادعاء الخاص، وكذلك ولي عهد المنصب الأعلى.

رحّب بهما أوشيا من خلف مكتبه، ووقف ليصافحهما. كان في الأربعينات من عمره، وسيماً وذا شعر أسود داكن. كان بوش يعلم أنه قصير بالرغم من أنه لم يسبق أن التقى به. فقد لاحظ عندما كان يشاهد تغطية التلفاز للجلسات التمهيدية في قضية ويتس أن معظم المراسلين كانوا أطول من الرجل الذي كانوا يوجهون ميكروفوناتهم نحوه. شخصياً، أحبَّ بوش المدعين العامين قصار القامة، والذين لطالما سعوا لتعويض ذلك، وكان المدّعى عليهم هم من يدفعون ثمن ذلك.

جلس الجميع. جلس أوشيا خلف مكتبه، أما بوش ورايدر فجلسا على كرسيين بمواجهته، وجلس أوليفاس على كرسيّ عند الجانب الأيمن للمكتب، وأمامه كدسة من الملصقات التي عليها صور أوشيا وهو متكئ على الحائط.

قال أوشيا: «شكراً لقدومكما أيها المحققان! لنوضح بعض الأمور أولاً.

أخبرني فريدي بأن تعارفكما كان سيئاً بعض الشيء».

نظر إلى بوش في حين كان يتحدث.

قال بوش: «لا مشكلة لديّ مع فريدي. حتى أنني لا أعرفه بشكل كافٍ لأدعوه فريدي».

«يجب أن أعلمك بأن أية ممانعة من قبله لاشتراكك معنا في أي شيء كانت تبعاً لأوامري؛ بسبب الطبيعة الحساسة لعملنا، لذلك إن توجب عليك أن تغضب من أحد فاغضب مني، وليس منه».

قال بوش: «لست غاضباً، على العكس أنا سعيد، اسأل شريكتي، هذه طبيعتي عندما أكون سعيداً».

هزّت رايدر رأسها بالإيجاب وقالت: «إنه سعيد. بالتأكيد سعيد».

قال أوشيا: «حسناً. الجميع سعداء. لنبدأ العمل».

انحنى أوشيا ليتناول ملفاً سميكاً قابلاً للطي، موجوداً على الجانب الأيمن من المكتب. كان الملف مفتوحاً، واستطاع بوش رؤية ملفات الأشخاص فيه، وعليها علامات تبويب زرقاء. كان بوش بعيداً، وهذا ما حال دون قراءته الأسماء، خاصة وأنه لم يكن يضع نظارته الطبية التي بدأ حديثاً باستخدامها.

سألهما أوشيا: «هل أنتما مطّلعان على دعوى راينارد ويتس؟»

هزّ بوش ورايدر رأسيهما.

قال بوش: «سيكون من الصعب عدم الاطلاع على ذلك».

هزّ أوشيا رأسه وابتسم ابتسامةً طفيفةً.

«نعم، لقد عملنا على أن يكون هناك تغطية إعلامية. هذا الرجل جزار، إنه شرير جداً. لقد قلنا منذ البداية بأننا سنسعى لأن يُحكم بالإعدام».

قالت رايدر بشجاعة: «وأستطيع أن أقول لك إنه مما سمعت ورأيت فإنه أصبح مشهوراً».

هزّ أوشيا رأسه بحزن.

«هـذا أحـد أسـباب مجيئكمـا إلى هنا. أريد أن أسـألكما عن تحقيقاتكما في ما يتعلق بقضية ماري غيسـتو قبل أن أبدأ بشـرح ما لدينا. قال لي فريدي إنك طلبت الملف من قسم الأرشيف ثلاث مرات خلال العام الماضي. هل من مستجدات؟».

«يمكنك القول إنني حملت القضية معي ثلاثة عشر عاماً. بدأت التحقيق في القضية عام 1993 يوم أُبلغ عن فقدان الفتاة».

«ولم تحصل على أية نتائج منها؟».

هزّ بوش رأسه نافياً.

«لم يكن لدينا جثة، لم نجد سوى سيارتها، وهذا غير كافٍ. لم نجد أيّ شخص على علاقة بالموضوع».

«ولا حتى مشتبهاً به؟».

«حققنا بأمر العديد من الناس، وحققنا بشكل خاص بأمر أحدهم، لكننا لـم نستطع إيجـاد أي رابـط؛ لذلـك لم يكن أي أحد ممـن تحقّقنا من أمرهم يصلح ليكون مشتبهاً به حقيقياً. بعدها تقاعدت في العام 2002، وعاد الملف إلى قسـم الأرشـيف. مرت سـنتان على تقاعدي، ولم تسـر الأمور كما كنت متوقعاً، لذلك عدت إلى العمل في العام الماضي».

لم يشعر بوش أنه من الضروري إخبار أوشيا بأنه نسخ ملف قضية غيستو وقضايـا أخـرى غيـر محلولـة، وأخذها معه عندما تقاعد عام 2002. إنّ نسـخ الملفات مخالف لأنظمة القسـم، وكلما كان عدد من يعلمون بهذا الأمر أقلّ كان أفضل.

أكمل بوش: «كنت أطلب ملف غيستو من الأرشيف كلما شعرت أنّ لديّ وقتـاً لأعمـل عليـه خلال العام الماضي، لكن لم يكن هناك أي حمض نووي ولا بصمات، لم يكن هناك سـوى أعمال قانونية، لقد تحدثت من جديد مع كل من وردت أسـماؤهم في التحقيق. ولا يزال هناك شـخص واحد شـعرت

أنه يمكن أن يكون القاتل، لكنني لم أتمكن أبداً من إيجاد دليل، لقد تحدثت إليه مرتين هذا العام، وبالكاد استطعت الحصول منه على شيء».

«و...».

«لا شيء».

«من هو؟».

«اسمه أنتوني غارلاند. إنه من هانكوك بارك ماني. هل سمعت من قبل باسم توماس ريكس غارلاند، الذي يعمل بالنفط؟».

أومأ أوشيا برأسه.

«حسناً، تي ريكس، كما يُعرف، هو والد أنتوني».

«ما علاقة أنتوني بغيستو؟».

«قد تكون كلمة علاقة كبيرة جداً. عُثر على سيارة ماري غيستو في مرأب يتسع لسيارة واحدة ملحق ببناء سكني في هوليوود. كانت الشقة التي تعود لها ملكية المرأب فارغة. في ذلك الوقت شعرنا أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن توجد السيارة هناك، لقد ظننا أن من أخفى السيارة هناك يعلم أن الشقة خالية، وأنها طريقة جيدة لإخفائها هناك».

«حسناً، عرف أنتوني غارلاند بأمر المرأب، أو كان يعرف ما رأيك؟».

«كان يعرف بأمر المرأب. كانت حبيبته السابقة تعيش في الشقة. وقد انفصلت عنه وعادت إلى تكساس. لذلك كان يعرف أن الشقة والمرأب فارغين».

«هذا غير كافٍ. هل هذا كل ما كان لديك؟».

«تقريباً. ونحن أيضاً اعتقدنا أنه غير كافٍ، ولكن بعد ذلك سحبنا بعض الصور الخاصة بصديقته السابقة من دائرة المركبات، واتضح أنها وماري تتشابهان كثيراً. بدأنا نعتقد أنه ربما كانت ماري نوعاً من ضحية بديلة. لم يستطع الوصول إلى حبيبته السابقة لأنها غادرت، لذلك قتل ماري بدلاً منها».

«هل ذهبت إلى تكساس؟».

«مرتين. تحدثنا إلى حبيبته السابقة، وأخبرتنا أن السبب الرئيسي في انفصالها عن أنتوني كان مزاجه».

«هل كان عنيفاً معها؟».

«لا، فبحسب أقوالها غادرت قبل أن تصل الأمور إلى هذه المرحلة».

انحنى أوشيا إلى الأمام وسأله: «هل كان أنتوني غارلاند يعرف ماري؟».

«لا نعلم. لسنا متأكدين من ذلك. بعدها أحضر والده محاميه وتوقف عن التحدث إلينا، نفى أن يكون على معرفة بها على الإطلاق.

«متى كان هذا؟ أقصد متى تدخل المحامي؟».

«في ذلك الوقت، والآن. ذهبت إليه من جديد بضع مرات هذا العام. ضغطت عليه، فأوكل محامياً مرة أخرى. محامون مختلفون، تمكنوا هذه المرة من استصدار أمر تقييديّ ضدي، أقنعوا القاضي أن يأمرني بالبقاء بعيداً عن أنتوني ما لم يكن برفقة محامٍ، أعتقد أنهم أقنعوا القاضي بالمال، إنها الطريقة التي ينجز بها تي ريكس غارلاند الأمور».

تراجع أوشيا إلى الخلف، وأسند ظهره، وأومأ برأسه بتمعّن وقال: «هل لأنتوني غارلاند هذا سجل إجرامي قبل أو بعد غيستو؟».

«لا، لا وجود لسجل إجراميّ، لم يكن عضواً منتجاً جداً في المجتمع، إنه يعيش على مكرمات والده العجوز، هذا ما أعرفه. إنه يدير أمن والده ومؤسساته المختلفة، ولكنني لم أجد أيّ شيء إجرامي».

«أليس من المنطقي أن الشخص الذي اختطف، وقتل امرأة شابة سيكون له نشاط إجرامي آخر في سجله؟ هذه الأشياء عادة لا تحدث على هذا النحو، أليس كذلك؟».

«إذا نظرت إلى النسب المئوية، فالجواب نعم، ولكن دائماً هناك

استثناءات للقاعدة. إضافة إلى ذلك، هناك أموال والده العجوز، المال يُسهّل كثيراً من الأشياء، ويخفي كثيراً أيضاً».

أومأ أوشيا برأسه مرة أخرى كما لو كان يتعلم عن المجرمين والجرائم للمرة الأولى، لقد كان فعلاً سيئاً.

سأله: «ماذا كانت خطوتك التالية؟».

هزّ بوش رأسه.

«لم يكن لديّ خطة. لقد أرسلت الملف مرة أخرى إلى الأرشيف، واعتقدت أن كلّ شيء انتهى. ثم نزلت قبل أسبوعين وسحبته مرة أخرى، لا أعرف ما الذي كنت أنوي القيام به، ربما كنت سأتحدث إلى بعضٍ من أصدقاء غارلاند الجدد؛ لأرى إن ذكر ماري غيستو أو أي شيء عنها. في الحقيقة، كل ما كنت متأكد منه هو أنني لن أستسلم».

تنحنح أوشيا، وعلم بوش أنه سيخبرهما الآن عن سبب وجودهما هنا.

«هل ورد معك اسم راي أو راينارد ويتس طيلة السنوات التي حققت فيها بأمر اختفاء غيستو؟».

نظر إليه بوش للحظة، وشعر بانقباض في معدته وقال: «لا، لم يرد. هل كان يجب أن يرد؟».

سحب أوشيا أحد المجلدات من الملف القابل للطي، وفتحه على المكتب، ورفع وثيقةً بدت من ترويستها وكأنها رسالة. وقال: «كما قلت، لقد أعلنا أننا سنطلب الإعدام لويتس. بعد الجلسة التمهيدية، أعتقد أنه أدرك أن الأمر سيَسوء، لقد قدّم اعتراضاً بشأن الخطأ الذي حصل عند توقيفه، لكن ذلك لن يغير من أي شيء، هو ومحاميه يعرفان ذلك. ثمّ إن استخدامه حجة عدم السلامة العقلية في دفاعه لن تجدي نفعاً. هذا الرجل يحسب وينظم مثل أي قاتل قمت بمقاضاته من قبل، لذلك ردّا الأسبوع الماضي بهذا. قبل أن أريكما رد محاميه يجب أن أعرف أنكما تفهمان أن هذه رسالة من محامٍ

بغض النظر عما يحدث، سواء أكنا سنمضي قدماً في هذا أم لا، فالمعلومات الواردة في هذه الرسالة غير رسمية. إذا اخترنا تجاهل هذا العرض، فلن يكون هناك أي تحقيق في المعلومات الواردة في هذه الرسالة. هل تفهمان ذلك؟».

أومأت رايدر برأسها لكن بوش لم يفعل.

قال أوشيا بصيغة الطلب: «المحقق بوش؟».

قال بوش: «ربما يجب أن لا أراها، وربما يجب أن لا أكون هنا».

«تذكر أنك لم ترد إعطاء فريدي الملف، إذا كانت القضية تعني لك الكثير، فكّر في أنك يجب أن تكون هنا».

أومأ بوش أخيرا وقال: «حسناً».

مرر أوشيا الورقة عبر المكتب، فانحنى بوش ورايدر لقراءتها معاً. في البدء، فتح بوش نظارته ووضعها أمام عينيه.

12 سبتمبر 2006

ريتشارد أوشيا، مساعد النائب العام في مقاطعة لوس أنجلوس،
مكتب النائب العام في المقاطعة، مكتب 16-11
210 ويست تيمبل ستريت، لوس أنجلوس، كاليفورنيا 90012-3210

بشأن: قضية كاليفورنيا ضد راينارد وتس.

عزيزي السيد أوشيا:

تهدف هذه الرسالة إلى فتح مناقشات بشأن التصرف في القضية المُشار إليها أعلاه. البيانات التالية الواردة هنا جميعها في ما يتعلق بهذه المناقشات، تم إجراؤها على أساس الفهم بأنه غير مسموح بها بموجب قانون أدلة كاليفورنيا 1153، وقانون

العقوبات في كاليفورنيا 81192.4 وقضية الشعب ضد تانر، (1975) 45 Cal. App.3d 345, 350,119 Cal Rptr. 407

أقترح عليك أن يكون السيد ويتس مستعداً، وفقاً للشروط والأحكام الموضحة أدناه، لمشاركتك مع محققين تختارهم بمعلومات تتعلق بتسع جرائم قتل، باستثناء الجريمتين المشار إليهما أعلاه، والاعتراف بالذنب في التهم المتعلقة بالقضية المشار إليها أعلاه، في مقابل موافقة الشعب على عدم طلب عقوبة الإعدام بتهمة القتل في الجريمة الحالية أو توجيه تهم بالقتل في ما يتعلق بالقضايا التي سيقدم معلومات عنها.

علاوة على ذلك، في مقابل التعاون والمعلومات التي يقدمها السيد ويتس، يجب أن توافق على عدم استخدام تصريحات السيد ويتس وأية معلومات مستمدة منها ضده في أية قضية جنائية؛ ولا يجوز الكشف عن أية معلومات تُقدم بموجب هذه الاتفاقية إلى أية ولاية أخرى، أو وكالات تنفيذ القانون الفيدرالية ما لم توافق تلك الوكالات، من خلال ممثليها، على الالتزام بشروط وأحكام هذه الاتفاقية، ولا يجوز استخدام أي أقوال أو معلومات أخرى قدّمها السيد ويتس خلال أي عرض أو تقديم «غير رسمي» ضده في قضية المدعي العام، ولا يجوز لك استخدام المشتقات، أو متابعة أي خيوط تحقيق تستند إلى أقوال أو معلومات يقدمها المدعى عليه في حالة تقديم القضية المشار إليها أعلاه للمحاكمة. إذا قدم السيد ويتس شهادة تختلف جوهرياً عن أي بيانات تم الإدلاء بها أو أي معلومات أخرى يتم تقديمها خلال أي من التقديمات أو المناقشة، فيمكنك بالطبع أن توجه اتهاماً إليه بشأن هذه البيانات أو المعلومات السابقة غير المتسقة. أتوقع أن تصل عائلات ثماني شابات وذكر من الضحايا إلى شكل من أشكال الإغلاق مع معرفة ما حدث مع أحبائهم، وفي ثمانٍ من هذه الحالات سيكونون

قادرين على إجراء الطقوس الدينية والدفن، بعد أن يقود السيد ويتس المحققين إلى الأماكن التي دفن فيها ضحاياهم. إضافة إلى ذلك، قد تجد هذه العائلات بعض الراحة في معرفة أن السيد ويتس يقضي عقوبة بالسجن مدى الحياة دون إمكانية إطلاق السراح المشروط.

يعرض السيد ويتس تقديم معلومات عن جرائم قتل غير معروفة بين عامي 1992 و2003. وكعرض أولي للمصداقية وحسن النية، يقترح أن يراجع المحققون التحقيق في وفاة دانييل فيتزباتريك، 63 عاماً، الذي أُحرق ومات في مكتبه للرهن في هوليوود بوليفارد في 30 أبريل 1992. ستكشف ملفات التحقيق أن السيد فيتزباتريك كان مسلحاً ويقف خلف السياج الأمني في الجزء الأمامي من متجره عندما أحرقه مهاجم باستخدام سائل قابل للاشتعال، وقداحة تعمل بغاز البوتان. تركت علبة السائل القابل للاشتعال من ماركة إيزي لايت هناك، موضوعة بوضع مستقيم أمام السياج الأمني. لم يتم نشر هذه المعلومات على الإطلاق.

علاوة على ذلك، يقترح السيد ويتس إعادة النظر في ملفات تحقيقات الشرطة في ما يتعلق باختفاء ماري غيستو في أيلول عام 1993، واعتبار هذا على أنه إظهار إضافي لمصداقيته وحسن نيته. ستكشف السجلات أنه بينما لم يتم تحديد مكان الآنسة غيستو أبداً، فقد عثر على سيارتها في مجمع سكني في هوليوود يعرف باسم هاي تاور. احتوت السيارة على ملابس السيدة غيستو، ومعدات الفروسية إضافة إلى كيس بقالة يحتوي على رطل من الجزر، كانت السيدة غيستو تنوي استخدام الجزر لإطعام الخيل التي قامت بتزيينها مقابل أن تمتطيها لوقت معين في إسطبلات سانسيت رانش في بيتشوود كانيون. ومرة أخرى، لم يتم نشر هذه المعلومات على الإطلاق.

أود أن أقترح أنه إذا تم التوصل إلى اتفاق بشأن التسوية، فإن

مثل هذا الاتفاق سيقع ضمن استثناءات ولاية كاليفورنيا على الحظر المفروض على التفاوض في تخفيف العقوبات في ما يخص الجنايات الخطيرة، طالما أنه في غياب تعاون السيد ويتس، لا توجد أدلة كافية وشهود لإثبات قضية الشعب في ما يتعلق بجرائم القتل التسعة هذه. علاوة على ذلك، فإن تسامح الشعب بشأن عقوبة الإعدام تقديري تماماً ولا تمثل المستندات تغييراً كبيراً في الجملة، (قانون العقوبات بولاية كاليفورنيا.1192.7a

يرجى الاتصال بي في أقرب وقت ممكن إذا كان ما سبق مقبولاً.

مع خالص التقدير،
موريس سوان
101 برودواي سويت 2
لوس أنجلوس، كاليفورنيا 90013.

أدرك بوش أنه قرأ الرسالة بالكامل تقريباً من دون أن يتنفس، فاستنشق بعض الهواء، لكنه لم يحل محل التضيق البارد الذي كان يتشكل في صدره.

سأل بوش: «لن توافق على هذا، أليس كذلك؟».

حدق أوشيا للحظة قبل أن يقول: «في الواقع، أنا أتفاوض مع سوان في الوقت الحالي. كان هذا هو أول عرض. لقد حسّنت من موقف الولاية بشكل كبير منذ أن وصلت هذه الرسالة».

«بأية طريقة؟».

«سيتعين عليه الترافع في القضايا جميعها. سنحصل على 11 إدانة بالقتل».

وستحصل على المزيد من العناوين الرئيسية في الوقت المناسب للانتخابات.. فكّر بوش في هذا لكنه لم يقله.

سأله بوش: «لكنه سينجو من العقوبة؟».

«لا، أيها المحقق! لن ينجو. لن يرى النور أبداً مرة أخرى. هل سبق لك أن ذهبت إلى خليج بيليكان، المكان الذي يرسلون إليه مرتكبي الجرائم الجنسية؟ يبدو أنه مجرد مكان جميل».

«لكنه لن يُعدم، أنت ستعطيه هذا بالمقابل».

ابتسم أوليفاس، وكأن بوش لم ينتبه إلى الفكرة الرئيسية.

قال أوشيا: «نعم، كل ما سنعطيه إياه، لا عقوبة إعدام، وسيسجن إلى الأبد».

هزّ بوش رأسه، ونظر إلى رايدر، ثم عاد إلى أوشيا. لم يقل شيئاً لأنه عرف أن القرار لم يكن له ليتخذه.

قال أوشيا: «لكن قبل أن نوافق على مثل هذه الصفقة. نحن بحاجة للتأكد من أنه هو من قام بهذه الجرائم التسع. ويتس ليس غبياً، قد يكون هذا كله خدعة لتجنب الإعدام، أو قد يكون حقيقياً. أريدكما أن تتعاونا في هذا العمل مع فريدي لسبر غور الأمر. سأقوم بالمكالمات وبعدها ستنطلقان في التحقيق. ستكون هذه هي المهمة».

لم يجب بوش ولا رايدر. لكن أوشيا استمر.

«من الواضح أنه يعرف أشياء عن القضيتين المذكورتين في الرسالة كوسيلة للإغراء. تأكد فريدي من أمر فيتزباتريك، قُتل في أثناء أعمال الشغب بعد أن صدر حكم رودني كينغ، ومات محروقاً خلف السياج في مكتبه للرهن. كان يحمل سلاحاً في ذلك الوقت، وما هو غير واضح كيف اقترب قاتله بما يكفي لإضرام النار فيه. عُثر على علبة إيزي لايت في المكان الذي ذكره ويتس، موضوعة بشكل مستقيم أمام السياج الأمني.

لم نتمكن من التأكد من صحة ما ذكره بشأن قضية غيستو لأن الملف بحوزتك أيها المحقق بوش! لقد أكدت بالفعل الجزء المتعلق بالمرأب. هل ما ذكره بشأن الملابس والجزر صحيحاً؟».

أومأ بوش على مضض. وقال: «السيارة كانت معلومة عامة، فوسائل الإعلام في كل مكان، لكن حقيبة الجزر كانت ورقتنا الرابحة. لم يكن أحد يعرف عن ذلك إلا أنا وشريكي في ذلك الوقت، وخبير الأدلة الذي فتح الحقيبة. لم نتحدث عن الأمر، لأننا ظننا أنها التقت بالقاتل عندما كانت تشتري الجزر. اشترت الجزر من سوبر ماركت مايفير في فرانكلين في نهاية شارع كانيون وود بيتش. تبين أنها كانت تتوقف هناك بشكل روتيني قبل أن تتوجه إلى الإسطبلات، وقد سارت على عادتها في اليوم الذي اختفت فيه. خرجت مع الجزر وربما كانت برفقة قاتلها، وجدنا شهوداً رأوها في المتجر، ولم نجد أي شيء آخر بعد ذلك حتى وجدنا سيارتها».

أومأ أوشيا، وأشار إلى الرسالة التي لا تزال على الطاولة أمام بوش ورايدر وقال: «إذن فهذا يبدو جيداً؟».

قال بوش: «لا، ليس كذلك. لا تفعل هذا».

«لا أفعل ماذا؟».

«لا تبرم الصفقة».

«لماذا يجب علينا أن لا نفعل ذلك؟».

«لأنه إن كان هو من اختطف ماري غيستو وقتلها وقتل هؤلاء الأشخاص الثمانية الآخرين، وربما قطّعهم مثل الضحيتين اللتين وجدوهما معه، فهو شخص لا يستحق أن يبقى حياً، سواء في زنزانة في السجن أم لا، عليهم أن يربطوه، ويحقنوه بالإبرة، ويرسلوه إلى القبر حيث ينتمي».

أومأ أوشيا كما لو أنه يوافق على ما قاله بوش.

فرد عليه: «ماذا عن تلك القضايا المفتوحة كلها؟ انظر، أنا أكثر منك كرهاً لفكرة بقاء هذا الرجل حياً في غرفة خاصة في خليج بيليكان، ولكن علينا مسؤولية حل تلك القضايا، وتقديم إجابات لعائلات هؤلاء الأشخاص. أيضاً، يجب أن تتذكر، لقد أعلنّا أننا نسعى لعقوبة الإعدام، وهذا لا يعني أنها

تلقائية، يجب أن نذهب إلى المحاكمة وأن نكسبها، ثم يتعين علينا القيام بذلك مرة أخرى؛ لجعل هيئة المحلفين توصي بالإعدام، أنا متأكد أنك تعرف أنّ هناك عدداً من الأمور يمكن أن تحدث بخلاف ما نريد، لا يحتاج الأمر إلّا لمحلف واحد لتعليق القضية. ولا يتطلب الأمر سوى محلف واحد لوقف عقوبة الإعدام. ولا يتطلب الأمر سوى قاضٍ واحد فقط ليتجاهل توصية هيئة المحلفين مهما تكن».

لم يجب بوش. كان يعرف كيف يعمل النظام، وكيف يمكن التلاعب به، وكيف أنه ما من شيء مؤكد. لكن بالرغم من ذلك لا تزال الفكرة تزعجه. فهو يعلم أيضاً أن عقوبة السجن مدى الحياة لا تعني دائماً عقوبة مدى الحياة. في كل عام يحصل أشخاص مثل تشارلي مانسون وسرحان سرحان على إخلاء سبيل، لا شيء يدوم لمدى الحياة، وإن كان عقوبة لمدى الحياة.

تابع أوشيا: «إضافة إلى ذلك، هناك عامل التكلفة. ليس لدى ويتس أموال لكن موري سوان استلم القضية لأجل الدعاية. إذا أخذنا هذه الاعترافات إلى المحاكمة فسيكون جاهزاً للمعركة. موري محامٍ جيد، يمكننا أن نتوقع من الخبراء تدمير تقارير خبرائنا، إن التحليل العلمي سيلغي تحليلنا، وستستغرق المحاكمة أشهراً، وستكلف المقاطعة ثروة. أعلم أنك لا تريد أن تسمع أن المال مهمٌّ في مثل هذه القضية، ولكن هذا هو الواقع. لطالما دقق مكتب إدارة الميزانية عليّ بشأن هذا الأمر، قد يكون هذا العرض هو الطريقة الأكثر أماناً والأفضل للتأكد من أن هذا الرجل لن يؤذي شخصاً آخر في المستقبل».

سأل بوش: «الطريقة الأفضل؟ ليست هذه الطريقة الصحيحة، إذا كنت تريد رأيي».

التقط أوشيا قلماً، وبدأ بضربه برفق على مكتبه قبل أن يرد: «أيها المحقق بوش! لماذا تركت ملف غيستو مرات عديدة؟».

شعر بوش بأن رايدر استدارت، ونظرت إليه. لقد سألته السؤال نفسه

في أكثر من مناسبة.

قال: «أخبرتك سابقاً، لقد سحبت ذلك لأنها كانت قضيتي، لقد أزعجني أننا لم نجد القاتل».

«بعبارة أخرى، لقد طاردتك».

أومأ بوش بتردد.

«هل لديها عائلة؟».

أومأ بوش مرة أخرى.

«كان والداها في بيكرسفيلد، وقد علقا أحلاماً كثيرة عليها».

«فكّر فيهما. وفكّر في العائلات الأخرى، لا يمكننا أن نقول لهم إن ويتس هو الشخص ما لم نكن متأكدين من ذلك. أعتقد أنهم سيرغبون في المعرفة وسيرغبون في مقايضة هذه المعرفة بحياته، من الأفضل أن يعترف بقيامه بتلك الجرائم على أن نسجنه لمدة سنتين فقط».

لم يقل بوش شيئاً، بل اكتفى بتسجيل اعتراضه، أدرك أن الوقت قد حان ليعود إلى العمل، وكانت رايدر تفكر في الأمر نفسه.

سألته: «ما هو الإطار الزمني لذلك؟».

قال أوشيا: «أريد التحرك بسرعة، إذا كان هذا شرعياً، فأريد الانتهاء من الأمر وإنجازه».

سأل بوش: «يجب إنجازه قبل الانتخابات، أليس كذلك؟».

ندم فوراً على ما تفوّه به، شكّلت شفتا أوشيا خطاً رفيعاً. بدا الدم يتجمع تحت الجلد حول عينيه.

قال: «أيها المحقق! سأقول لك ذلك. سأخوض الانتخابات، وسيكون إنهاء قضايا إحدى عشرة جريمة قتل بإدانة مفيداً لي، لكن لا تظن أن الانتخاب هو دافعي الوحيد، فكل ليلة يذهب الآباء الذين كانت لديهم أحلام لبناتهم إلى الفراش من دون معرفة أماكنهن أو ما حدث لهن، هي ليلة من الألم الرهيب

بالنسبة إليّ، حتى بعد ثلاثة عشر عاماً، لذلك أريد أن أتحرك بسرعة، وبطريقة مؤكدة، ويمكنك الاحتفاظ بتوقعاتك عن أي شيء آخر لنفسك».

قال بوش: «حسناً، متى ستتحدث إلى هذا الرجل؟».

نظر أوشيا إلى أوليفاس ثم نظر مجدداً إلى بوش.

«حسناً، أعتقد أنه يجب أن نتبادل الملفات أولاً. يجب أن تلقي نظرة سريعة على ملف ويتس، وأريد أن يتعرف فريدي إلى ملف غيستو. ما أن نقوم بذلك، سنرتب لشيء ما مع موري سوان، ما رأيك بالغد؟».

قال بوش: «غداً سيكون جيداً. هل سيحضر سوان المقابلة؟».

أومأ أوشيا برأسه.

«إنه موجود في كل مكان».

قال بوش: «حسناً، حينها على الأقل سيكون خارج قاعة المحكمة».

قال أوشيا: «لم أفكر فيها بهذه الطريقة أبداً. هل أحضرت سجلات قضية غيستو؟».

فتح بوش حقيبته في حضنه، وأخرج ملف التحقيق الذي كان موجوداً في مغلف تبلغ سماكته ثلاث بوصات يُعرف عموماً باسم كتاب جرائم القتل، وسلمه لأوشيا الذي استدار وأعطاه لأوليفاس.

قال أوشيا: «وسأعطيك هذا في المقابل».

أعاد المجلذ إلى الملف القابل للطيّ، وسلمه إياه فوق المكتب.

قال: «قراءة سعيدة. هل أنت متأكد بشأن موعد الغد؟».

نظر بوش إلى رايدر لمعرفة إن كان لديها اعتراض. كان لديهما يوم آخر للبحث في ملف ماتريس المقدم إلى المدعي العام. لكن العمل انتهى في الغالب، وكان يعرف أن رايدر يمكنها التعامل مع الباقي. عندما لم تقل رايدر شيئاً، نظر بوش مجدداً إلى أوشيا.

قال: «سنكون مستعدين».

«حسناً سأتصل بموري وأحدد موعداً».

«أين ويتس؟».

قال أوشيا: «هنا في المبنى. إنه في سجن منفرد مصفّد اليدين».

قالت رايدر: «جيّد».

سأل بوش: «ماذا عن السبع الأخريات؟».

«ماذا عنهنّ؟».

«أليس لهن ملفات؟».

قال أوشيا: «كما ذكر موري سوان في رسالته لم يعثر على جثث أولئك النساء، وربما لم يتم الإبلاغ عن فقدهن في المقام الأول. ويتس مستعدٌّ لأن يدلنا إلى أماكنهن، ولكن لا يوجد عمل تحضيري يمكننا القيام به لأجلهن».

أومأ بوش برأسه.

سأل أوشيا، مشيراً إلى أن الاجتماع قد انتهى: «هل من أسئلة أخرى؟».

قال بوش: «سنعلمك إن كان لدينا أي شيء».

قال أوشيا: «أعرف أنني أكرر نفسي، لكنني أشعر أنني مضطر لذلك. هذا التحقيق غير رسمي. هذا الملف هو أحد العروض التي تمثل جزءاً من مفاوضات الإقرار بالذنب، لن تتمكن من استخدام أية معلومات مذكورة في الملف، أو أي شيء منه بهدف ملاحقته. هل هذا واضح؟».

لم يجب بوش.

قالت رايدر: «هذا واضح».

«هناك استثناء واحد كنت قد تفاوضت عليه. إذا كذب، في أي وقت أُثبت فيه أنه كذب، أو إذا ثبت أن أية معلومة قدّمها لك خلال هذه العملية كاذبة وكان يعلم بذلك مسبقاً، فسنوقف المفاوضات كلها، ويمكننا عندها ملاحقته، وقد أُعلم بذلك بوضوح».

أومأ بوش برأسه ووقف، وكذلك وقفت رايدر.

سأل أوشيا: «هل تريد مني أن أتصل بأحد كي تستطيعا تفريغ نفسيكما؟ يمكنني استخدام سلطتي إذا لزم الأمر».

هـزّت رايـدر رأسـها وقالـت: لا أعتقد ذلك، إن هـاري يعمل على قضية غيسـتو. قـد تكـون النسـاء ضحايـا غير معروفـات، ولكن لا يوجـد ملف في الأرشيف عن الرجل في مكتب الرهن، ذلك كله يتقاطع مع مهام قسم القضايا غير المحلولة. يمكننا التعامل مع مشرفنا».

«حسـناً، سـأتصل بكما بمجرد تحديد موعد المقابلة. في غضون ذلك، أرقامي جميعها موجودة في الملف. وكذلك أرقام فريدي».

أومأ بوش إلى أوشيا، وألقى نظرة سريعة على أوليفاس قبل التوجه إلى الباب.

قال أوشيا: «أيها المحققان!».

عاد بوش ورايدر إليه. كان واقفاً.

أراد مصافحتهما، وقال: «أتمنى أن تكونا بجانبي في هذا الشأن».

صافحـه بـوش- غيـر متأكـد إذا مـا كان أوشـيا يتحـدث عـن القضيـة أو الانتخابات- وقال: «إذا كان ويتس يستطيع مساعدتي في إعادة ماري غيستو إلى والديها، فأنا إلى جانبك».

لم يكن تلخيصاً دقيقاً تماماً لمشـاعره. لكن كلامه سـاعده في الخروج من المكتب.

3

جلسا في مكتب مشرفهما، في قسم القضايا غير المحلولة، وأطلعاه على آخر تطورات اليوم. كان أبل برات على بعد أربعة أسابيع من التقاعد، بعد خمسة وعشرين عاماً في العمل. لم يبدِ اهتماماً كبيراً بكلامهما. على جانب مكتبه، كان هناك كدسة من دليل فودورز عن الجزر الكاريبية. بدا أنه يخطط لمغادرة المدينة بعد التقاعد، والعثور على جزيرة للعيش عليها مع عائلته. كان حلم التقاعد هذا شائعاً بين ضباط الشرطة، الانسحاب من كلّ الظلام الذي شهدوه لفترة طويلة في العمل. ومع ذلك، كانت الحقيقة أنه بعد حوالى ستة أشهر على الشاطئ، تصبح الجزيرة مملة جداً.

تم تعيين محقق ثالث من قسم جرائم السطو والقتل يُدعى ديفيد لامبكين ليكون قائداً للوحدة بعد تقاعد برات. كان خبيراً في الجرائم الجنسية، ومعروفاً على الصعيد الوطني فقد اختير لهذا المنصب لأن الكثير من القضايا غير المحلولة التي كانوا يعملون عليها في الوحدة كانت ذات دوافع جنسية، وقد كان بوش يتطلع إلى العمل معه وكان يود أن يطلعه على آخر المستجدات بدلاً من برات، ولكن التوقيت لم يكن مناسباً.

قررا الاستمرار بالعمل مع مشرفهما الحالي، ومن الأشياء الإيجابية حول برات أنه كان سيمنحهما حرية التصرف حتى يوم تقاعده. لم يكن يريد أية

مواجهات أو صدامات في هذه الفترة، أراد أن يكون الشهر الأخير له في العمل هادئاً وخالياً من الصخب.

ومثل معظم رجال الشرطة الذين عملوا خمسة وعشرين عاماً في الوحدة، كان برات معيقاً، فهو من المدرسة القديمة. من النمط الذي يفضل العمل على آلة كاتبة بدلاً من الحاسوب. كان هناك آلة كاتبة من صنع شركة أي بي أم إلى جانب مكتبه، وكان يعمل على كتابة رسالة كان قد وصل إلى منتصفها عندما دخل عليه بوش ورايدر. ألقى بوش نظرة سريعة عليها في أثناء جلوسه، ورأى أنها رسالة إلى كازينو في جزر البهاماس. يحاول برات التقدم إلى وظيفة حارس ليلي في الجنة، وهذا دليل على ما يشغل باله في هذه الأيام.

بعد سماع ملخصهما، أعطى برات موافقته على العمل مع أوشيا، وأصبح مفعماً بالحيوية فقط عندما حذرهما من محامي راينارد ويتس، موري سوان.

قال برات: «اتركاني أخبركما عن موري. افعلا أي شيء عندما تقابلانه لكن لا تصافحاه».

سألت رايدر: «لمَ لا؟».

«ذات مرة كان لدي قضية معه. كان ذلك منذ زمن بعيد. كان يدافع عن أحد رجال العصابات المتهم بجريمة قتل. في كل يوم عند بدء المحكمة، اهتم موري كثيراً بمصافحتي، ثمّ مصافحة المدعي العام، وربما صافح القاضي أيضاً، لو سنحت له الفرصة».

«إذن؟».

«بعد أن أدين موكله حاول أن يحصل على تخفيض الحكم بالإبلاغ عن باقي المتورطين في القتل. أحد الأشياء التي أخبرني بها موكله في أثناء استجوابه أنه يعتقد أن موري قذر. وقال إن موري أخبره في أثناء المحاكمة أنه يستطيع رشوتنا جميعاً. أنا، والمدعي العام، والجميع. لذا، طلب رجل العصابة من صديقته أن تجلب له النقود، وشرح له موري أنه في كل مرة

كان يصافح فيها أيدينا كان يدفع لنا. أقصد بأنه كان يمرر المال لنا خلال المصافحة، ففي كل مرة كان يصافح بكلتا يديه. وكان يقنع موكله بأنه يدفع لنا في حين احتفظ بالنقود لنفسه طوال الوقت.

صاحت رايدر: «اللعنة! ألم تدعوا قضية عليه؟».

نفى برات ذلك بحركة من يده.

«لن يجدي الادعاء عليه نفعاً، ليس وهو عضو في نقابة المحامين، ولكن منذ ذلك الحين سمعت أن موري يحب المصافحة كثيراً، لذلك عندما تدخلا إلى تلك الغرفة معه ومع ويتس، لا تصافحاه.

تركا مكتب برات مبتسمين بسبب القصة، وعادا إلى مركز عملهما. تمّ تقسيم العمل خلال عودتهما من محكمة الجنايات. سيكون ويتس من مسؤولية بوش، وسيكون فيتزباتريك من مسؤولية رايدر. يجب أن يكونا على علم بكل شيء في الوقت الذي سيجلسان فيه مقابل ويتس في غرفة اللقاءات غداً.

نظراً لأن رايدر كان لديها القليل من الاطلاع على قضية فيتزباتريك، فقد تولّت أمر قراءة ملفه بعد انتهائها من ملف ماتريس. وهذا يعني أنه تم منح بوش الوقت الكافي كله لقراءة ملف راينارد ويتس. بعد سحب ملف فيتزباتريك وإعطائه لرايدر، اختار بوش أخذ المجلد القابل للطي الذي أعطاهما إياه أوشيا إلى المقهى.

كان يعلم أن ازدحام الغداء قد انتهى، وهكذا يتمكن من فتح الملفات والعمل من دون أن تشتت انتباهه الاتصالات المستمرة، والثرثرة في غرفة وحدة القضايا غير المحلولة. كان عليه استخدام منديل لتنظيف طاولة في الزاوية، ولكن بعد ذلك استقر بسرعة ليقوم بمراجعة الملفات.

كان هناك ثلاثة ملفات تتعلق بويتس؛ ملف كتاب القتل لشرطة لوس أنجلوس الذي أعده أوليفاس وتيد كولبيرت، شريكه في قسم جرائم القتل

في القسم الشمالي الشرقي، ملف عن اعتقاله السابق، وملف الادعاء الذي أعده أوشيا.

قرر بوش القراءة، وسرعان ما تعرف إلى راينارد ويتس وتفاصيل اعتقاله. كان المشتبه به في الرابعة والثلاثين من عمره، وعاش في شقة أرضية في شارع سويتزر غرب هوليوود. لم يكن رجلاً ضخماً، بلغ طوله خمس أقدام أو ستاً، وبلغ وزنه مئة واثنين وأربعين باونداً. كان مالكاً ومشغلاً لشركة صغيرة تعمل في مجال تنظيف النوافذ، تسمى كلير فيو لتنظيف زجاج الأبنية السكنية. ووفقاً لتقارير الشرطة، فقد لفت انتباه عنصري دورية، شرطيّ مستجد يدعى أرنولفو غونزاليس ورقيب التدريب المرافق له، تيد فينيل، في الساعة 1:50 بعد منتصف الليل في الحادي عشر من أيار. لقد أُلحقا بفريق الاستجابة للجرائم الذي كان يراقب حياً بجانب التل في إيكو بارك؛ بسبب الارتفاع الكبير في عدد عمليات السطو المنزلي التي حدثت في الليالي التي كان فيها فريق دودجيرز يلعب على ملعبه. بالرغم من أنهما كانا يرتديان الزي الرسمي، إلا أن غونزاليس وفينيل كانا في سيارة عادية لا تحمل إشارات الشرطة بالقرب من تقاطع ستاديوم واي وتشافيز رافين بلايس. عرف بوش الموقع. هناك حيث كان فريق الاستجابة للأزمات يراقب عن حافة نائية لملعب دودجيرر بجانب حي إيكو بارك.

كان يعلم أيضاً أنهم كانوا يتبعون استراتيجية معتادة لفريق الاستجابة للأزمات للبقاء في محيط الحي المستهدف، ومتابعة أية مركبة أو أشخاص يثيرون الشبهات، أو يبدون غرباء عن المكان. ووفقاً للتقرير الذي قدّمه غونزاليس وفينيل، لقد شكّا بأمر العربة التي كتب على كلا جانبيها «شركة كلير فيو لتنظيف زجاج الأبنية السكنية» فقد أثار تحركها في مثل هذا الوقت شكوكهما، فتتبعاها عن بعد، واستخدم غونزاليس منظار الرؤية الليلة لقراءة رقم لوحة العربة، ثم أدخل رقم اللوحة في جهاز الكمبيوتر الموجود معهما،

فهما فضّلا استخدامه بدلاً من اللاسلكي، خشية أن يكون اللص يحمل ماسحةً تتيح له اكتشاف ترددات لاسلكي الشرطة. ظهرت نتيجة البحث على الحاسوب. كانت اللوحة مسجلة لسيارة فورد موستانغ في كليرمونت. عندما تأكدا من أنّ لوحة الترخيص على العربة مسروقة، وأن لديهما الآن سبباً وجيهاً لإيقافها، أسرعا بالسيارة، وشغلا أضواء الشرطة، وأوقفا العربة في فيغيروا تيراس بالقرب من تقاطع شارع بودري.

كتب في ملخص الاعتقال: «بدا سائق العربة مضطرباً، وأخرج رأسه من النافذة للتحدث إلى غونزاليس، في محاولة منه لمنعه من القيام بمسح بصري للجزء الداخلي من السيارة، في ذلك الوقت اقترب فينيل من العربة من جهة مقعد الراكب الأمامي ووجه الضوء إليه. من دون دخول السيارة، تمكن فينيل من ملاحظة ما بدا أنه أكياس قمامة بلاستيكية سوداء على الأرضية أمام مقعد الراكب الأمامي للشاحنة. كان بالإمكان رؤية مادة بدت وكأنها دماء تتسرب على أرضية العربة من أحد الأكياس محكمة الإغلاق.

وبحسب التقرير: «سُئل السائق عما إذا كان ذلك تسرباً للدم من أحد الأكياس، فذكر أنه جرح نفسه في وقت سابق من اليوم عندما تحطمت نافذة زجاجية كبيرة كان ينظفها، وذكر أنه استخدم عدة خرق لتنظيف الزجاج من الدم، وعندما سئل عن مكان الجرح، ابتسم السائق وحاول فجأة إعادة تشغيل محرك السيارة، لكن غونزاليس استطاع أن يوقفه من خلال النافذة. وتمكنا بجهد قليل من إخراج السائق من السيارة، وألقيا به أرضاً وقيداه، ثم نقلاه إلى المقعد الخلفي لسيارة الشرطة غير المميزة.

فتح فينيل العربة وتفحص الأكياس، فوجد أن الكيس الأول الذي فتحه يحتوي على أجزاء من جسم إنسان، فاستدعيت وحدات التحقيق على الفور إلى مكان الحادث.

أشارت رخصة القيادة للرجل الذي أخرج من العربة بأنه راينارد ويتس.

فاحتجز في مركز توقيف القسم الشمالي الشرقي في حين استمر التحقق من عربته وأكياس القمامة طوال الليل في فيغيروا تيراس. تولى المحققان أوليفاس وكولبيرت، الفريق المناوب في تلك الليلة التحقيق، وتتبعا بعض الخطوات التي اتخذها غونزاليس وفينيل، وعندها علمَا أنّ العنصر المستجد قد أدخل في الحاسوب رقماً خاطئاً للوحة الشاحنة، حيث كتب حرف F وعندها حصل على تسجيل لوحة سيارة موستانغ في كليرمونت.

من وجهة نظر القانون، كان «خطأ عن حسن النية»، وهذا يعني أنّ السبب المحتمل لإيقاف العربة لا يزال موجباً لأنّ الرجلان كانا يتصرفان بحسن نية عندما ارتكبا خطأً غير مقصود، افترض بوش أن هذه كانت نقطة الاستئناف التي ذكرها ريك أوشيا سابقاً.

وضع بوش ملف التحقيق في الجريمة جانباً، وفتح ملف الادعاء. وبحث في الوثائق بسرعة حتى وجد نسخة من الاستئناف. قرأها بسرعة، ووجد ما كان يتوقعه. ادّعى ويتس أنه لطالما كان أفراد شرطة لوس أنجلوس يدخلون أرقاماً مغلوطة للوحة التسجيل، وذلك إذا ما أرادوا توقيف سيارة من دون وجود سبب مشروع محتمل للقيام بذلك. بالرغم من أنّ قاضي المحكمة العليا وجد أن غونزاليس وفينيل تصرفا بحسن نية، وتمسّكا بشرعية البحث، إلا أن ويتس استأنف هذا القرار أمام محكمة الاستئناف المحلية.

عاد بوش إلى ملف التحقيق. بغض النظر عن مسألة قانونية توقيف العربة، فقد تحرك التحقيق في قضية راينارد ويتس بسرعة. ففي صباح ليلة توقيفه، حصل أوليفاس وكولبيرت على مذكرة تفتيش لشقته في سويتزر حيث كان يعيش بمفرده. وجدا في البحث الذي استمر لأربع ساعات وبالتحليل الجنائي للشقة عينات عدّة تعود لشعر إنسان، ودم في بالوعة الحمام ومصائد الحوض، إضافة إلى مكان مخفي تحت الأرض يحتوي على قطع عدّة من مجوهرات نسائية، والعديد من الصور الفورية لنساء شابات عاريات واللواتي

بـدَوْن فاقـدات الوعـي أو ميتات. أما في غرفة المنافع، فوجدوا ثلاجة فارغة، باسـتثناء عيّنتيـن لشـعر العانـة التـي عثر عليهـا بتقنية التعرف إلـى الهوية. في غضـون ذلـك، نُقلـت الأكيـاس البلاسـتيكية الثلاثة الموجودة فـي العربة إلى مكتـب الطبيـب الشـرعي وفتحـت. ووجد أنها تحتوي علـى أجزاء من جثتي امرأتين، اختطفتا وتعرضتا للخنق، ومزقت جثتيهما بعد الوفاة بالطريقة نفسها، وتجـدر الإشـارة إلـى أن الأجزاء من إحـدى الجثتين أظهرت دلائل على أنها أذيبت بعد أن كانت متجمدة.

بالرغم من أنه لم يُعثر على أدوات تقطيع في عربة ويتس أو شقته، إلا أن الأدلة التي جمعت أظهرت أنه بينما كان غونزاليس وفينيل يبحثان عن لص، عثرا على ما يبدو أنه قاتل متسلسل. ساد الاعتقاد أن ويتس قد تخلص بالفعل أو أخفى أدواته، وكان في طور التخلص من جثتي الضحيتين عندما لفت انتباه دورية الاسـتجابة للطوارئ، وأشـارت الدلائل إلى أنه قد يكون هناك ضحايا آخرون كذلك. وأفادت التقارير الواردة في الملف بالتفصيل إلى الجهود التي بذلت في الأسابيع القليلة التالية للتعرف إلى الجثتين. بالطبع، لم يقدّم ويتس أية مساعدة في هذا الصدد، فقد استعان بخدمات موري سوان في صباح يوم القبض عليه، واختار البقاء صامتاً مع اسـتمرار عمليات إنفاذ القانون، وشـنّ سوان هجوماً على السبب المحتمل لإيقافه.

تمّ التعرف إلى هوية إحدى الضحيتين دون الأخرى. وقد تم أخذ بصمات أصابع إحدى المرأتين المقطعتين، وأدخلت البصمة في قاعدة البيانات التابعة لمكتب التحقيقات الفدرالي. تم تحديد هويتها على أنها هاربة تبلغ من العمر سـبعة عشـر عامـاً مـن دافنبـورت، أيـوا. غادرت ليندسـي مـاذرز المنزل قبل شهرين، وعُثر عليها في عربة ويتس، ولم يعرف والداها عنها أي شيء طوال ذلك الوقت. من خلال الصور التي قدمتها والدتها، تمكن المحققون من رسم مسار تنقلها في لوس أنجلوس. تم التعرف إليها من قبل مستشاري الشباب في

العديد من ملاجئ هوليوود. كانت تستخدم أسماء مختلفة، لتجنب التعرف إليها وإعادة إرسالها إلى المنزل، وكانت هناك مؤشرات على تورطها في تعاطي المخدرات، وبغاء الشوارع.

يُعتقد أن علامات حقن الإبر الموجودة على جسدها في أثناء تشريح الجثة كانت نتيجة لممارسة طويلة ومتواصلة لحقن المخدرات. بيّن فحص الدم في أثناء تشريح الجثة وجود الهيروين، والفينول خماسي الكلور في الدم.

كذلك تم عرض الصور الفورية التي وُجدت في شقة ويتس على مستشاري الملجأ الذين ساعدوا في التعرف إلى ليندسي ماذرز، وتمكنوا من تقديم مجموعة من الأسماء المختلفة لثلاث من النساء على الأقل. كانت قصصهن مشابهة لرحلة ماذرز، وكن هاربات ومنخرطات في ممارسة البغاء كوسيلة لكسب المال مقابل المخدرات.

من خلال الأدلة والمعلومات التي جُمعت، بدا لبوش أن ويتس كان مفترساً استهدف الشابات اللواتي لن يُفتقدن على الفور، والمهمشات مجهولات الهوية من قبل المجتمع في المقام الأول، ولذلك لم يُفتقدن عندما اختفين. كانت الصور الفورية التي وجدوها في المكان المخفي في شقة ويتس في الملف، مغلفة بأغطية بلاستيكية، أربعة في كلّ صفحة. كان هناك ثماني صفحات تحتوي على صور متعددة لكل امرأة. ذكر تقرير تحليلي مرفق أنّ مجموعة الصور تحتوي على لقطات لتسع نساء مختلفات، من ضمنهن المرأتان اللتان عثر على أشلائهما في عربة ويتس، وسبع نساء مجهولات الهوية. عرف بوش أنه من المحتمل أن تكون النسوة السبع هن من عرض ويتس على السلطات اطلاعها على مكانهن إضافة إلى ماري غيستو ورجل مكتب الرهن، لكنه درس الصور على أي حال ليرى إن كانت أي منها تعود لماري غيستو.

لم يجد لها صورة، كانت الوجوه في الصور تخص نساء لم يثرن ضجة

كتلك التي أثارها اختفاء ماري غيستو.

جلس بوش وخلع نظارة القراءة ليريح عينيه للحظات. تذكر أحد أساتذته الأوائل في تحقيقات جرائم القتل. كان المحقق راي فون يتعاطف بشكل خاص مع الأشخاص الذين سماهم «الضحايا النكرات»، الضحايا الذين لم يكن لهم اعتبار. لقد علم بوش في وقت مبكر أنّ الضحايا جميعهم في المجتمع لا يخلقون متساوين، ولكن يجب أن يكونوا متساوين بالنسبة إلى المحقق الحقيقي.

قال له راي فون: «كل ضحية لها والدان، وبالتالي كل ضحية لها قيمة».

فرك بوش عينيه، وفكّر في عرض ويتس بشأن إماطة اللثام عن تسع جرائم، بما في ذلك جريمتا ماري غيستو ودانيال فيتزباتريك، والضحايا السبعة اللواتي لم يؤثر غيابهن على أحد، يبدو أن شيئاً ما لم يكن صحيحاً في ذلك، فقد كان فيتزباتريك الوحيد الذكر والذي لم يُقتل بدوافع جنسية. لطالما افترض أن جريمة قتل ماري غيستو كانت جريمة بدوافع جنسية. لكنها لم تكن ضحية مثل باقي الضحايا فقد أحدث اختفاؤها بلبلة كبيرة. هل تعلم ويتس منها؟ هل طوّر مهاراته بعد قتلها حتى لا يلفت انتباه الشرطة والإعلام مرة أخرى؟ يعتقد بوش أنه ربما كانت البلبلة التي أحدثتها قضية غيستو هي ما تسبب في تغير ويتس، ليصبح قاتلاً أكثر مهارة ودهاء. إذا كان الأمر كذلك، فسيتعين عليه التعامل مع هذا الذنب في وقت لاحق، ولكن حالياً يجب أن يركز في ما هو أمامه.

وضع نظارته مرة أخرى، وعاد إلى الملفات. كانت الأدلة ضد ويتس قوية، فما من شيء أقوى من حيازة أشلاء الجثتين. شكّل هذا كابوساً لمحامي الدفاع، وحلماً للمدعي العام. بدأت جلسة الاستماع الأولية بعد أربعة أيام من إلقاء القبض على ويتس، ورفع مكتب المدعي العام الرهان مع إعلان أوشيا أنهم مستمرون حتى يحصلوا على عقوبة الإعدام.

كان لدى بوش مفكرة إلى جانب الملف المفتوح؛ ليسجل عليها أسئلته لأوشيا أو ويتس أو غيرهما. إلا أنها كانت فارغة عندما وصل إلى نهاية مراجعته لملفات التحقيق والادعاء. عندها بدأ بتسجيل السؤال الوحيد الذي تبادر إلى ذهنه:

إذا قتل ويتس غيستو، فلماذا لم تكن هناك
صورة لها في شقته؟
وبما أنه عاش في غرب هوليوود، فما الذي
أرسله إلى إيكو بارك؟

السؤال الأول يمكن أن يفسر بسهولة فقد عرف بوش أن القتلة في تطور مستمر، فربما تعلم ويتس من جريمته عندما قتل غيستو بضرورة الاحتفاظ بشيء يذكره بجريمته، وبذلك بدأ يحتفظ بالصور بعد جريمة غيستو.

أما السؤال الثاني فأزعجه أكثر، لم يكن هناك تقرير في الملف يجيب عن هذا السؤال، فربما ظنوا ببساطة أن ويتس كان في طريقه للتخلص من أشلاء الجثتين، ربما لدفنها في الحدائق التي تحيط بملعب دودجيرز. لم يُشر إلى أي تحقيق آخر في هذا الأمر أو الدعوة إليه. ولكن بالنسبة إلى بوش، هناك أمر آخر يجب التفكير فيه، وهو أن إيكو بارك كانت على بعد نصف ساعة على الأقل بالسيارة من شقة ويتس في غرب هوليوود. وهذا وقت طويل ليقود فيه أحدهم عربة وفي حوزته أكياس فيها أشلاء جثث. إضافة إلى ذلك، كان هناك غريفيث بارك، التي كانت تعتبر أكبر، وتحتوي على جيوب من التضاريس المعزولة والصعبة أكثر من المنطقة المحيطة بالملعب، وهي أقرب إلى شقته في غرب هوليوود، وهي خيار أفضل للتخلص من الأشلاء.

بالنسبة إلى بوش، عنى ذلك أن ويتس كان يقصد مكاناً محدداً في إيكو بارك. يبدو أن التحقيق الأصلي لم ينتبه إلى هذه النقطة أو لم يعتبرها مهمة،

بعد ذلك كتب كلمتين:

الملف النفسي؟

لم تُجرَ دراسة نفسية للمدعى عليه، وهذا ما فاجأ بوش إلى حدّ ما. ظن أن ذلك كان قراراً استراتيجياً من قبل المدّعي العام. ربما اختار أوشيا عدم السير في هذا الطريق لأنه لم يكن يعرف بالضبط إلى أين سيقوده. أراد أن يُحاكم ويتس على الوقائع ويرسله إلى الإعدام، ولم يرد أن يفتح باباً للدفاع يقوده للتذرع بجنون المتهم. مع ذلك، اعتقد بوش، أن الدراسة النفسية يمكن أن تكون مفيدة لفهم المتهم وجرائمه. كان يفترض إجراء دراسة نفسية سواء كان المتهم متعاوناً أم لا، فمن الممكن استخلاص ملف تعريف من الجرائم نفسها، وكذلك مما كان معروفاً عن ويتس من خلال ظهوره التاريخي، وما عُثر عليه في شقته، والمقابلات التي أجريت مع أولئك الذين عرفهم وعمل لديهم. قد يكون هذا الملف الشخصي مفيداً أيضاً لأوشيا كميزة ضد تحرك الدفاع بادعاء جنون المتهم.

لكن الآن فات الأوان على القيام بذلك، فقد كان لدى القسم طاقم نفسيّ قليل العدد، ولن يتمكن بوش من القيام بأي شيء قبل المقابلة مع ويتس في الغد، وستكون نتيجة إرسال طلب إلى مكتب التحقيقات الفدرالي الانتظار لمدة شهرين في أحسن الأحوال.

فجأة خطرت لبوش فكرة، لكنه قرر أن يفكر فيها ملياً قبل أن يُقدم على أي شيء. وضع الأسئلة جانباً لبعض الوقت، ونهض لإعادة ملء فنجان القهوة. كان يستخدم كوب قهوة حقيقياً جلبه معه من وحدة الجرائم غير المحلولة لأنه يفضله على أكواب القهوة البلاستيكية.

كان كوبه مقدماً من كاتب ومنتج تلفزيوني شهير اسمه ستيفن كانيل قضى بعض الوقت مع الوحدة التنظيمية في أثناء قيامه ببحث في مشروع. طُبع على

جانب الكوب جزء من العبارة المفضلة لدى كانيل وهي ما الذي يفكر فيه الرجل الشرير؟ حتى بوش أحبها لأنه اعتقد أنه سؤال جيد للمحقق الحقيقي ليفكر فيه دائماً. عاد إلى طاولة المقهى، ونظر إلى الملف الأخير.

كان أقل سماكة وأقدم من الملفات الثلاثة. توقف عن التفكير بإيكو بارك والملفات النفسية، وجلس وفتح الملف. تضمن التقارير والتحقيقات المتعلقة بتوقيف ويتس في فبراير 1993 لقيامه بالتطفل والمراقبة. كانت تلك الحادثة الوحيدة في ملف ويتس حتى اعتقاله بعد ثلاث عشرة سنة في العربة حيث عثر معه على الأشلاء.

أفادت التقارير أنه قبض على ويتس في الفناء الخلفي لمنزل في منطقة فيرفاكس بعد أن نظرت إحدى الجارات والتي كانت مصابة بالأرق من نافذتها في أثناء سيرها في منزلها المظلم، ورأت رجلاً ينظر إلى داخل المنزل المجاور عبر النوافذ. أيقظت المرأة زوجها النائم، الذي سرعان ما تسلل من المنزل، وقفز على الرجل واحتجزه حتى وصلت الشرطة. وجدوا بحوزة الرجل مفك براغٍ، واتُّهم بالتطفل والمراقبة، لم يكن يحمل أية هوية، وأخبر عناصر الشرطة الذين اعتقلوه أنه يدعى روبرت ساكسون وقال إنه يبلغ من العمر سبع عشرة عاماً. لكن حيلته انهارت عندما أُخذت بصمة إبهامه خلال احتجازه، ووجدوا أنها تتطابق مع سجلات دائرة المركبات، وتعود إلى رخصة قيادة صادرة قبل تسعة أشهر باسم راينارد ويتس، وعندها تم التعرف إليه باسم راينارد ويتس، البالغ من العمر إحدى وعشرين عاماً. حملت رخصة القيادة يوم الميلاد والشهر نفسه إلا أن ذلك كان يتعارض مع ما ادعاه راينارد ويتس، فقد كان أكبر بأربع سنوات كي يكون روبرت ساكسون.

بمجرد التعرف إليه، اعترف ويتس للشرطة في أثناء استجوابه أنه كان يبحث عن منزل ليسطو عليه. مع ذلك، لوحظ في التقرير أن النافذة التي شوهد ينظر من خلالها هي نافذة غرفة نوم فتاة تبلغ من العمر خمسة عشر

عاماً، ومع ذلك، تجنب ويتس أي نوع من صفة مرتكب الجرائم الجنسية في اتفاق التماس تم التفاوض عليه من قبل محاميه ميكي هالر. وقد حُكم عليه بالسجن لمدة ثمانية عشر شهراً، وطبقاً للتقارير، أنهى محكوميته من دون ارتكاب أية مخالفة.

أدرك بوش أن الحادث كان إنذاراً مبكراً لما سيحدث، لكن النظام كان مثقلاً جداً وغير فعّال لإدراك الخطر الكامن في ويتس. حسب التواريخ، أدرك أنه بينما كان ويتس يكمل الاختبار بنجاح في أعين نظام العدالة، كان يتطور أيضاً من متطفل إلى قاتل، واختطف ماري غيستو قبل أن ينتهي من تبييض سجله.

«كيف تجري الأمور؟».

نظر بوش إلى الأعلى، ونزع نظارته بسرعة حتى يتمكن من التركيز عند النظر إلى المسافات البعيدة. كانت رايدر قد نزلت للحصول على القهوة. كانت تحمل كوباً فارغاً مكتوباً عليه ما الذي يفكر فيه الرجل الشرير؟! فقد أعطى الكاتب واحداً لكل فرد في الفريق.

قال: «أوشكت على الانتهاء. ماذا عنكِ؟».

«لقد انتهيت مما أعطانا إياه أوشيا. اتصلت بأرشيف الأدلة لأسأل عما يتعلق بقضية فيتزباتريك».

«ماذا هناك؟».

«لا أعرف على وجه اليقين، لكن الموجود في الكتاب يسرد فقط المحتويات كسجلات رهن، لهذا السبب قمت بسحبه. بينما أنتظر، سأنتهي من ملف ماتريس وسيكون جاهزاً بحلول الغد. اعتماداً على الوقت الذي سنتحدث فيه إلى ويتس، سأنهي ملف ماتريس قبل لقائنا ويتس أو بعده. هل تناولت الغداء؟»

«لقد نسيت. ماذا رأيت في ملف فيتزباتريك؟».

سحبت الكرسي المقابل لبوش وجلست، قبل أن تقول: «تعاملت مع القضية فرقة المهام الخاصة لجرائم الشغب قصيرة الأمد، هل تذكرها؟».

أومأ بوش برأسه.

قالت: «كان لديهم معدل حلّ للقضايا يصل إلى عشرة بالمئة».

«في الأساس، كلّ من فعل أي شيء خلال الأيام الثلاثة تلك، نجا من العقاب ما لم تضبطه الكاميرا، مثل ذلك الطفل الذي رمى سائق الشاحنة بالطوب في حين كانت مروحية أخبار فوقه مباشرة».

تذكر بوش أنه كان هناك أكثر من خمسين حالة وفاة خلال أيام الشغب الثلاثة في العام 1992 وتمّ حل أو توضيح عدد قليل جداً. لقد كانت فترة انعدم فيها القانون في المدينة، تذكّر المشي في وسط هوليوود بوليفارد ورؤية المباني المشتعلة على جانبي الشارع. ربما كان أحد تلك المباني يحتوي على مكتب رهن فيتزباتريك.

قال: «لقد كانت مهمة مستحيلة».

علقت رايدر: «أعرف. كان تكوين ملف للقضايا من تلك الفوضى مهمة مستحيلة، أستطيع القول من ملف فيتزباتريك أن فرقة المهام الخاصة لم تنفق الكثير من وقتها على جمع الأدلة. لقد عملوا في مسرح الجريمة في حين كانت فرقة التدخل السريع تحرس المكان، واكتفوا بتوصيف الأمر على أنه عنف غير منظم، بالرغم من أنهم أغفلوا النظر إلى كثير من الأمور وفقاً للطريقة العادية».

«مثل ماذا؟».

«حسناً، بالنسبة إلى المبتدئين، يبدو أن فيتزباتريك كان شخصاً مستقيماً. فقد رُفعت بصمات الأشخاص الذين كانوا يجلبون الأشياء إلى مكتب المراهنات».

«كان يرفض رهن أشياء مسروقة».

«بالضبط. وهل تعرف مكتب رهن في ذلك الوقت كان يفعل هذا طوعاً؟ إذ احتفظ بقائمة تحتوي على ستة وثمانين عميلاً من العملاء الذين لم يكن يرغب في التعامل معهم لأسباب مختلفة، منهم كانوا لحوحين أو يهددونه، فلم يكن أمراً غير عادي أن يعود من رهنوا لديه ممتلكاتهم لتبين لهم أنهم تأخروا، وأن مدة الرهن قد انتهت، وأنه باع ممتلكاتهم، فعندها يغضبون ويهددون صاحب مكتب الرهن، وما إلى ذلك. عرفوا معظم هذه المعلومات من رجل عمل لديه في المتجر، ولم يكن هناك ليلة الحريق.

«لذا، تم تفقّد قائمة الستة وثمانين عميلاً».

«يبدو أنهم كانوا يتفقدون القائمة عندما حدث شيءٌ ما. توقفوا وأوقفوا القضية على أنها عنف غير منظم مرتبط بأعمال الشغب. وقد أضرمت النيران بفيتزباتريك بسائل قابل للاشتعال. نصف المتاجر التي أُحرقت في الحي أُحرقت بالطريقة نفسها، لذا توقفوا عن التحقيق وانتقلوا إلى القضية التالية. كان هناك شخصان يعملان على هذا التحقيق، أحدهما الآن متقاعد والآخر يعمل في المحيط الهادئ. إنه رقيب دورية الآن، في دورية المساء. تركت رسالة له.

عرف بوش أنه لا يجدر به أن يسأل إن كان اسم راينارد ويتس مدوّن على قائمة العملاء غير المرغوب في التعامل معهم، لأن رايدر كانت لتشير إلى ذلك.

اقترح بوش: «قد يكون من الأسهل عليك الوصول إلى الرجل المتقاعد. فالرجال المتقاعدون يريدون دائماً التحدث».

أومأت رايدر برأسها وقالت: «هذه فكرة».

«الشيء الآخر هو أن ويتس استخدم اسماً مستعاراً، روبرت ساكسون، عندما تم اعتقاله بتهمة التطفل والمراقبة، أعرف أنك تفقدت إذا ما كان اسم ويتس مدوناً في القائمة، ربما يجب البحث عن اسم روبرت ساكسون أيضاً».

«فهمت ما ترمي إليه».

«انظري، أعلم أن لديك ذلك العمل كله، ولكن هل لديك الوقت للقيام بتشغيل المتتبع التلقائي على ويتس اليوم؟».

إنّ تقسيم العمل في شراكتهما جعلها تقوم بمعظم أعمال الحاسوب؛ المتتبع التلقائي عبارة عن قاعدة بيانات حاسوبية يمكن أن توفر سجل عنوان الفرد من خلال أدوات التوصيل والكابلات، وسجلات دائرة المركبات ومصادر أخرى. لقد كانت مفيدة جداً في تعقب الأشخاص عبر الزمن.

«أعتقد أنه يمكنني القيام بهذا».

«أريد معرفة المكان الذي عاش فيه، لم أستطع معرفة سبب وجوده في إيكو بارك، ويبدو لي أن أحداً لم يُثر هذه النقطة».

«اعتقدت أنه أراد رمي الأكياس».

«نعم، نعم، نحن نعلم ذلك. ولكن لماذا إيكو بارك؟ لقد عاش بالقرب من غريفيث بارك، ومن المرجح أنه مكان أفضل لدفن الأشلاء أو إغراقها. لا أعرف، هناك شيء مفقود أو شيء في غير مساره الصحيح. أعتقد أنه كان ذاهباً إلى مكان يعرفه».

«ربما أراد الابتعاد قدر الإمكان عن منزله، كما تعلم، ربما اعتقد أنه كلما ابتعد عنه كان ذلك أفضل».

أومأ بوش برأسه، لكنه لم يقتنع.

«أعتقد أنني سأذهب إلى هناك».

«وماذا؟ هل تعتقد أنك ستجد المكان الذي كان سيدفن فيه تلك الأكياس؟ وهل تحولت إلى وسيط روحي الآن يا هاري؟»

«ليس بعد. ولكنني أريد أن أعرف أي شيء قبل أن نتحدث إليه في الغد».

مجرد لفظ اسم ويتس جعل بوش يتجهّم ويهز رأسه.

سألته رايدر: «ماذا؟».

«هـل تعرفيـن مـا الذي نقوم به هنا؟ نحن نسـاعد فـي الحفاظ على حياة الرجـل الـذي يُقطّـع النسـاء، ويحتفـظ بهن فـي الثلاجة ثم يخـرج من الغرفة ويضطـر إلـى إخراجهـن مثـل القمامة، هذا هـو عملنا، إيجـاد طريقة للحفاظ على حياته».

عبسـت رايـدر وقالـت: «أعرف ما الذي تشـعر به يـا هاري، ولكن يجب أن أخبرك، أنني أتفق نوعاً ما مع أوشيا في هذا الشأن، أعتقد أنه من الأفضل أن تعـرف العائـلات جميعهـا مصيـر فلذات أكبادها، الأمـر مثل ما حدث مع أختي، أردنا أن نعرف».

عندما كانت رايدر في سن المراهقة، قُتلت شقيقتها الكبرى في إطلاق نار من سيارة، ولكن القضية حلّت عندما ألقي القبض على مطلقي النار الثلاثة. كان هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعها لتكون شرطية.

أضافت: «أعتقد أنك تعرف هذا الشعور فهو ما حدث مع والدتك نفسها».

نظـر بـوش إليهـا. فقـد قُتلت والدتـه عندما كان فتىً، بعـد أكثر من ثلاثة عقود حل الجريمة بنفسه؛ لأنه أراد أن يعرف من القاتل.

قال: «أنتِ محقة. لكنني لا أتقبل الأمر الآن، هذا كل ما في الأمر».

«لماذا لا تذهب في جولتك وتصفّي ذهنك قليلاً. سـأتصل بك إذا ظهر أيَ شيء على المتتبّع التلقائي».

«هذا ما سأقوم به».

بدأ بإغلاق الملفات ووضعها بعيداً.



4

يقـع حـي إيكـو بارك في لـوس أنجلوس، في ظلّ أبراجٍ وسـط المدينة، وتُرى منه الأضواء الصادرة من ملعب دودجير إنه من أقدم الأحياء، وأكثرها تغيـراً علـى الإطـلاق. اعتبـر على مرّ العقـود ملاذاً للمهاجريـن الذين يفدون إلـى المدينـة. في البدء، سـكنته الطبقة الفقيرة مـن الإيطاليين، بعدها وفد إليه المكسـيكيون، والصينيـون، والكوبيـون، والأوكـران وغيرهم. يتطلب السـير فـي جـادة سانسـيت ليـوم واحـد مهارة إجادة خمس لغـات أو أكثر؛ لقراءة ما هـو مكتـوب علـى واجهات المحـلات، كان المكان الوحيد في المدينة الذي يُكدر صوت إطلاق الرصاص هدوء ليله، إضافة إلى التهليل المرافق لمباريات البيسبول، وعواء الذئاب الصادر من التلال.

فـي هـذه الأيـام، أصبح حي إيكو بارك مقصداً لوافدين جدد من الشـبان العصرييـن الظرفـاء مـن الفنانيـن، والموسـيقيين، والكتّاب الذيـن انتقلوا إلى الإقامة فيه. وتتجاور فيه المقاهي ومحلات بيع الملابس التقليدية مع محلات البقالة والمأكولات البحرية. إنّ عملية التطوير العمراني تكتسـح المسـاحات المسـتوية صعـوداً نحـو التـلال أسـفل ملعب البيسـبول. وهذا يعنـي أنّ هوية المكان آخذةٌ بالتغير، وأنّ أسعار العقارات آخذة بالارتفاع، وهذا ما أبعد عنه أفراد الطبقة العاملة، ورجال العصابات.

في طفولته، عاش بوش لفترة وجيزة في إيكو بارك، كان هناك حانةٌ للشرطة في جادة سانسيت، قبل سنوات عدة، أطلق عليها شورت ستوب المؤقتة. لاحقاً لم يعد رجال الشرطة موضع ترحيب هناك. قدّم هذا المكان خدمة ركن السيارات والطعام لجمهور هوليوود. الأمران اللذان من شأنهما إبقاء رجال الشرطة الذين هم خارج أوقات دوامهم بعيداً. أصبح حي إيكو بارك بالنسبة إلى بوش غير ذي أهمية. فلم يعد يقصده. كان عبارة عن طريق مختصر يسلكه عادة عندما يتجه إلى عمله في وحدة القضايا غير المحلولة، أو بقصد الاستمتاع بمشاهدة مباراة فريق دودجيرز.

انطلق بسرعة من وسط المدينة على الطريق 101 الواقع إلى شمال جادة إيكو بارك، ثم اتجه شمالاً مجدداً نحو المكان الذي اعتُقل فيه راينارد ويتس. ما إن عبر إيكو ليك حتى شاهد تمثال سيدة البحيرة وهو يحرس زنابق الماء. كانت راحتا يديه مرفوعتين كما لو أنه ضحية عملية سطو. عندما كان طفلاً، عاش قرابة العام برفقة والدته في شقة تعود ملكيتها إلى السيد بالمر عند الجهة المقابلة للبحيرة، كانت فترة سيئة لكليهما ولم تُمحَ ذكرياتها من ذاكرته. تذكر ذلك التمثال بشكل مبهم، ولم يتذكر أي شيء آخر.

مع غروب الشمس انعطف نحو اليمين، وسلك الطريق نزولاً نحو بودري. من هناك قاد السيارة صعوداً نحو التلال قاصداً فيغيروا تراس. ركن السيارة عند الرصيف بالقرب من التقاطع حيث أوقفت سيارة ويتس. لا تزال المنازل الأسمنتية التي يعود بناؤها إلى فترة الثلاثينات والأربعينات مكانها، إنها متواضعة، تحيط بها حدائق ذات بوابات ونوافذ مدعمة بقضبان حديدية، ولم تكن السيارات المركونة أمام المداخل جديدة ولمّاعة. إنها المنطقة التي يقطن فيها الآن معظم اللاتين والآسيويين. فكّر في عربة ويتس الخاصة بتنظيف النوافذ، وتساءل مرة أخرى لماذا كان في هذا الشارع من الحي. لم يكن هذا الحي من الأحياء التي قد يحصل فيها على زبائن.

أياً يكن الأمر، لم يكن هذا الشارع من الشوارع التي تتوقع أن تجد فيها عربة تجارية في الثانية بعد منتصف الليل، لقد كان قرار الشرطيين بتوقيفه قراراً صائباً.

ركن بوش سيارته. ترجّل منها، ونظر حوله، ثم استند إلى السيارة وأخذ يُفكر، لا يزال غير قادر على الاستيعاب. لماذا اختار ويتس هذا المكان؟ بعد بضع دقائق فتح هاتفه، واتّصل بشريكته.

سألها: «هل تحققتِ من المتتبع التلقائي؟».

«فعلتُ للتو. أين أنت؟».

«إيكو بارك. هل ظهر أي شيء بالقرب من هنا؟».

«أنا أنظر، حدد مكانه أقصى الشرق في مساكن مونتسيتو في فرانكلين».

يعلم بوش أن مونتسيتو ليست قريبة من إيكو بارك، ولكنها في الوقت نفسه ليست بعيدة عن الأبراج، حيث وجدت سيارة ماري غيستو.

سألها: «متى كان في مونتسيتو؟».

«دعني أرَ، انتقلَ إلى الإقامة هناك بعد قضية غيستو في العام 1999، وغادر في السنة التالية، لقد أقام سنة واحدة».

«هل من شيء آخر يستحق الذكر؟».

«لا يا هاري، لا شيء غير مألوف».

«بدّل هذا الرجل مكان سكنه كلّ عام أو عامين، أعتقد أنه لم يُحب الإقامة في المكان نفسه وقتاً طويلاً».

«حسناً يا كيز. شكراً لك».

«هل ستعود إلى المكتب؟».

«بعد قليل».

أغلق الهاتف، وعاد إلى السيارة. سلك جادة فيغيروا متجهاً إلى وادي شافيز. وصادف إشارة توقف أخرى. فيما سبق عُرفت هذه المنطقة كلها باسم

وادي شافيز. لكن هذا كله كان قبل أن تجلي هيئة المدينة جميع السكان، وتهدم الأكـواخ والأكشـاك كلهـا التـي كانوا يعتبرونها موطناً لهـم. كان من المفترض أن يباشـر بإنشـاء مشـروع سـكني كبير في الوادي، يتضمن حدائقَ، ومدارسَ، ومولات لاستقدام هؤلاء الذين هُجّروا. ولكن ما أن هُدمت المباني حتى ألغت هيئة المدينة مخططاتها، وبني بدلاً من ذلك ملعب للبيسبول. لكن بحسب ما تذكر بوش كان الأمر مدبراً. كان يستمع مؤخراً لقرص أغانٍ مدمج اسمه شافيز رافين لمغنٍ يدعى راي كودر. لم يكن من نمط موسيقى الجاز، ولكن لا بأس به. أحبَّ أغنية «هذا مجرد عمل لي» كانت ترنيمة عن سـائق بلدوزر قدم إلى الوادي لهدم أكواخ الناس الفقراء، ورفض أن يشعر بالذنب من جراء ذلك.

عليك أن تذهب إلى حيث يرسلونك

عندما تكون سائق بلدوزر...

اتجـه نحـو اليسـار فـي وادي شـافيز، ليصـل بعد بضع دقائـق إلى طريق الملعب، والبقعة التي لفت فيها ويتس انتباه دورية الشرطة للمرة الأولى عندما كان يعبر الطريق نزولاً إلى إيكو بارك.

تفحّـص التقاطـع عنـد إشـارة التوقـف. كان طريـق الملعب هـو الطريق الرئيسـي المـؤدي إلـى مـرأب الملعـب العمـلاق. في حال قـدوم ويتس إلى الحـي سـالكاً هـذا الطريـق، كمـا أفاد تقرير التوقيف، فلا بـد أنه أتى قادماً من وسـط المدينة، عبر الطريق السـريع للملعب أو جادة باسـادينا. لن يكون هذا طريق منزله في غرب هوليوود. شعر بوش للحظات بالحيرة، لكنه أقرّ بنقص المعلومـات التـي تتيـح له الوصول إلى اسـتنتاجات. كان بوسـع ويتس قيادة السـيارة عبـر إيكـو بـارك، متأكداً من أنّ لا أحـد يقتفي أثره. ثمّ يغافل الدورية بعد أن يلتف عائداً أدراجه.

أدرك أن هنالـك أمـوراً كثيـرة لا يعرفهـا عن ويتـس، وأزعجته حقيقة أنه

سيكون وجهاً إلى وجه مع القاتل في الغد، وشعر أنه غير جاهز. أخذ بعين الاعتبار الفكرة التي راودته سابقاً، لكن لم يتردد هذه المرة، فتح هاتفه، واتصل بمكتب التحقيقات الفيدرالية الميداني في ويستوود.

قال لعامل المقسم: «أبحث عن عميلة تدعى ريتشل وولينغ، لست واثقاً في أية فرقة تعمل».

«انتظر قليلاً».

أطلقت سيارة قادمة من الخلف بوقها في حين كان ينتظر، فتحرك بوش عبر التقاطع، وانعطف عائداً إلى الخلف، وركن السيارة خارج الطريق في ظل شجرة أوكاليبتوس. أخيراً بعد قرابة دقيقتين من الانتظار جرى تحويل اتصاله ليجيبه صوت رجل قائلاً: «العمليات».

«من فضلك، أرغب في التحدث إلى العميلة وولينغ».

«انتظر دقيقة».

«حسناً» قال بوش بعد أن سمع الإشارة.

تم تحويل المكالمة بسرعة هذه المرة ليسمع بوش صوت ريتشل وولينغ للمرة الأولى منذ عام.

تردّد قليلاً في الحديث حتى كادت أن تغلق السماعة.

«مرحباً ريتشل، أنا هاري بوش».

أصبحت ريتشيل الآن هي المترددة.

«هاري..»

«حسناً، ماذا تعنيه كلمة 'العمليات'؟».

«إنّه محض تصنيف للفرقة».

أدرك الأمر. لم تجب لأنها كانت معلومات محجوبة، وكانت المكالمات على الأرجح تُسجل في مكانٍ ما.

«لماذا تتصل بي يا هاري؟».

«أحتاجك في خدمة».

«أنا مشغولة».

«حسناً لا تشغلي بالك. اعتقدت أنه بإمكانك... حسناً، لا بأس يا ريتشل، ليس أمراً مهماً، بإمكاني أن أتولاه».

«هل أنت متأكد؟».

«نعم، أنا متأكد. سأدعك تعودين إلى 'العمليات'، أياً يكن ذلك الأمر. اعتني بنفسك».

أنهى الاتصال، حاول ألا يدع صوتها والذكرى التي يستحضرها يشتتان تركيزه في مهمته. نظر إلى الخلف عبر التقاطع، ولاحظ أنه ربما كان في الموقع ذاته الذي وقفت فيه سيارة الدورية عندما رصد كل من غونزاليس وفينيل عربة ويتس. حيث وفرت لهما شجرة الأوكاليبتوس والليل الغطاء اللازم.

شعر بوش بالجوع الآن، بعد أن فاته تناول وجبة الغداء. قرّر أن يجتاز الطريق السريع وصولاً إلى تشاينا تاون؛ ليأخذ وجبة جاهزة يعود بها إلى مكتبه. رجع بسيارته إلى الخلف عائداً إلى الشارع، رنّ هاتفه الخليوي في الوقت الذي فكر فيه في الاتصال بالمكتب ليرى إن كان هناك أحد يرغب في شيء ما من تشاينيز فرندز. تفقد الشاشة لكن هوية المتصل كانت محجوبة. أجاب عن المكالمة بكل الأحوال.

«هذا أنا».

«ريتشل؟».

«أردت الانتقال إلى الحديث باستخدام هاتفي الخليوي».

عمّ الصمت. علم بوش أنه كان محقاً بشأن هواتف العمليات.

«كيف حالك يا هاري؟».

«بخير».

«حسناً، قمت بتنفيذ ما كنت عازماً على فعله. عدت إلى العمل مع

الشرطة. قرأتُ عنك في العام الماضي، حول تلك القضية في الوادي».

«نعم، كانت تلك أول قضية لي وقتها، لم يكن هناك أي شيء مثير للاهتمام منذ ذلك الحين. إلى أن حلّ هذا الشيء الذي أعمل عليه الآن».

«ولهذا السبب تتصل بي؟».

لاحظ بوش نبرة صوتها. مرَّ ثمانية عشر شهراً منذ آخر مرة تحدثا فيها. حصل ذلك في نهاية أسبوع محتدم عندما تقاطع درباهما في قضية. عمل بوش على تصريح خاص قبل العودة إلى القسم، وعملت وولينغ على إنعاش مهنتها مع الدائرة. عاد بوش إلى العمل في سلك الشرطة، وعادت وولينغ إلى المكتب الميداني في لوس أنجلوس. لم يعلم ما إذا شكلت العمليات، أياً كان ذلك العمل، تقدماً عن منصبها السابق في داكوتا الجنوبية. ما كان يعرفه أنها تعمل محلّلة شخصيات في إدارة علم السلوكيات في كوانتيكو قبل أن يُغضب عليها، وتُنبذ للقيام بدوريات حراسة في محمية داكوتا.

قال لها: «اتصلت لأني أعتقد أنك قد تكونين مهتمة بإعادة توظيف بعض مهاراتك القديمة مجدداً».

«تقصد تحليل الشخصيات؟».

«نوعاً ما. في الغد عليّ مواجهة قاتل متسلسل اعترف بجرائمه. في البداية، ليس لديّ أدنى فكرة عن الدافع وراء تصرفاته. هذا الرجل يرغب في الاعتراف بتسعة جرائم قتل مقابل صفقة لتجنب الإعدام. عليّ أن أضمن أنه لا يتلاعب بنا، عليّ أن أتبين إن كان يخبرنا بالحقيقة قبل أن نواجه العائلات- أياً كانت العائلات التي نعرفها- ونخبرهم أننا أمسكنا بالشخص الصحيح».

انتظرَ لحظة ليسمع رد فعلها. حين لم تبدِ أي رد فعل. تابع حديثه.

«بحوزتي جرائم، بضعة مسارح جريمة وأدلة جنائية. لديّ أيضاً جردٌ مفصل لشقته، وصور لها. ولكني لست على دراية بكيفية التعامل معه. اتصلت بك لأرى هل بإمكانك رؤية بعض أغراضه، لربما أستطيع الحصول على

بعض الأفكار منك حول كيفية التعامل معه.

خيّم الصمت الطويل مرة أخرى قبل أن تجيب.

أخيراً سألته: «أين أنت يا هاري؟».

«أنا أتوجه إلى تشاينا تاون؛ لأحصل على وجبة أرزّ القريدس المقلي. لقد فاتني تناول وجبة الغداء».

«أنا في وسط المدينة، أستطيع أن أوافيك، فقد فوّتُّ وجبة الغداء أيضاً»

«هل تعرفين تشاينيز فرندز؟».

«بالطبع، سألتقي بك هناك بعد نصف ساعة».

«سأطلب لكِ الطعام قبل أن تصلي».

أنهى بوش المكالمة، شعر بلذة، وعرف من أين أتت، تعلقت بشيء آخر عدا إمكانية قيام ريتشل وولينغ بمساعدته بقضية ويتس. لقد انتهى آخر لقاء بينهما بشكل سيئ، لكن الأثر الذي خلّفه ضُمر بمرور الوقت. لا يتذكر الآن سوى تلك الليلة التي مارسا الحميمية فيها في غرفة نزل في لاس فيغاس، واعتقد أنه مرتبط بتوأم روحه.

نظر إلى ساعته. كان لديه متّسع من الوقت حتى وإن كان ينوي طلب الطعام قبل أن تصل. ركن سيارته عند الرصيف خارج المطعم في تشاينا تاون، وفتح هاتفه مجدداً. دوّن بعض الأسماء والأرقام التي من الممكن أن يحتاج إليها قبل أن يسلّم سجل جريمة غيستو إلى أوليفاس. اتصل بمنزل والدي ماري غيستو في بيكرسفيلد. لن يشكل اتصاله مفاجأة لهما، اعتاد أن يتصل بهما في كل مرة يُخرج فيها الملف؛ لإلقاء نظرة أخرى على القضية. اعتقد أنه يوفر لهما نوعاً من الطمأنينة حين يعرفان أنه لم يستسلم بعد.

أجابت والدة ماري غيستو.

«إيرين، أنا هاري بوش».

«أوه». لطالما كان هناك نبرة من الأمل والحماسة عندما يجيب أحدهما.

استجاب بسرعة: «لا شيء حتى الآن يا إيرين، لديّ سؤال لكما، إن لم يكن لديكما مانع».

«بالطبع، بالطبع. من الجيد دائماً سماع صوتك».

«من الرائع سماع صوتك أيضاً».

مرَّ أكثر من عشرة أعوام منذ آخر مرة التقى فيها إيرين ودان غيستو. ظلّا يترددان على لوس أنجلوس طيلة عامين، على أمل أن يجدا ابنتهما، بعدها سلّما شقتها وعادا إلى منزلهما، ليقدم بوش بعد ذلك على الاتصال بهما دائماً.

«ما هو سؤالك يا هاري؟».

«في الحقيقة إنه يتعلق باسم. هل تتذكرين إن كانت ماري قد ذكرت أمامكما في وقت ما شخصاً يدعى راي ويتس؟ ربما راينارد ويتس؟ راينارد اسم غير مألوف، ربما بوسعك تذكره».

سمعها وهي تتنهّد، وأدرك على الفور أنه ارتكب خطأً. وصلت أخبار الاعتقال وجلسات الاستماع في المحكمة التي تتضمن اسم ويتس إلى بيكرسفيلد. كان عليه أن يعرف أن عيني إيرين تترصدان مثل هذه الأشياء التي تحصل في لوس أنجلوس. ستعرف ما هي تهم ويتس، ولا بد أنها عرفت أنهم يطلقون عليه مبتزُّ إيكو بارك.

«إيرين».

خمّن أن مخيلتها أطلقت العنان لاحتمالات مرعبة.

«الأمر ليس كما يبدو لك. أنا أقوم ببعض التحريات حول هذا الرجل، يبدو أنك سمعت بشأنه عبر الأخبار».

«بالطبع. أشعر بالأسف لما فعله بالفتاتين المسكينتين، انتهى بهما المطاف بهذا الشكل. أنا..»

ربما عرف ماذا يجول في خاطرها. لكنه لم يعرف بما تشعر به.

هل يمكنك تذكّر إن كنت تعرفين الاسم قبل أن تسمعي به في الأخبار.

هل تتذكرين أنّ ابنتك ذكرته من قبل؟».

«لا، حمداً لله أني لا أتذكره».

«هل زوجك بالقرب منك؟ هل يمكنك أن تسأليه؟».

«إنه غير موجود، لا يزال في العمل».

أنفق دان غيستو كل ما يملكه في سبيل البحث عن ابنته المفقودة. بعد مرور عامين أفلس روحياً، وجسدياً، ومادياً، وعاد إلى منزله في بيكرسفيلد، وزاول من جديد عمله في فرع جون دير. أبقاه عمله في بيع الجرارات ومستلزمات الزراعة للمزارعين على قيد الحياة حتى الآن.

هل يمكنك أن تسأليه حين يعود إلى المنزل، وتعاودي الاتصال بي في حال كان يتذكر الاسم؟».

«سأفعل يا هاري».

«هناك أمر آخر يا إيرين. كانت شقة ماري تحتوي على نافذة طويلة في غرفة الجلوس. هل تتذكرين ذلك؟».

«بالطبع. كانت تلك السنة الأولى التي نزورها فيها في عيد الميلاد عوضاً عن زيارتها لنا، أردنا أن نشعرها أننا نتحمل عناء السفر كما تتحمله؛ لنمضيَ العيد معاً. وضع دان الشجرة عند تلك النافذة، وأمكن رؤية أضواء زينة الشجرة من أرجاء الحي كلّها».

«أجل. هل تعرفين إن وظفت عامل تنظيف زجاج لإبقاء تلك النافذة نظيفة؟».

عمّ الصمت لفترة طويلة، وانتظر بوش إجابتها، كانت تلك ثغرة في التحقيق، توجب عليه متابعة هذه النقطة قبل ثلاثة عشر عاماً، لكنه لم يفكر في الأمر قبل اليوم.

«لا أتذكر يا هاري! أنا آسفة».

«لا بأس بذلك يا إيرين لا بأس. هل تتذكرين عندما أخذتما الأغراض

وعدتما إلى بيكرسفيلد؟».

أجابت بصوت مختنق: «نعم». علم أنها تبكي الآن، وأنّ الزوجين شعرا بأنهما قد تخليا عن ابنتهما بشكل من الأشكال كما تخليا عن الأمل عندما عادا إلى المنزل بعد عامين من البحث والانتظار.

«هل تحتفظان بها جميعاً؟ السجلات والفواتير كلها التي أعدناها إليكم عندما انتهينا منها».

علم أنه إن وُجد إيصال يتعلق بعامل تنظيف النوافذ، سيكون بمثابة دليل تمّ التحقق منه. لكن توجب عليه سؤالها بكل الأحوال؛ ليكون واثقاً من أنها لم تجد شيئاً. ليتأكد من أنه لم يتم إغفالها.

«نعم، هي موجودة لدينا. إنها في الغرفة. خصّصنا غرفة للاحتفاظ بأغراضها. في حال... عودتها في يوم من الأيام».

عرف بوش أنهما لن يفقدا الأمل حتى يُعثر على ماري بطريقة أو بأخرى.

قال لها: «أفهم ذلك، أتمنى أن تبحثي في الصندوق يا إيرين، إن كان بوسعك. أريدك أن تبحثي عن إيصالات من عامل تنظيف النوافذ. راجعي دفتر شيكاتها، وتحققي إن دفعت المال لتنظيف النوافذ. ابحثي عن شركة تدعى كلير فيو لتنظيف الزجاج، أو ربما اختصار لذلك. اتصلي بي حال عثورك على أي شيء. اتفقنا يا إيرين؟ هل بحوزتك قلم؟ لقد غيّرت رقم هاتفي منذ أن تكلمت معك للمرة الأخيرة».

قالت إيرين: «حسناً يا هاري، بحوزتي قلم».

«الرقم هو ثلاثة- اثنان- ثلاثة- اثنان- أربعة- أربعة- خمسة- ستة- ثلاثة- وواحد. شكراً لك يا إيرين. عليّ إنهاء المكالمة الآن. أرجوك أن تنقلي أحرّ تحياتي إلى زوجك».

«سأفعل. كيف حال ابنتك يا هاري؟».

توقف للحظة. يبدو أنه أخبرهما عبر السنين كلّ شيء عن نفسه، كانت

طريقته ليحافظ على روابط قوية معهما، وعلى الوعد الذي قطعه بإيجاد ابنتهما.

«إنها بخير، إنها رائعة».

«في أيّ صف هي الآن؟».

«في الصف الثالث. لكن لا تتاح لي رؤيتها كثيراً، إنها تسكن حالياً مع والدتها في هونغ كونغ. في الشهر الماضي زرتهما لمدة أسبوع. الآن أصبح لديهم ديزني لاند هناك».

لم يعرف سبب قوله جملته الأخيرة.

«لا بد وأنه إحساس مميز أن تكون معها».

«نعم. إنها تراسلني عبر البريد الإلكتروني. تجيد استخدامه أكثر مني».

بدا من الغريب التحدث عن ابنته أمام امرأة خسرت ابنتها ولا تعلم أين هي.

قالت إيرين غيستو: «أتمنى أن تعود قريباً».

«وأنا كذلك يا إيرين، إلى اللقاء، اتصلي بي في أي وقت تشائين».

«إلى اللقاء يا هاري! إلى اللقاء».

اعتادت أن تقول حظاً سعيداً في نهاية كل مكالمة.

جلس بوش في السيارة، وفكّر في تناقض رغبته في أن تعيش ابنته هنا في لوس أنجلوس برفقته. قلق على سلامتها في ذلك المكان القصي حيث تعيش. أراد أن يكون قريباً منها ليتمكن من حمايتها، ولكن هل يعتبر جلب ابنته للسكن في مدينة تختفي فيها الفتيات اليافعات من دون أثر، أو ينتهي بهن المطاف مقطعات في أكياس قمامة في الحاويات، أمراً آمناً؟ علم في صميمه أنه يتصرف بأنانية، وأنه لن يتمكن من حمايتها بغض النظر عن المكان الذي تعيش فيه. على كل شخص أن يشق طريقه بمفرده في هذا العالم. حيث تطبق قوانين داروين، وكل ما بوسعه فعله هو أن يأمل ألا يتقاطع دربها مع درب شخص مثل راينارد ويتس.

وضّب الملف، وخرج من السيارة.

5

لم ينتبه بوش للافتة التي تذكر أن مطعم تشاينيز فرندز مغلق حتى وصل إلى الباب، عندها فقط أدرك أن المطعم يغلق أبوابه بعد الظهر قبل أن يبدأ ازدحام العشاء. فتح هاتفه ليكلم ريتشل ولينغ، ولكنه تذكر أنها حجبت رقمها عندما أعادت الاتصال به، لم يكن لديه شيء ليفعله سوى الانتظار، جلب نسخة من جريدة التايمز، وتصفحها وهو يستند إلى السيارة. استعرض العناوين بسرعة. شعر بشكل أو بآخر أنه يضيع وقته بقراءة الجريدة، ويفقد زخمه.

كان الخبر الوحيد الذي قرأه بقليل من الاهتمام عبارة عن فقرة مختصرة؛ تفيد أن المرشح لمنصب النائب العام غابرييل ويليامز حصل على دعم رابطة الكنائس المسيحية في جنوب البلاد. لم يكن هذا بالأمر المفاجئ، ولكنه جوهري؛ لأنه مؤشر أولي إلى أن الأقليات سيصوتون لصالح ويليامز، محامي الحقوق المدنية. ذكر المقال أيضاً أنّ كلاّ من المرشحين ويليامز وريك أوشيا سيظهران مساء الغد ضمن ندوة ترعاها رابطة أخرى تمثل الجانب الجنوبي؛ مواطنون لتحقيق قيادة واعية. لن تكون مناظرة بينهما، ولكن سيلقي كل منهما خطاباً، ويجيب عن أسئلة الحضور. بعد ذلك ستعلن رابطة مواطنون لتحقيق قيادة واعية المرشح الذي ستدعمه لاحقاً. سيظهر أيضاً في الندوة المرشحان

لمنصب المستشار إيرفين إيرفنغ ومارتن مايزل.

أنـزل بـوش الجريـدة، وأخذته أحلام اليقظـة حول قيامه بحضور الندوة، والتقليل من شـأن إيرفنغ بين الجمهور، سـائلاً إياه كيف تؤهله كفاءاته لتولي هذا المنصب.

استفاق من أحلام يقظته حين ركنت سـيارة فدرالية دون لوحة بجانب الرصيف أمام سـيارته. راقب ريتشـل ولينغ وهي تخرج منها. ارتدت بنطالاً أسود، وسترة، مع قميص أبيض اللون. أصبح الآن شعرها البني الداكن يصل إلى كتفيها، وهو أكثر ما كان يبدو عفوياً على الإطلاق. بدت جميلة. قفز بوش بتفكيره عائداً إلى تلك الليلة في لاس فيغاس.

قال مبتسماً: «ريتشل».

«هاري».

مشـى نحوهـا. كانـت لحظـة غريبـة. لم يعلـم أيتوجّب عليـه احتضانها، تقبيلهـا أم الاكتفـاء بمصافحتهـا. كانـت تلك الليلة في لاس فيغاس، ثم تلاها ذلـك النهـار فـي لوس أنجلوس، في الشـرفة الخلفية لمنزلـه، حيث انهار كل شيء، وانتهت الأمور حتى قبل أن تبدأ.

أزاحـت عـن كاهلـه هـمّ الاختيار، عندما مدت يدها ولمسـته بخفة على ذراعه.

«اعتقدتُ أنك كنت ستطلب الطعام».

«لقد أغلقوا المكان لسـببٍ ما. لا يفتحون أبوابهم لتقديم وجبة العشـاء قبل الساعة الخامسة. هل ترغبين في الانتظار، أو نقصد مكانا آخر؟».

«إلى أين؟».

«لا أدري، ربما مطعم فيليبي».

هزت رأسها رافضةً بشكل قاطع.

«لقد سئمت مطعم فيليبي. نتناول الطعام هناك طوال الوقت. في حقيقة

الأمـر، لـم أتنـاول وجبـة الغداء اليوم؛ لأنّ مَن في الفرقة كلّهم قصدوا المكان اليوم».

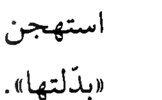
«العمليات، أليس كذلك».

علـم بـوش عندهـا، أنهـا إن كانـت قد سئمت مـن ذلك المـكان الواقع وسـط المدينـة فبالتالـي لـم تكن تعمـل خارج المكتب الميداني الرئيسـي في ويستوود.

«أعرف مكاناً. سأقوم بالقيادة ريثما تتفقدين الملفات».

مشـى عائـداً وفتـح بـاب سـيارته. كان عليه أن يزيل الملفـات عن مقعد الركاب؛ لتتمكن من الجلوس. ثم سلّمها الملفات، ودار حول السيارة وصولاً إلى جهة السائق. قذف بجريدته إلى المقعد الخلفي.

أشـارت إلى سـيارة الموسـتانغ: «واو، تشبه سـيارة ستيف ماكوين كثيراً، ماذا حلَّ بسيارة الدفع الرباعي؟».



استهجن بوش ذلك.

«بدّلتها».

شـغّل المحـرك ليجاريهـا، ثـم ابتعـد عـن الرصيـف. توجـه نـزولاً إلـى سانسيت، وانعطف باتجاه سيلفر ليك. سيقودهما هذا المسار عبر إيكو بارك في أثناء مضيهم في الطريق.

«ما الذي تريده مني بالضبط يا هاري؟».

فتحت الملف الأول الذي كان في حضنها، وبدأت القراءة.

«أريدك أن تطّلعي على هذا، وتخبريني بانطباعك عن الرجل، سأتحدث معه في الغد، وأريد أن أمتلك أية ميزة أستطيع الحصول عليها. أريد أن أتأكد إن كان هناك أحد يتم التلاعب به فليس أنا وإنما هو».

«سمعت بشأن هذا الرجل، إنه سفاح إيكو بارك، أليس كذلك؟».

«في الحقيقة، أطلقوا عليه لقب رجل الأكياس».

«فهمت».

«لدي علاقة سابقة ذات صلة بهذه القضية».

«ما هي؟».

«في العام 1993، كنت أعمل في قسم هوليوود. حصلت على قضية تخصّ فتاة مفقودة، لم يُعثر عليها، اسمها ماري غيستو. كانت قضية كبيرة في ذلك الوقت، ضجت بها وسائل الإعلام. هذا الرجل راينارد ويتس الذي سأقابله في الغد يقول إنها إحدى المفقودات التي سيقايضنا بمعلومات عنها».

ألقت نظرة عليه، ثم عاودت النظر إلى الملف.

«أتساءل يا هاري إن كان من الحكمة أن تتعامل مع هذا الرجل في الوقت الراهن، تبعاً لمعرفتي حول كيفية أخذك القضية على محمل الجد».

«أنا على ما يرام. إنها لا تزال قضيتي، وأخذها على محمل الجد هو طريقة المحقق الحقيقي. الطريقة الوحيدة».

استرقَ النظر إليها في الوقت الذي دورت فيه عينيها.

«تتحدث كما لو أنك مُعلّم الزن الخاص بجرائم القتل. إلى أين نحن ذاهبان».

«إلى مطعم اسمه دفيز في سيلفر ليك. سنكون هناك في غضون خمس دقائق وستحبينه. لا تبدئي بأخذ أصدقائك في الدائرة إلى هناك، فمن شأن ذلك أن يفسده».

«أعدك بذلك».

«أما زال لديك وقت؟».

«أخبرتك أنني لم أتناول وجبة الغداء، لكن عليّ العودة لتفقد بعض النقاط».

«حسناً، هل تعملين خارج المحكمة الفدرالية؟».

أجابت وهي لا تزال تتصفح الملف وتقلب الصفحات: «لا، نحن خارج الحرم».

«أحد تلك المواقع الفدرالية السرية، أليس كذلك؟».

«تعرف القصة، إن أخبرتك سيتوجب عليّ قتلك».

هزّ بوش رأسه للدعابة.

«هذا يعني أنك لا تستطيعين إخباري ما هي العمليات».

«إنها لا شيء، مجرد اختصار لاستخبارات العمليات؛ نجمع المعلومات، ونحلل البيانات الأولية التي نسحبها من الإنترنت، وبث الهواتف الخليوية، وبث الأقمار الصناعية. في الحقيقة إنه عمل مملّ جداً».

«أهو قانوني؟».

«حتى الآن يعتبر قانونياً».

«تبدو كأنها حفلة للإرهاب».

«عدا أنه ينتهي بنا الأمر في أغلب الأحيان بإعطاء أدلة لصالح إدارة مكافحة المخدرات. خرجنا في العام الماضي بأكثر من ثلاثين حالة احتيال مختلفة عبر الإنترنت، من بينها إغاثة للمتضررين من الأعاصير. كما قلت لك سابقاً، هذه البيانات الأولية قد توصلك إلى أي مكان».

«وأنتِ قايضتِ ذلك الأفق المفتوح كلّه في داكوتا الجنوبية لأجل وسط المدينة في لوس أنجلوس».

«حسبما تقتضيه خيارات المهنة، كانت تلك الخطوة الصحيحة، لست نادمة على ما قمت به، لكنني أشتاق إلى بعض الأشياء المتعلقة بداكوتا. على كل حال. دعني أصب تركيزي في ما أقوم به، أنت تريد رأيي الشخصي بهذا، أليس كذلك؟».

«نعم، أنا آسف، لك ذلك».

قاد بصمت لدقائق، ثم توقّف عند إشارة توقف أمام مطعم بواجهة

صغيرة، وأخذ الجريدة معه. أخبرته أن يطلب لها ما سيطلبه لنفسه. ولكن ما إن أتى النادل، وطلب بوش العجة حتى غيّرت رأيها، وأخذت تتصفح قائمة الطعام.

«ظننتك تقول إنك ستطلب الغداء لا الفطور».

«لقد فوّتُّ وجبة الفطور أيضاً، والعجّة لذيذة».

طلبتْ شطيرة من الحبش، وأعادت قائمة الطعام.

قالت له عندما أصبحا وحيدين: «أُحذِّرك أن ردي سيكون سطحياً. من الواضح أنني لن أحظى بالوقت الكافي لإجراء تقييم نفسي كامل. سيكون فقط بحثاً سطحياً».

هزّ بوش رأسه.

قال لها: «أعرف ذلك، لا أملك الوقت الكافي لأمنحك إياه، لذلك عليّ أن أقبل بأي شيء تستطيعين تقديمه لي».

عادت إلى الملف من دون أن تضيف شيئاً آخر. نظر بوش إلى الصفحات الرياضية، لكنه لم يكن مهتماً إلى درجة كبيرة بالملخص عن مباراة دودجيرز في الليلة السابقة. انخفض اهتمامه باللعبة بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة. استخدم الجريدة معظم الوقت كستارة بإمكانه حملها، ليظهر كأنه يقرأ، في حين كان في الحقيقة يسترق النظر إلى ريتشل.

عدا عن أن شعرها أصبح أطول، اختلفت قليلاً عن آخر مرة كان معها. لا يزال منجذباً إليها بقوة مع إحساس غير ظاهر بالخسارة تجاهها. لم تكن عيناها أقوى عيني شرطي شاهدهما في العديد من الوجوه، بما فيها عيناه هو عندما ينظر إلى المرآة. كانتا عينين مليئتين بالألم من الداخل والخارج. كان لها عينا ضحيّة، وهذا ما جذبه إليها.

فجأة سألته: «لماذا تحدق إليّ؟».

«ماذا؟».

«الأمر واضح جداً».

«كنت فقط...». أنقذه النادل الذي وصل ووضع الأطباق على الطاولة، أزاحت وولينغ الملفات جانباً، ولمح ابتسامة صغيرة على وجهها. استمر صمتهما في حين شرعا بتناول الطعام.

أخيراً قالت: «هذا الطعام لذيذ، أنا أتضوّر جوعاً».

«أجل، وأنا أيضاً».

«حسناً، ما الذي كنت تبحث عنه؟».

«متى؟».

«عندما كنت تتظاهر بقراءة الجريدة».

«أمم، أنا... أعتقد أنني كنت أحاول التأكد إن كنتِ مهتمة فعلاً بالاطلاع على هذا. تعلمين، بدوت لي مشغولة جداً. ربما لا ترغبين في العودة إلى هذا النمط من الأعمال مجدداً».

رفعت نصف شطيرتها، لكنها منعت نفسها من أن تأكل منها.

«أنا أكره عملي، هل هذا جيد؟ أو بالأحرى، أنا أكره مهنتي التي أزاولها الآن. لكن الوضع سيتحسن، ربما كان أمامنا عام آخر، وستتحسن الأوضاع».

«حسناً، وماذا بشأن هذا؟ هل هو مناسب لك». أشار إلى الملفات الموضوعة على الطاولة قرب طبقها.

«نعم، لكن هذا كثير جداً، لن أستطيع أن أكون مصدر عون لك، هناك الكثير من المعلومات».

«لا أملك سوى اليوم».

«لماذا لا تؤجل الاستجواب؟».

«إنه ليس استجواباً حتى أؤجله؛ ولأنّ هناك سياسة ترتبط بالأمر. رشح المدّعي العام نفسه لمنصب نائب عام المقاطعة. يحتاج إلى أن يتصدر

العناوين، لن ينتظرني حتى أطّلع على المستجدات كلّها».

هزّت رأسها

«ريك أوشيا».

«توجب عليّ بذل قصارى جهدي في قضية غيستو. لن ينتظروني لأقوم باللحاق بهم».

وضعت يدها على كدسة الملفات كما لو أنها تقوم بتخمين حجمها ليساعدها ذلك على اتخاذ قرارها. «دعني أحتفظ بالملفات عندما تعيدني، سأنجز أعمالي وعند انتهاء ساعات دوامي الرسمي، سأتابع العمل عليها. سآتي مساءً لزيارتك في منزلك، وأطلعك على ما توصلت إليه كلّه».

حدق إليها باحثاً عن المعنى الذي يخفيه حديثها بين السطور.

«متى؟».

«لا أدري، ما إن أنتهي من الأمر، التاسعة مساءً على أبعد تقدير. في الغد عليّ البدء بالعمل باكراً. هل هذا جيد؟».

هزّ رأسه إيجاباً. لم يكن يتوقع هذا.

سألته: «أما زلت تعيش في ذلك المنزل أعلى التلة؟».

«نعم، في وودرو ويلسن».

«جيّد، يقع منزلي نزولاً في بيفرلي، ليس بالبعيد جداً، سأصعد إلى منزلك. ما زلت أذكر الإطلالة».

لم يجب بوش. لم يكن واثقاً ما الذي استحضره إلى حياته.

سألته: «هل بإمكاني إعطاؤك شيئاً ما لتفكر فيه حتى ذلك الحين؟ ربما تقوم ببعض التحري».

«بالطبع، ما هو؟».

«الاسم، هل هذا اسمه الحقيقي؟».

قطّب بوش حاجبيه. لم يفكّر أبداً في الاسم. افترض أنه حقيقيٌّ. كان

ويتس سجيناً. لابدّ أنه تم فحص بصمات أصابعه عبر النظام ليتم التحقق من هويته.

«أفترض ذلك، بصمات أصابعه تطابق الاعتقال السابق. في المرة السابقة حاول إعطاء اسم خاطئ لكن بصمة إصبع الإبهام في دائرة المركبات عرّفته على أنه ويتس. لماذا تسألين؟».

«هل تعلم ما معنى راينارد؟». هجّأت كلمة رينارد[1].

هز بوش رأسه نافياً، كان ذلك خارج حساباته. لم يسبق له أن فكّر في الاسم.

«لا، ماذا بشأنه؟».

«إنه اسم الثعلب اليافع. يطلق على الأنثى ثعلبة في حين يُطلق على الذكر البالغ رينارد. درستُ التراث الشعبي الأوروبي في الجامعة سابقاً عندما اعتقدتُ أنني أرغب في أن أكون دبلوماسية. وُجد في التراث الشعبي الفرنسي العائد للعصور الوسطى شخصية ثعلب اسمه رينارد، كان ماكراً. هناك قصص وملاحم عن الثعلب المحتال الذي يلقب رينارد. ظهرت هذه الشخصية في الكتب، بشكل مستمر عبر القرون، وفي كتب الأطفال بشكل خاص. بإمكانك البحث عبر غوغل عندما تعود إلى المكتب وأنا واثقة في أنك ستجد كثيراً من النتائج».

هزّ رأسه، ما كان ليخبرها أنه لا يعلم كيفية البحث عبر غوغل. فهو بالكاد يعرف كيفية إرسال بريد إلكتروني لابنته البالغة من العمر ثماني سنوات. وضعت يدها على كدسة الملفات.

قالت: «ثعلب يافع سيكون ثعلباً ضئيلاً، بحسب ما وصف في الملف فإن

---

(1) في النص الأجنبي اسم الشاب Raynard أما اسم الثعلب فيكتب Reynard وللتمييز بينهما في اللغة العربية كتب اسم الشاب راينارد وعند الحديث عن الثعلب استخدم الاسم من دون الألف الأولى رينارد.

بنية السيد ويتس ضئيلة. ضع هذا كله في سياق الاسم الكامل و...»

أكمل بوش ما كانت تقوله: «الثعلب الصغير ويتس. الثعلب اليافع ويتس. المخـادع ويتـس. ربمـا هذا ما رآه ذلك الثعلب الصغير في ضحاياه الثعلبات» وهزا رأسه.

«لقـد فاتنـا هـذا الأمـر. بإمكاني القيام ببعض التحـري حول هويته ما إن أعود. آمل أني سأجلب لك المزيد من المعلومات مساءً».

عادت إلى تناول الطعام، وعاد بوش إلى مراقبتها.

6

ما إن أوصل بوش وريتشل وولينغ إلى سيارتها حتى فتح هاتفه واتصل بشـريكته. أبلغته رايدر أنها على وشـك الانتهاء من الأعمال الورقية الخاصة بقضيـة ماتريـس، وأنهمـا قريباً سـيكونان جاهزين للمضـي قدماً فيها، وتوجيه الاتهامات في مكتب المدعي العام في اليوم التالي.

«جيد، هل من أخبار أخرى؟».

حصلـت علـى صندوق فيتزباتريك من أرشـيف الأدلّـة. وتبين أنه يتألف من صندوقين.

«ماذا يحوي؟».

«سجلات رهن في أغلبها. أستطيع القول إن ما من أحد اطلع عليها من قبـل. فقـد كانـت مبتلة عندما جُبلت بمياه إخماد النيران. وضعها ذلك الرجل مـن رايـوت كرايمـز في حاويات بلاسـتيكية وهي تتعفـن منذ ذلك الحين. إن رائحتها مقرفة يا رجل».

هزّ بوش رأسـه كما لو أنه يعيد حسـابات هذا الأمر، إنها نهاية مسـدودة، ولكن لا يهم. على كل حال كان راينارد ويتس على وشك أن يعترف بجريمة قتل دانييل فيتزباتريك. شعر بأن رايدر تنظر إلى الأمر بالطريقة نفسها. اعتراف غير مشـروط بمنزلة الحصول على أوراق متسلسـلة في لعبة البوكر من اللون

ذاته. إنها تتفوق على كل شيء آخر.

سألت رايدر: «هل وصلك أي شيء من أوليفاس أو أوشيا؟».

«ليس بعد، كنت على وشك التحدث مع أوليفاس، لكنني قررت الاتصال بك أولاً. هل تعرفين أحداً في مكتب تراخيص المدينة».

«لا، ولكن إن أردت يمكنني الاتصال بهم، باستطاعتي فعل ذلك في الصباح. لقد انتهى دوام عملهم الآن، ما الذي تبحث عنه؟».

تفقد بوش ساعته. لم ينتبه أن الوقت قد تأخر إلى هذه الدرجة، خمّن أن العجّة التي تناولها في مطعم دفيز ستكون بمنزلة وجبة الفطور والغداء والعشاء بالنسبة إليه.

«كنت أفكر أن علينا التحقق من مهنة ويتس، ومنذ متى يزاولها، وهل هناك أية شكاوى بخصوصها، ذلك النوع من الأشياء. لابد أن أوليفاس وشريكه قد تحققا من الأمر، لكن الملف لا يتضمن أي شيء حول ذلك».

صمتت لبرهة قبل أن تتكلم.

«هل تعتقد أن هناك صلة لذلك بجريمة هاي تاور؟».

«ربما، أو ربما بماري. كان لديها نافذة كبيرة ذات إطلالة في شقتها، لا أتذكر أن مثل هذا الأمر ظهر في حينها. ربما لم ننتبه له وقتها».

«لا يفوتك أي شيء يا هاري، سأتحقق من الأمر».

«هناك شيء آخر يتعلق باسم الرجل، قد لا يكون صحيحاً».

«كيف لمثل هذا أن يحصل؟».

أخبرها أنه اتصل بريتشل ولينغ، وأنه طلب إليها إلقاء نظرة على الملفات. في البداية، قوبل هذا بصمت مدوٍّ؛ لأن بوش تجاوز أحد الخطوط الحمر الضمنية في دائرة شرطة لوس أنجلوس بدعوة مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى قضية من دون الحصول على موافقة المشرف، وإن كانت دعوة

وولينغ غير رسمية. ولكن عندما أخبرها عن أمر رينارد الثعلب كسرت رايدر صمتها وأصبحت مرتابة.

«أتعتقد أن قاتلنا المتسلسل منظف النوافذ درس التراث الشعبي للعصور الوسطى؟».

ردّ: «لا أعـرف، تقـول وولينـغ إنه ربما تعلمه من كتاب أطفال. أعتقد أنّ هنـاك مـا يكفـي لدفعنا إلى الاطلاع على شـهادة ميلاده. لنكون واثقين في أن هناك شخصاً بالفعل يُدعى راينارد ويتس. عندما تم احتجازه في العام 1993. احتجز تحت اسـم روبرت ساكسـون - وهو الاسـم الذي زودهم به- ولكنهم توصلـوا إلـى اسـم راينارد ويتس بعـد أن تفحصوا بصمة الإبهام؛ لتطابق تلك الموجودة في حواسيب دائرة المركبات».

«مـا الـذي تحـاول الوصـول إليه هنا يا هاري؟ إن كان لديهم بصمة إبهام في الملف في ذلك الحين. أعتقد أن الاسم غير مزيف».

«ربمـا، لكنـك تعرفيـن أنـه ليس من المسـتحيل الحصـول على رخصة قيادة باسم مزيف في هذه الولاية. ماذا لو كان ساكسون في الواقع هو اسمه الحقيقي، لكن الحاسـوب أظهر اسـمه المسـتعار واسـتغل الأمر؟ لقد حصل ذلك من قبل».

«لكن لماذا احتفظ بالاسم بعد ذلك؟ لديه سجل باسم ويتس. لماذا لم يعد لاستخدام اسم ساكسون أو أياً كان اسمه الحقيقي؟».

«أسئلة وجيهة. لا أدري. لكن علينا التحقق من الأمر».

«حسـناً، لقد نلنا منه أيا كان اسـمه. سـأقوم بالبحث عن راينارد الثعلب عبر غوغل الآن».

«قومي بتهجئته حاذفة حرف الألف الأول».

كان بوسعه سماع صوت أصابعها وهي تنقر على لوحة مفاتيح الحاسوب وهو ينتظر.

قالت في نهاية المطاف: «وجدته، هناك الكثير من النتائج حول رينارد الثعلب».

«هذا ما قالته وولينغ».

حلّ الصمت لبرهة عندما كانت رايدر تقرأ ثم تحدثت: «ذُكر هنا بأن جزءاً من أسطورة رينارد الثعلب كان امتلاكه قلعة سرية لا يمكن لأحد العثور عليها. مارس شتى الحيل لاستدراج ضحاياه إلى قلعته والتهامهم».

بقي كلامها معلقاً من دون أن يعقب عليه أي منهما. أخيراً قال بوش: «هل يمكنك إجراء بحث آخر عبر المتتبع التلقائي؛ لتري إن كان بوسعك إيجاد أي شيء حول روبرت ساكسون؟».

«بالطبع».

لم يبدُ من صوتها أنها مقتنعة، لكن بوش لم يكن ليدعها تنجو من أداء هذه المهمة. رغب في إبقاء عجلة العمل تدور.

قالت رايدر: «هلّا تقرأ لي تاريخ ميلاده المدوّن على تقرير الاعتقال».

«لا أستطيع، الملف ليس بحوزتي هنا».

«أين هو؟ أليس على مكتبك».

«أعطيت الملفات للعميلة وولينغ، ستعيدها إليّ لاحقاً هذا المساء. عليكِ الرجوع إلى الحاسوب لإخراج تقرير الاعتقال».

خيّم صمت أطول قبل أن تقول رايدر: «هذه أوراق تحقيق رسمية يا هاري. أنت تعلم أنه يجب عليك عدم التخلي عنها، فنحن بحاجة إليها في التحقيق غداً».

«سأستردها الليلة».

«لنأمل ذلك. لكن دعني أخبرك شيئاً يا شريكي، إنك تتصرف مثل رعاة البقر مجدداً، وأنا لا أحب هذه التصرفات كثيراً».

«أحـاول تحريـك الأمـور يا كيـز، وأريد أن أكون جاهزاً للقاء هذا الرجل غداً. ما ستزودني به وولينغ سيعطينا الأفضلية».

«حسناً، إنني أثق بك، وحبذا لو تثق بي يوماً، وتسألني عن رأيي قبل أن تشرع باتخاذ قرارات تؤثر فينا».

شعر بوش بوجنتيه تشتعلان من الحرارة، لأنه علم أنها محقة، لم ينبس ببنت شـفة، لأنه أدرك أن الاعتذار عن عدم إشـراكها في اتخاذ القرار لن يفي بالغرض.

قالـت: «عـاود الاتصـال بـي فـي حـال حـدّد أوليفـاس موعـداً لنـا فـي الغد».

«حسناً».

فكّـر بـوش فـي مـا يجري للحظة بعـد أن أنهى المكالمـة. حاول تجاوز الحرج الذي سـببه سـخط رايدر، ركّز في القضية، وفي ما أغفله من التحقيق حتـى الآن. بعـد لحظـات فتـح الهاتـف مجدداً، اتصل بأوليفاس، وسـأله عن موعد مقابلة ويتس ومكانها.

قال أوليفاس: «غداً عند الساعة العاشرة صباحاً، لا تتأخر».

«متـى كنـت تنـوي إخبـاري يـا أوليفـاس، أم توجـب علـيّ معرفـة ذلك بالتخاطر؟».

«لم أعرف بالأمر إلا للتو، اتصلت بي قبل أن يُتاح لي الاتصال بك».

تجاهل بوش حجته.

«أين المكان؟».

«فـي مكتـب المدعـي العـام. سـنحضره من السـجن، ونضعه فـي غرفة الاستجواب هنا».

«هل أنت في مكتب المدعي العام الآن؟».

«عليّ مراجعة بعض الأشياء مع ريك».

غض بوش الطرف عن ذلك، وتركه دون تعليق.

سأله أوليفاس: «هل هناك أي شيء آخر؟».

أجابه بوش: «نعم لديّ سؤال، أين شريكك يا أوليفاس؟ ماذا حصل لكولبيرت؟».

«إنه في هاواي، سيعود في الأسبوع القادم، إذا استمرت هذه القضية حتى ذلك الحين فسيشترك فيها».

تساءل بوش هل يعرف كولبيرت بما يحصل أم أنه يفوّت عليه فرصة استلام قضية قد تُغير مسيرته المهنية بالكامل، في الوقت الذي يمضي فيه إجازته. بالاستناد إلى كل ما يعرفه بوش حول أوليفاس، لن يكون من المفاجئ إن خدع هذا الأخير شريكه لينفرد بقضية عظيمة.

سأل بوش: «الساعة العاشرة إذن؟».

«نعم الساعة العاشرة».

«هل من شيء آخر يجب أن أعرفه يا أوليفاس؟».

غمره الفضول عن سبب وجود أوليفاس في مكتب المدعي العام، لكنه لم يرغب في سؤاله بشكل مباشر.

«في الحقيقة هناك شيء أخير، يمكنك وصفه بالحساس، كنت أتكلم مع ريك بشأنه».

«ما هو هذا الشيء؟».

«حسناً، خمّن إلى ماذا أنظر الآن؟».

زفر بوش متأففاً. كان أوليفاس ينوي المماطلة.

تعرّف إليه بوش منذ أقل من يوم، لكنه علم فوراً ومن دون أدنى شك أنه لم يُرق له، وأنه لن يروق له في يوم من الأيام.

«لا أملك أدنى فكرة يا أوليفاس! إلى ماذا تنظر؟».

«الاستمارة 51 الخاصة بغيستو».

كان يشير إلى السرد الزمني للتحقيق، وهو عبارة عن قوائم رئيسية دُوّنت فيها نواحي القضية جميعها بالوقت والتاريخ. بدءاً من تسجيل أوقات المحققين وتحركاتهم، إلى ملاحظاتهم التي دوّنوها عن مكالمات الهاتف الروتينية، ورسائلهم للرد على استفسارات وسائل الإعلام، ومعلومات من المواطنين. تُكتب الاستمارة بخط اليد باستخدام أساليب الاختزال والاختصار كلّها، في حين يتم تحديث البيانات بشكل يومي، في بعض الأحيان كلّ ساعة. ليتم طباعتها، عندما تمتلئ الصفحة بشكل كامل، على استمارة سميت الاستمارة 51 والتي ستكون مكتملة وصالحة للأخذ بها حينها. وإذا انتقلت القضية يوماً ما إلى المحكمة، واحتاج المحامون والقضاة والمحلفون لمراجعة ملفات التحقيق، عندها يتم تجاهل النسخة المكتوبة بخط اليد.

«ماذا بشأنها؟».

«أنظُر إلى الجملة الأخيرة من السطر الرابع عشر، لجلسة الاستماع في 29 أيلول 1993، الساعة السادسة وأربعين دقيقة مساءً. يبدو أنه كان وقت الانصراف. استهلت الأحرف الأولى من البند بحرفي ج .إ».

شعر بوش بالغثيان، استمتع أوليفاس بالتمادي بالأمر، أياً كان ما يرمي إليه.

قال بصبر نافد: «من الواضح، هذا اختصار لاسم شريكي في حينها، جيري إدغار، ماذا ذُكر فيها يا أوليفاس؟».

«ذُكر... سأقوم بقراءتها فقط. روبرت ساكسون، تاريخ الميلاد أحد عشر/ ثلاثة/ واحد وسبعون. قرأ مقال جريدة التايمز. كان في مايفير وشاهد م .غ وحيدة. لم يتابع أحد الأمر. وتتضمن رقم هاتف ساكسون، هذا كل ما هو مذكور. لكن ذلك يكفي أيها اللامع! تعرف ما يعنيه ذلك».

عرف بوش ما يعنيه ذلك. كان قد أعطى كيز رايدر اسم روبرت ساكسون لتتحقق منه. فهو إما اسماً مستعاراً وإما الاسم الحقيقي للشخص الذي يدعى

حالياً راينارد ويتس. ربط ذلك الاسم المذكور في الاستمارة 51 بين ويتس وقضية غيستو. وعنى أيضاً أن بوش وإدغار قد حظيا بفرصة مع ويتس/ ساكسون لكنهما لم يغتنماها لأسباب لا يتذكرها، أو لا يعلمها. وهو لا يتذكر البند المحدد في الاستمارة 51. كان هناك عشرات الصفحات في السرد الزمني للتحقيق، معبأة ببنود ذات خط واحد أو اثنين. سيكون من المستحيل تذكرها جميعاً رغم عودته المستمرة إلى التحقيق في القضية على مر السنين.

احتاج إلى برهة؛ ليتمكن من متابعة الحديث.

سأله: «هل هذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه في سجل الجريمة؟».

أجابه أوليفاس: «هذا الذي شاهدته، راجعت كل شيء مرتين. حتى أني لم ألاحظه في المرة الأولى. في المرة الثانية قلت لنفسي مهلاً، أعرف هذا\ \الاسم إنه اسم مستعار، استخدمه ويتس سابقاً في بداية التسعينيات. لابد أنه موجود في الملفات التي في حوزتك.

«أعلم، لقد شاهدته».

«بوش! هذا يعني أنه اتصل بكما يا رفاق. اتصل القاتل بكما. لكنك أفسدت الأمر أنت وشريكك. يبدو أن ما من أحد حقق معه أو تحقق من اسمه، كان اسم القاتل المستعار ورقم هاتفه بحوزتك، ولم تأتِ على فعل أي شيء. بالطبع لم تعرف أنه القاتل. كان مجرد مواطن يتصل للإبلاغ عما شاهده. ربما كان يحاول التلاعب بكما يا رفاق بطريقة ما، يحاول معرفة حيثيات القضية. لكن إدغار لم يجارِه. كان الوقت متأخراً من ذلك النهار، ولربما أراد الانتهاء من الأمر ليبدأ باحتساء كأس المارتيني».

لم ينبس بوش ببنت شفة في حين كان أوليفاس سعيداً جداً وهو يملأ الثغرات.

«يا للخسارة، أتعلم؟ ربما كان بالإمكان إنهاء هذا الأمر وقتها. أعتقد أننا سنسأل ويتس عن الأمر في الصباح».

لم يعد أوليفاس وعالمه المثير للشفقة مهماً بالنسبة إلى بوش، لم تكن هذه الانتقادات اللاذعة لتخترق الغيمة السميكة الداكنة التي كانت تغلفه بالفعل، لأنه يعلم أن اسم روبرت ساكسون إن ذُكر في تحقيق غيستو، فبالتالي ما من شك أنه جرى التحقق منه بشكل روتيني عبر الحاسوب، ولكان سُجل تطابق مع قاعدة بيانات الأسماء المستعارة ليقودهم إلى راينارد ويتس، وقضية اعتقاله السابقة بتهمة التلصص. ولجعله ذلك متهماً لا مجرد شخصاً مشتبهاً به مثل أنتوني غارلاند. متهماً مرجحاً بقوة. وكان من شأن ذلك بلا شك أن ينقل التحقيق إلى اتجاه مختلف تماماً.

لكن لم يحدث ذلك أبداً. لابد أن أياً من بوش أو إدغار لم يتحققا من الاسم عبر الجهاز، كانت سهوة جعلت بوش يدرك الآن أنه تسبب بإزهاق حياة امرأتين انتهى بهما المطاف بأكياس قمامة، وسبع أخريات، كان ويتس على وشك إخبارهم بشأنهن في الغد.

قال بوش: «أوليفاس!».

«ماذا يا بوش؟».

«احرص على إحضار السجل معك غداً. أرغب في رؤية الاستمارة 51».

«حسناً، سأفعل. سنحتاجها في المقابلة».

أنهى بوش المكالمة من دون أن ينبس ببنت شفة. شعر بوتيرة تنفسه تتسارع، وسرعان ما شعر بأنه قريب من اللهاث. شعر بظهره الذي يسنده على مقعد السيارة ساخناً، وأوشك على التعرق. فتح النافذة، وحاول أن يضبط معدل تنفسه مع كل نفس. كان قريباً من باركر سنتر، لكنه ركن سيارته بالقرب من الرصيف. كان ذلك من أسوأ الكوابيس التي يمر بها أي محقق. أسوأ الاحتمالات.

تجاهله لدليل أو إفساده، سمح لشخص مريع أن يكون طليقاً في هذا العالم، شخص مظلم وشرير، أزهق حياةً تلو الأخرى في حين كان ينتقل

بيـن الظـلال، صحيح أن المحققين كلهـم يرتكبون الأخطاء وعليهم التعايش مع الندم، لكن بوش علم بفطرته أن هذا الإحسـاس كمرض خبيث، سـيكبر ويكبـر داخلـه حتى يجعل كل شـيء مظلماً، ليصبح بـدوره الضحية الأخيرة، آخر روح تزهق.

تحـرك بالسـيارة مبتعـداً عن الرصيف لينضم إلـى حركة المرور، ليجعل الهواء يتحرك عبر النافذة، عندما انعطف عائداً إلى منزله.



7

راقب بوش من الشرفة الخلفية لمنزله السماءَ وهي تظلم شيئاً فشيئاً. عاش في وودرو ويلسن في منزل متشبث بالتلة بدعائم، وكأنه شخصية كرتونية متعلقة بحافة المنحدر. كان يشرب الفودكا مع الثلج، إنها المرة الأولى التي يشرب فيها الكحول القوي منذ عودته لمزاولة عمله في العام الماضي، جعلته الفودكا يشعر كما لو أنه ابتلع شعلة عبر حلقه، لكن لا بأس في ذلك. كان يحاول حرق أفكاره، وكيّ نهاياته العصبية.

اعتبر بوش نفسه محققاً ماهراً، من النوع الذي يهتم ويأخذ كل شيء على عاتقه. لطالما قال إن الجميع يجب أن يعولوا عليّ أو لا أحد. وهذا ما جعل منه جيداً في أداء عمله، ولكنه جعله هشّاً. كان من شأن الأخطاء التي يرتكبها أن تنال منه، وكان هذا الخطأ الأسوأ على الإطلاق.

هز كأس الثلج والفودكا، وأخذ جرعة كبيرة حتى أنهى كامل الكأس. كيف لشيء بارد كهذا أن يحرق بلهيب شديد في أثناء ابتلاعه؟ دخل إلى المنزل ليسكب مزيداً من الفودكا فوق الثلج، وتمنى لو أن بحوزته بعض الليمون ليضيف عصيره إلى الشراب، لكنه لم يتوقف في أي مكان عبر طريق عودته إلى المنزل. التقط الهاتف في حين كان يقف في المطبخ والكأس في يده، واتصل برقم جيري إدغار. ما زال يحفظ رقمه عن ظهر قلب؛ فرقم

شريكك أمر لا يمكن نسيانه أبداً.

أجاب إدغار على الاتصال، وكان بوسع بوش سماع ضجيج التلفاز في خلفية المكالمة. لقد كان في المنزل.

«مرحباً جيري، هذا أنا، أريد أن أسألك عن شيء ما».

«هاري؟ أين أنت؟».

«أنا في المنزل يا رجل، لكني أعمل على إحدى قضايانا القديمة».

«حسناً، دعني أراجع قائمة وساوس هاري بوش. دعني أرَ، أهي قضية فرنانديز؟».

«لا».

«أهي تلك الفتاة سبايك، أو أياً كان اسمها؟».

«لا».

«لقد استسلمت يا رجل، لديك أشباح أكثر مما يمكنني أن أحصي».

«إنها غيستو».

«اللعنة. كان عليّ البدء بها. أعرف أنك لا تزال تعمل على القضية بين الفينة والأخرى منذ أن عدت إلى العمل. ما الذي تريد أن تسأل عنه؟».

«هناك بند في الاستمارة 51، عليها حرفا اسمك ج.إ. ذكرتَ اتصالاً من رجل يُدعى روبرت ساكسون وادعاءه أنه شاهدها في معرض أيار».

انتظر إدغار لحظة قبل أن يجيب.

«هل هذا كل شيء؟ هذا كل ما ذكر في البند؟».

«هذا كل شيء. هل تتذكر إن عاودت الاتصال بالرجل؟».

«اللعنة يا رجل، أنا لا أتذكر حتى بنود القضايا التي عملت عليها الشهر الفائت. لهذا نملك استمارات 51، من يكون ساكسون؟»

هزَّ بوش كأسه، وارتشف منها قبل أن يجيب. اصطدم الثلج بفمه، وتسربت الفودكا نزولاً على خده. مسحها بكمٍّ سترته، وأعاد الهاتف إلى

أمام فمه.

«هو الرجل المنشود... على ما أعتقد».

«هل أوقعت بالقاتل يا هاري؟!».

«أنا واثق في ذلك، لكن... ربما كان من الممكن أن نمسك به في ذلك الحين».

«لا أتذكر أن شخصاً يدعى ساكسون اتصل بي، لابد أنه سعى من اتصاله للحصول على بعض الإثارة. هاري، هل أنت ثمل؟».

«نوعاً ما».

«ما الخطب يا رجل؟ إن كنت قد أوقعت بالرجل، فالوصول متأخراً خير من عدم الوصول. يفترض أن تكون سعيداً، أنا شخصياً سعيد، هل أبلغت والديها؟».

شعر بوش الذي كان يستند إلى منضدة المطبخ أنه بحاجة إلى الجلوس، لكنه لم يتمكن من الانتقال إلى غرفة الجلوس أو إلى الشرفة بسبب قصر سلك الهاتف. انزلق على الأرض بحذر كي لا يسكب شرابه، فجلس مسنداً ظهره إلى الخزانة.

«لا، لم أتصل بهما».

«ما الذي أغفله هنا يا هاري، أنت بحالة يُرثى لها، وبالتالي هناك خطب ما».

انتظر بوش للحظة.

«الخطب أن ماري غيستو لم تكن الأولى ولا الأخيرة».

صمت إدغار مستوعباً الأمر، اختفى صوت التلفاز من خلفية المكالمة، وتحدث بصوت خافت يشبه صوت طفل يتساءل ما هو الجزاء الذي ينتظره.

«كم عدد الجرائم التالية؟».

قال بوش بصوت يوازي صوته خُفوتاً: «يبدو أن عددها تسع، سأعرف أكثر عن الأمر غداً».

همس إدغار: «يا إلهي».

هز بّوش رأسه، كان جزء منه غاضباً من إدغار ويرغب في إلقاء اللوم عليه، في حين ذكّره الجزء الآخر أنهما شريكان في السراء والضراء. كانت الاستمارة 51 موجودة في سجل الجريمة ليقرأها كلاهما، وليتصرفا بناءً عليها.

«إذن أنت لا تتذكر الاتصال؟».

«لا، لا أتذكر شيئاً، حصل هذا منذ وقت طويل. كل ما أستطيع قوله إنني لم أتابع الأمر. لم تبدُ المكالمة جدية، وإلا لحصلتُ على ما يمكن معرفته كلّه من المتصل. على كل الأحوال إن كان هو القاتل فقد كان يتلاعب بنا على الأغلب».

«نعم، لكننا لم نبحث عن الاسم في الجهاز. كان سيجد تطابقاً مع ملف الأسماء المستعارة».

«ربما ذلك ما كان يريده».

صمتا في حين أخذا يفكران في أهوال الكارثة.

أخيراً سأل إدغار: «هل أنت من توصل إلى هذا الأمر يا هاري؟ من يعرف بهذا غيرك؟».

«رجل من قسم جرائم السطو والقتل في القسم الشمالي الشرقي هو من توصل إليه. في حوزته ملف غيستو. يعرف بشأن هذا الأمر، إضافة إلى أن المدعي العام الذي يعمل على القضية يعرف أيضاً». لا يهم ذلك الآن، لقد أخفقنا، وهناك أناس قد لاقوا حتفهم، فكّر في ذلك من دون أن يقوله.

سأله إدغار: «من هو المدعي العام؟ هل بالإمكان احتواء الأمر؟».

علم بوش أن إدغار قد انتقل إلى التفكير في كيفية تقليل الخسائر التي من شأن أمر كهذا أن يلحقها بمسيرته المهنية. تساءل بوش ما إن كان إحساس إدغار بالذنب حول الضحايا التسع الذين تلوا ماري غيستو قد اختفى أم أنه ببساطة قد عزله. لم يكن إدغار محققاً حقيقياً، لقد نأى بمشاعره جانباً.

قال بوش: «أشك في ذلك، كما أنني لا أهتم، كان علينا الإيقاع بهذا الرجل منذ العام 1993، لكننا أهدرنا الفرصة، فبقي طليقاً يقطّع النساء منذ ذلك الحين».

«يُقطّع؟ ما الذي تتحدث عنه؟ هل تقصد رجل الكيس في إيكو بارك؟ هل كان اسمه ويتس؟ أهو رجلنا المنشود؟».

هزّ بوش رأسه، ووضع الكأس الباردة بجانب صدغه الأيسر.

«هذا صحيح. سيقدم على الاعتراف غداً. سينتشر الأمر عاجلاً أم آجلاً؛ لأن ريك أوشيا سيقوم باستغلاله. لن يكون هناك أي سبيل لإخفاء الأمر، لابد أن يأتي صحفي حذق ليتساءل ما إن كان اسم ويتس قد ورد سابقاً في قضية غيستو».

«سنقول حينها لا. لأن هذه هي الحقيقة. لم يرد اسم ويتس أبداً. كان اسماً مستعاراً ولا يتوجب علينا إخبارهم بذلك. عليك إقناع أوشيا بذلك يا هاري».

حمل صوته نبرة الإلحاح. عندها شعر بوش بالندم لأنه اتصل به، كان يرغب في أن يتحمل إدغار وطأة الذنب معه، لا أن يفكر في طريقة لتجنب اللوم.

«لا يهم يا جيري».

«من السهل قول ذلك يا بوش، فأنت تعمل في مركز المدينة للمرة الثانية. أنا أتطلع إلى ملء أحد الشاغرين في قسم جرائم السطو والقتل. ومن شأن هذا الأمر إن ذاع أن يفسد أية فرصة لي».

رغب بوش حينها في إنهاء المكالمة.

«كما سبق لي أن قلت: لا يهم. سأفعل ما بوسعي يا جيري. لكن أتعلم؟ عندما تفسد أمراً ما عليك تحمل العواقب».

«ليس هذه المرة يا شريكي، وليس الآن».

شعر بوش بالحنق بسبب استغلال جيري تمثيلية الشريك القديم، طالباً منه أن يحميه بدافع الوفاء والميثاق غير المكتوب بأن رباط الشراكة يدوم إلى الأبد، وأنه أقوى حتى من الزواج.

أخبر إدغار: «قلت لك سأفعل ما بوسعي، عليّ الذهاب الآن، يا شريكي».

نهض عن الأرض، وأغلق الهاتف الموضوع على الجدار.

سكب المزيد من الفودكا فوق الثلج في كأسه قبل أن يعود إلى الشرفة. استند بمرفقيه إلى الدرابزين حين تناهى إلى سمعه هسيس مستمر لضجيج حركة المرور من الطريق السريع الذي يقع إلى الأسفل بعيداً عن التلة والذي كان معتاداً على سماعه. نظر إلى السماء ليرى غروب الشمس بلون زهريّ مَشوب. شاهد صقراً أحمر الذيل ينساب عالياً مع الريح، ذكّره بآخر شاهده قديماً في النهار ذاته الذي وجدوا فيه سيارة ماري غيستو.

بدأ هاتفه الخليوي بالرنين، كافح ليخرجه من جيب سترته. أخيراً أخرجه وردّ قبل أن يتوقف عن الرنين، لم يكن لديه متسع من الوقت ليرى هوية المتصل على الشاشة. كانت كيز رايدر.

«هل وصلتك الأخبار يا هاري؟».

«أجل، لقد سمعت، تحدثت مع إدغار بشأنها. كل ما كان يهتم لأمره هو حماية وظيفته، وفرصه بالانتقال إلى قسم جرائم السطو والقتل».

«عن ماذا تتحدث؟».

تردد بوش لبرهة قصيرة. كان محتاراً.

«ألم يخبرك أوليفاس الوغد بالأمر؟ اعتقدت أنه قد أخبر العالم بأسره بحلول هذا الوقت».

«أخبرني بماذا؟ أنا أتصل لأسألك إن وردت أيّ أخبار بشأن موعد المقابلة في الغد».

أدرك بوش زلّته، مشى إلى الشرفة، وأفرغ محتوى كأسه خارجها.

«غداً الساعة العاشرة صباحاً في مكتب المدعي العام. سيضعونه في غرفة هناك. أنا آسف يا كيز نسيت أن أتصل بك».

«هل أنت على ما يرام. يبدو وكأنك كنت تحتسي الشراب».

«أنا في المنزل يا كيز، يحق لي فعل ذلك».

«ما الذي ظننت أنني أتصل بشأنه؟».

حبس بوش أنفاسه، رتب أفكاره، ثم تحدّث.

«توجب عليّ وعلى إدغار إلقاء القبض على ويتس أو ساكسون أو أياً كان اسمه منذ العام 1993. استخدم اسم ساكسون حين تحدث إليه إدغار عبر الهاتف. لكن لم يقم أي منّا بالتحقق من الاسم عبر الحاسوب. لقد أخفقنا يا كيز».

صمتت في حين كانت تستوعب ما قاله. لم يلزمها وقت طويل لتدرك الرابط الذي منحهم إياه الاسم المستعار للوصول إلى ويتس.

«أنا آسفة يا هاري».

«الأسف يجب أن يكون للضحايا التسع».

كان يحدق إلى الأجمة الموجودة تحت الشرفة.

«ستكون على ما يرام، أليس كذلك؟».

«أنا على ما يرام. عليّ فقط أن أجد طريقة لتجاوز الأمر؛ لأكون جاهزاً في الغد».

«هل تعتقد أنه يتوجب عليك الاستمرار بتولي القضية في الوقت الراهن؟ ربما يجب متابعة القضية من قبل إحدى فرق وحدة العمليات».

استجاب بوش في الحال. لم يكن واثقاً في كيفية تعامله مع الخطأ الفادح الذي ارتكبه قبل ثلاثة عشر عاماً، ولكنه متأكد من أنه لن ينسحب الآن.

«لا يا كيز! لن أتخلى عن القضية. ربما أفلت من قبضتي في العام 1993. لكنه لن يفعل الآن».

«حسناً يا هاري».

لم تنهِ الاتصال، لكنها لم تقل شيئاً آخر بعد ذلك.

كان بوسع هاري سماع صوت بعيد لصافرة إنذار آتية من أسفل الطريق.

«هاري، هل بوسعي تقديم اقتراح؟».

علم ما هو آتٍ.

«بالطبع».

أعتقد أن عليك أن تدع الشراب جانباً، وتبدأ بالتفكير في شأن الغد. عندما ندخل إلى تلك الغرفة لن يكون مهماً أي خطأ ارتكبت في الماضي. سيدور الأمر كلّه مع هذا الرجل حول الحاضر. علينا أن نبقى يقظين».

ابتسم بوش، لم يعتقد أنه سمع هذا المصطلح منذ فترة الخدمة في فيتنام.

قال: «نبقى يقظين».

«هذا صحيح. أترغب في أن نلتقي في المكتب ونذهب سيراً على الأقدام من هناك؟».

«أجل، سأكون هناك في وقت أبكر. أريد أن أعرج أولاً على دائرة السجلات».

سمع بوش صوت طرق على باب المنزل الأمامي، فدخل إلى المنزل.

قالت رايدر: «حسناً، سأقابلك في المكتب ونذهب معاً، هل ستكون على ما يرام الليلة؟».

فتح بوش الباب، وكانت ريتشل وولينغ تقف هناك حاملة الملفات بكلتا يديها.

أجابها عبر الهاتف: «أجل يا كيز، سأكون بخير. تصبحين على خير».

أنهى المكالمة، ودعا ريتشل للدخول.

8

لم تتكبد ريتشل عناء تفقد المكان؛ لأنها كانت قد زارت منزله من قبل. وضعـت الملفـات على طاولة صغيـرة في المنطقة المخصصة لتناول الطعام، ونظرت إلى بوش.

«ما الخطب؟ هل أنت بخير؟».

«أنا بخير، لقد نسيتُ نوعاً ما أنك آتية».

«بإمكاني الرحيل إن...».

«لا، أنا سعيد أنّك هنا، هل أتيح لك الوقت للاطلاع على الملفات».

«نعم بعض الشيء. لديّ بعض الملاحظات والأفكار التي من شأنها أن تساعدك في الغد، إن رغبت في حضوري بإمكاني ترتيب وجودي هناك بشكل غير رسمي».

هزّ بوش رأسه.

«لا يهمّ إن كان بشـكل رسـمي أم بشكل غير رسمي. تلك الورقة التي يعول عليها ريك أوشيا، إن قمت بإقحام مكتب التحقيقات الفدرالي فسيتسبب ذلك في طردي».

ابتسمت وهزت رأسها.

«يعتقد الجميع أن جلّ ما يريده المكتب هو عناوين الأخبار».

«الأمر ليس دائماً على هذه الحال».

«لكني لا أستطيع أن أحوّل الأمر إلى حقل تجارب لأوشيا. هل ترغبين في شرب شيء ما؟».

أشار إلى الطاولة حتى يتاح لها الجلوس.

«ما الذي تشربه؟».

«كنت أشرب الفودكا. أعتقد أني سأحتسي القهوة الآن».

«هل يمكنك أن تعدَّ لي فودكا تونيك؟».

هزّ رأسه.

قال لها: «بإمكاني أن أقدم لك كأساً من دون تونيك».

«إذن عصير الطماطم».

«لا يوجد».

«عصير التوت البري».

«يوجد فودكا فقط».

«يا لك من رجل قوي يا هاري، أعتقد أني سأكتفي باحتساء القهوة».

اتجه نحو المطبخ ليجهز إبريق القهوة، سمعها وهي تجذب الكرسي وتجلس إلى الطاولة. عندما عاد، وجد أنها نشرت الملفات، ووضعت ورقة ملاحظات أمامها.

سألته: «هل فعلت أي شيء بخصوص الاسم؟».

«لا يزال الأمر قيد المتابعة. سنبدأ باكراً في صباح الغد، وآمل أننا سنجد شيئاً ما قبل الساعة العاشرة».

هزت رأسها، وانتظرته ليجلس أمامها.

سألته: «هل أنت جاهز؟».

«أنا جاهز».

انحنت إلى الأمام، ونظرت إلى ملاحظاتها. في البداية تحدثت من دون

أن ترفع ناظريها عنها.

قالت له: «أياً كان هذا الشخص، وأياً كان اسمه، من الواضح أنه ذكي ومخادع، انظر إلى حجمه، إنه قصير، وضئيل البنية، وهذا يعني أنه ممثل بارع، إنه قادر بطريقة ما على إقناع ضحاياه بمرافقته. وهذه النقطة جوهرية، فمن غير المرجح أنه استخدم القوة البدنية، على الأقل في البداية. إن حجمه ضئيل جداً ليقوم بذلك، وهو اعتمد على الجاذبية والمكر بدلاً من القوة، وقد أجاد في ذلك وبرع. حتى وإن كانت الفتاة قد وصلت لتوها إلى حي هوليوود بوليفارد، فلا بد أنها حذِرة، ولديها بعض الإجراءات لمتحذلقي الشوارع. إلا أنه أذكى بكثير».

هز بوش رأسه.

قال لها: «المحتال».

هزّت رأسها، وأشارت إلى مجموعة من المستندات.

قالت له: «أجريتُ بحثاً على الإنترنت حول هذا الموضوع، بحسب ما ورد في أسطورة رينارد، صوّر في الغالب كأحد رجال الدين، وأن لديه القدرة على التودد إلى جمهوره والتقرب منهم بهذه الطريقة حتى يتمكن من النيل منهم. شكّل الكهنوت في ذلك الوقت- نحن نتحدث هنا عن القرن الثاني عشر- السلطة المطلقة. في أيامنا هذه، الأمر يختلف. الآن تشكل الحكومة السلطة المطلقة، وأكثر تجليات هذه القوة تظهر في الشرطة».

«أتقولين أنه ربما انتحل صفة شرطي؟».

«مجرد فكرة، لكنها ممكنة، لا بد أنه امتلك خطة فعالة».

«ماذا بشأن السلاح؟ أو المال؟ ربما أظهر بعض المال، وهؤلاء النساء ينجذبن إلى المال...».

«أعتقد أن الأمر يتخطى مسألة السلاح وحتى المال. لتتمكن من استخدام أي منهما ما زال عليك أن تكون مأمون الجانب. لا يخفف المال من معايير

السلامة ولا بد أنه شيء آخر. أسلوبه أو كلامه المعسول. شيء يفوق المال أو يرافقه. وحين يقترب منهن، يستخدم السلاح».

هزّ بوش رأسه وكتب بضع ملاحظات على دفتر ملاحظات جلبه من الرف خلف مكان جلوسه.

سألها: «ماذا أيضاً؟».

«هل تعلم منذ متى وهو يزاول مهنته؟».

«لا، لكننا سنعرف غداً صباحاً، لماذا؟».

«حسناً، لأن ذلك يُظهر جانباً آخر من مهاراته. لكن اهتمامي ينبع ليس فقط من كونه يدير عمله الخاص، بل فضولي يمتد إلى اختياره لهذه المهنة. لقد أتاح له ذلك سهولة الحركة والتنقل عبر المدينة. لن ينتابك القلق إن شاهدت عربته مركونة في الحي، ما عدا في الليل، وهذا ما أدى إلى الإيقاع به دون أدنى شك. لقد سمح له عمله الدخول إلى منازل الناس، أتساءل إن بدأ بهذا العمل ليساعده على تحقيق نزواته- القتل- أو أنه امتهن هذا العمل قبل أن يتصرف بناءً على غرائزه».

دوّن بوش مزيداً من الملاحظات، لدى ريتشل وجهة نظر بالأسئلة التي طرحتها حول عمله. راودته أسئلة تدور في السياق ذاته. أيعقل أن ويتس مارس عمله قبل ثلاثة عشر عاماً؟ هل نظف النوافذ في هاي تاور وعلم بشأن الشقة الفارغة؟ ربما كانت تلك خطيئة أخرى، دليل آخر أهملوه في القضية.

«أعلم أنه لا يجب عليّ إخبارك بهذا، لكن عليك أن تتوخى الحيطة والحذر مع هذا الرجل يا هاري».

رفع ناظريه عن ملاحظاته.

«لماذا؟».

«شيء ما يتعلق بما أراه هنا- مع العلم أنّ هذه استجابة سريعة للكثير من المعلومات- هناك شيء ما خاطئ يتعلق بهذا كله».

«ما هو؟».

رتبتْ أفكارها قبل أن تجيب.

«عليك أن تتذكر أنه تم الإيقاع به بمحض الصدفة. الشرطة كانت تبحث عن لص منازل لكنهم تعثّروا بقاتل. بقي ويتس مجهولاً بشكل كامل بالنسبة إلى العدالة حتى تلك اللحظة التي عثر فيها رجال الشرطة على الأكياس في عربته، عمل بعيداً عن الأنظار لسنوات. كما قلت سابقاً، يبدو أن لديه مستوى معيناً من المكر والمهارة؛ ولهذا مؤشر على صعيد علم الأمراض أيضاً. فهو لم يكن يرسل ملاحظات للشرطة كما فعل زودياك أو ب.ت.ك.إذ إنه لم يظهر أمر ضحاياه على أنه تحدٍّ للمجتمع أو استهزاء بالشرطة، كان صامتاً. تحرك مستتراً. واختار ضحاياه، باستثناء أول جريمتي قتل، فمن الممكن أن يكون أوقع بهما من دون أن يخلّف ذلك أصداء كبيرة. تعرف ما الذي أقصده».

تردد بوش لحظة. لم يكن واثقاً في أنه يريد إخبارها عن الخطأ الذي ارتكبه مع إدغار قبل سنوات عدة.

لاحظت أن هناك شيئاً ما يدور في خلده.

«ماذا هناك؟».

لم يجبها.

«هاري، لا أرغب في التخمين. إن كان لديك شيء تريد أن تخبرني إياه فلا تتوانَ، وإلا سأرحل».

«اصبري عليّ حتى أحضر القهوة. آمل أنك تحبينها مرّة».

وقف، وتوجه إلى المطبخ ليسكب القهوة في فنجانين. عثر على بعض أكياس السكر والمحليات في السلة حيث يلقي التوابل التي تأتي برفقة طلبات الطعام، وأحضرها إلى ريتشل التي وضعت المحليات في فنجانها.

قالت بعد أن ارتشفت الرشفة الأولى: «حسناً، ما الذي تخفيه عني؟».

«ارتكبت وشريكي خطأ عندما عملنا على هذه القضية في العام 1993،

لا أعلـم هـل سـيتعارض مـا سـأقوله مـع وجهة نظـرك بأنه سـعى لعدم لفت الأنظار إليه، فقد تبيّن أنه اتصل بنا وقتها. بعد ثلاثة أسـابيع من بدء القضية، تحدث إلى شـريكي عبر الهاتف، واسـتخدم اسـماً مستعاراً. على الأقل نعتقد أنه اسم مستعار. ربما إذا رُبط هذا الأمر مع قصة رينارد الثعلب التي طرحتها، لعله اسـتخدم اسـمه الحقيقي. على كلّ حال لقد أخفقنا. لم نتحقق منه على الإطلاق».

«ما الذي تعنيه؟».

أخبرها بتأنٍّ، وبعد تردد، بتفاصيل الاتصال الذي تلقاه من أوليفاس، وعن اكتشـافه اسـم ويتس المسـتعار في الاسـتمارة 51. نظرت إلى الطاولة، وهزت رأسـها في حين كان يتحدث، اسـتخدمت القلم الذي تحمله في رسـم دائرة على ورقة الملاحظات أمامها.

قال لها: «ونُسي الأمر، استمر في المضي قدماً...وقتل الناس».

سألته: «متى اكتشفت ذلك؟».

«بعد أن افترقنا اليوم مباشرة».

هزت رأسها.

«وهذا يفسر سبب إفراطك في شرب الفودكا».

«أعتقد ذلك».

«ظننت... لا يهم ما الذي أظنه».

«لا، هذا ليس بسبب رؤيتك يا ريتشل. رؤيتك كانت أمراً لطيفاً».

أخذت فنجانها، وارتشفت منه، ثم نظرت إلى الأسفل، بدت وكأنها تجهز نفسها للمضي قدماً.

قالـت: «حسـناً، لا أرى أن اتصالـه بكـم وقتها يغير من اسـتنتاجاتي، نعم يبدو اتصاله بكم باسـتخدام أي اسـم كان وكأنه على غير سـجيته. لكن عليك أن تتذكر أن قضية غيسـتو تأتي في المراحل الأولى لتكوين شـخصيته، هناك

الكثير من النواحي التي تدخل في قضية غيستو والتي تختلف عن البقية. لذا لن يكون ذلك أمراً غير اعتيادي. أعني أن تكون القضية الوحيدة التي يقوم فيها بالتواصل».

«حسناً».

أشارت إلى ملاحظاتها مجدداً، مستمرة في تحاشي النظر إلى عينيه منذ أن أخبرها بأمر الخطيئة.

«إذن أين كنت قبل أن تعرض هذا الأمر؟».

«قلتِ إنه بعد أول جريمتي قتل أصبح يختار ضحاياه، وكان بوسعه أن يتوارى عن الأنظار من دون أن يلاحظه أحد».

«ما أريد قوله إنه يصل إلى الإشباع من خلال الفعل ذاته، لم يكن يحتاج لأن يعرف أي شخص آخر أنه يقوم بهذا الأمر. لم يكن يسعى وراء لفت الانتباه. لم يكن يرغب في أن يثير أي انتباه. إنجازه كان قائماً على الفعل ذاته. لم يحتج الأمر إلى مكون خارجي علني».

«حسناً، ما الذي أزعجك؟».

نظرت إليه.

«ما الذي تعنيه؟».

«لا أعرف. لكن يبدو أن هناك أمراً ما في تحليلك لهذا الرجل يزعجك. شيء ما لا تصدقينه».

هزت رأسها معترفة بأنه سبر مكنوناتها بشكل صحيح.

«كل ما في الأمر أن ملفه لا يتوافق مع صفات شخص قد يتعاون في هذه المرحلة من اللعبة، وأن يعترف بالجرائم الأخرى. ما أراه شخصاً يستحيل أن يعترف بأي من جرائمه، سينكرها أو سيبقى صامتاً على أقل تقدير، حتى يُعدم».

«حسناً، هذا تناقض، ألا يملك هؤلاء الرجال كلهم تناقضات؟ كلهم

مختلون بطريقة ما. لا يوجد تحليل دقيق مئة بالمئة».

هزت رأسها.

«هذا صحيح. لكن لا يزال الأمر خارج سياقه، لذلك ما أرغب في قوله هو أن الأمر يأخذ منحى آخر من وجهة نظره. هدف أكبر، خطة، إن صح التعبير. هذا الكلام كله المتعلق بالاعتراف هو مؤشر على التلاعب».

هزّ بوش رأسه كما لو أنّ ما تقوله أمر بديهي.

«بالطبع الأمر كذلك. إنه يتلاعب بأوشيا وبالنظام. إنه يستغل هذا الأمر ليتجنب الإعدام».

«ربما كان الأمر كذلك، ولكن قد يكون هناك دوافع أخرى، كن حذراً».

قالت آخر كلمتين بشكل صارم. كما لو أنها توجه مرؤوساً لديها، أو طفلاً.

قال بوش: «لا تقلقي سأكون حذراً».

قرر ألا يفكر في الأمر كثيراً.

سألها: «ما رأيك بأمر تقطيع الأوصال؟ إلى ماذا يشير؟».

«في الحقيقة أمضيت معظم الوقت في تقارير التشريح. لطالما كنت مؤمنة بأن أكثر ما يعرفه المرء عن قاتل يكون عبر ضحاياه. حُدد سبب الوفاة في القضايا كلها عن طريق الخنق. لا يوجد آثار جروح أو طعنات على الجثث. هناك تقطيع للأوصال فقط. هذان أمران مختلفان، أعتقد أن تقطيع الأوصال هو ببساطة جزء من عملية التنظيف. وهي الطريقة التي استخدمها للتخلص من الجثث بسهولة. أكرّر ما سبق لي أن قلته، هذا يظهر مهاراته في التخطيط والتنظيم. كلما قرأت عنه أدركت كم نحن محظوظون بإلقاء القبض عليه تلك الليلة». مرّرت إصبعها على ورقة الملاحظات التي كتبتها ثم تابعت. «وجدت الأمر المتعلق بالأكياس مثيراً للفضول. ثلاثة أكياس لامرأتين. احتوى كيس واحد على الرأسين والأيدي الأربع. بدا الأمر كما لو أن لديه وجهة مغايرة

للكيس الذي يتضمن الأعضاء المحددة للهوية. الرؤوس والأيدي. هل استطاعوا تحديد وجهته عندما أوقفوه؟».

هز بوش كتفيه.

«ليس تماماً. افترضوا أنه نوى دفن الأكياس في مكان ما حول الملعب. لكني لا أعتقد أن ذلك يجدي نفعاً؛ لأنهم شاهدوه وهو يقود السيارة بعيداً عن طريق الملعب نحو الحي. قاد السيارة بعيداً عن الملعب والغابة والأماكن التي بوسعه دفن الأكياس فيها. وجد بعض الأراضي المفتوحة أسفل الحي مع إمكانية الوصول إلى سفح التلة أسفل الملعب، لكنني أرى أنه لو أراد دفنها لما قصد الحي في المقام الأول. كان ليتوغل أكثر في المنتزه عوضاً عن ذلك، حيث إنّ فرص مشاهدته أقل بكثير».

«بالضبط».

نظرت إلى بعض وثائقها الأخرى.

سألها بوش: «ماذا هناك؟».

«حسناً، قد لا يكون لقصة رينارد الثعلب أية صلة بهذا كله. قد يكون الأمر برمته محض صدفة».

«لكن راينارد امتلك في الأسطورة قلعة كانت بمثابة ملاذه السري للاختباء».

رفعت حاجبيها.

«لم أعتقد أنك تملك حاسوباً، ناهيك عن إجادتك البحث عبر الإنترنت».

«لم أكن أنا. شريكتي هي من بحثت. لكن دعيني أخبرك شيئاً، كنت في الحي يائساً تماماً قبل أن أكلمك اليوم. لم أجد أية قلعة».

هزت رأسها.

قالت له: «لا تأخذ كل شيء بشكل حرفي».

قال لها: «حسناً، لا يزال هناك سؤال كبير حول قصة راينارد هذه».

«ما هو؟».

«هل قرأتِ صفحة الاحتجاز في ملفه؟ لن يتكلم مع أوليفاس وشريكه، لكنه أجاب عن الأسئلة الإجرائية في السجن عندما احتجز. حدد تحصيله العلمي عند الشهادة الثانوية. لم يحظَ بتعليم عالٍ. أقصد؛ انظري، هذا الرجل يعمل بتنظيف النوافذ. كيف له أن يعرف بأمر هذا الثعلب من القرون الوسطى؟».

«لا أعلم. لكن تكرر ظهور هذه الشخصية بشكل مستمر في الثقافات كلها، في قصص الأطفال، وبرامج التلفاز، هناك الكثير من الطرائق التي من شأن هذه الشخصية أن تترك من خلالها أثراً في هذا الرجل. ناهيك أن عليك ألا تقلل من ذكائه فقط لكونه ينظف النوافذ لكسب العيش. لقد امتلك عملاً وأدارَه. وهذا الأمر جوهري بما يخص إظهار قدراته، وتعتبر قدرته على العمل كقاتل لفترة طويلة من دون إلقاء القبض عليه دليلاً قوياً آخر على ذكائه».

لم يكن بوش مقتنعاً بشكل كامل. طرح عليها سؤالاً آخر آخذاً إياها إلى منحى جديد.

«كيف تتوافق الجريمتان الأوليان مع هذا الأمر؟ فقد انتقل من مسرحية علنية صاخبة ثم ضجة إعلامية حول قضية ماري غيستو إلى اختفاء كامل عن الأنظار كما تقولين».

«يختلف أسلوب عمل أي قاتل متسلسل. أبسط إجابة يمكن تقديمها أنه كان في مرحلة التعلم. أعتقد أن جرائم القتل الأولى- التي تخص الضحايا الذكور- كانت عبارةً عن فرصة سانحة للقتل. قتل انفعالي. فكّر في القتل لمدة طويلة، لكنه لم يظن أنه قادر على الإتيان بالفعل. وجد نفسه في وضع سانح لتجريب قدرته في خضمّ فوضى صاخبة. شكّل ذلك فرصة له ليستكشف قدرته فعلياً على ارتكاب جريمة والنجاة بها، لم يعر لجنس الضحية أو هويتها أية أهمية، في تلك اللحظة انصبّ جلّ اهتمامه على التحقق من قدرته على

ارتكاب الفعل بغض النظر عن الضحية».

هز بّوش رأسه مدركاً الأمر.

قال لها: «حسناً، قام بالأمر، ثمّ نأتي إلى قضية ماري غيستو. لمَ اختار ضحية تلفت انتباه الشرطة والإعلام؟».

أجابته: «كان في طور التعلم وتكوين الشخصية، أدرك أنه قادر على ارتكاب فعل القتل، وأراد أن يخرج إلى الصيد. كانت ضحيته الأولى. تعثر بها في دربه، امتلكت شيئاً ما يتوافق مع مخطط نزوته لتصبح ببساطة فريسة. تركز اهتمامه في تلك المرحلة على النيل من الضحية وحماية نفسه، كان خياره سيئاً في تلك القضية. اختار امرأة ستُفتقد، وسيجلب اختفاؤها ردّ فعل فورياً. لم يدرك في الغالب أن الأمر سيصل إلى هذا الحدّ. لكنه تعلم من ذلك؛ من أبواب الجحيم التي فتحها على نفسه».

هزّ بوش رأسه.

«تعلّم في الأحوال كلها أن يضيف عنصراً ثالثاً إلى دائرة تركيزه بعد غيستو؛ هوية الضحية. حرص أن يختار ضحايا لا تتوافق مع مخططه فحسب، ولكنها تنحدر أيضاً من خلفية اجتماعية مهمشة، إذ لا يجذب ذهابها وإيابها أي انتباه، ناهيك عن تسببه بأي ذعر».

«واختفى عن الأنظار».

«توارى عن الأنظار، وبقي على هذه الحال حتى حالفنا الحظ في إيكو بارك».

هزّ بوش رأسه. كان هذا الكلام كله ذا فائدة.

سألها: «هذا كله يجعلك تتساءلين، أليس كذلك؟ عن عدد الرجال الطلقاء في الخارج، أولئك القتلة المتوارين عن الأنظار».

هزّت وولينغ رأسها.

«نعم، يرعبني ذلك في بعض الأحيان، يجعلني أتساءل إلى أي حد كان

قـد ذهـب هـذا الرجـل في ارتـكاب جرائمه لـو لم نكن محظوظيـن إلى هذه الدرجة».

تحقّقت من ملاحظاتها من دون أن تضيف المزيد.

سألها: «هل هذا كل ما في جعبتك؟».

أدرك بوش حين رفعت وولينغ عينيها لتنظر إليه بحدية أنه اختار كلمات خاطئة.

استدرك الأمر بسرعة: «لم أعنِ الأمر بتلك الطريقة، هذه كلها معلومات عظيمة، وستكون مصدر عون كبير لي. ما قصدته؛ هل هناك شيء آخر ترغبين في إخباري به؟».

حدقت إلى عينيه لبرهة قبل أن تجيب.

«نعم، هناك شيء آخر. لكن لا علاقة له بالسياق».

«ما هو؟».

«عليك أن تهوّن على نفسك بشأن تلك المكالمة يا هاري. لا تدع ذلك يثبط عزيمتك. أنت مقبل على عمل شديد الأهمية».

هزّ بوش رأسه غير مقتنعٍ. من السهل عليها قول ذلك. لن يكون عليها العيش مع أشباح كل النساء اللواتي سيعترف راينارد ويتس بقتلهن في الصباح التالي.

قالت له: «لا تهز رأسـك بهذه الطريقة، هل تعلم كم من القضايا عملت عليها في تحليل السلوك إذ استمر المجرم بالقتل؟ كم استلمنا من مكالمات ورسـائل مـن هـؤلاء المعتوهيـن مـن دون أن نتمكـن من الإيقـاع بهم قبل أن تموت الضحية التالية؟».

«أعلم، أعلم».

«لدينـا جميعـاً أشـباح. إنـه جـزء مـن عملنـا. يحتل حيزاً أكبـر في بعض الأعمال من بعضها الآخر. ذات مرة حظيت بمدير، قال لي، إن لم تستطيعي

احتمال الأشباح، غادري المنزل المسكون».

هزّ رأسه وهو ينظر إليها مباشرة. كان صادقاً في إيماءته.

«كم جريمة حللتها يا هاري؟ كم قاتلاً أمسكت؟».

«لا أدري، لم أعدّهم».

«ربما يتوجب عليك عدّهم».

«ما الذي تريدين الوصول إليه؟».

«ما أعنيه، كم من هؤلاء القتلة كان ليستمر في تكرار ما يفعله لو لم تلقِ القبض عليهم؟ أراهنك أن الكثير منهم سيفعل».

«على الأغلب».

«ها أنت ذا، لقد قطعت شوطاً طويلاً. فكّر في الأمر».

«حسناً».

خطر في باله أحد هؤلاء القتلة. ألقى بوش القبض على روجر بويلان منذ سنوات عدّة. قاد سيارة بيك أب ذات كبينة من الخلف. استخدم الماريجوانا لإغراء فتاتين شابتين بالصعود إلى القسم الخلفي في حين ركن السيارة في هانسن دام. اغتصبهما وقتلهما. حقنهما بجرعة زائدة من مهدئ للأحصنة، ثم ألقى بهما في قعر مستنقع جاف في الجوار. لم يكن لدى بويلان سوى شيء واحد ليقوله عندما ألقى بوش القبض عليه: «يا لسوء الحظ، كنت قد بدأت لتوي».

تساءل بوش كم سيكون عدد الضحايا إن لم يلقِ القبض عليه. فكّر إن كان بوسعه مقايضة إيقاعه بروجر بويلان بقضية راينارد ويتس واعتباره نوعاً من التعادل. من ناحية اعتقد أنه يحق له فعل ذلك، لكنه من ناحية أخرى علم أنها صفقة خاسرة. أي محقق ماهر يدرك أن الخروج بتعادل في عالم جرائم القتل ليس أمراً جيداً بما يكفي على المدى الطويل.

قالت ريتشل: «أتمنى لو أن باستطاعتي مساعدتك».

نظر إلى عيني ريتشل خارجاً من ذكريات بويلان.

«لقد ساعدتني بالفعل، أعتقد أنني الآن أعرف بشكل أوضح مع من سأتعامل، ومع ماذا، عندما أدخل إلى الغرفة برفقته غداً».

وقفت وابتعدت عن الطاولة.

«أعني بشأن الأمر الآخر».

وقف بوش.

«وبذلك الأمر أيضاً، لقد كنت مصدر عون كبير».

التفّ حول الطاولة ليتمكن من مرافقتها نحو الباب.

«كن حذراً يا هاري».

«أعلم، لقد سبق أن قلت لي ذلك، لكن لا يتوجب عليك القلق. سيكون وضعاً آمنا جداً»

«لا أقصد الخطر الجسدي بقدر الخطر النفسي. توخً الحذر يا هاري. رجاءً».

قال لها: «سأفعل».

حان موعد رحيلها، لكنها ترددت. نظرت إلى محتويات الملف المبعثر على الطاولة ثمّ إلى بوش.

قالت له: «كنت آمل أن تتصل بي في وقت ما، لكن ليس بشأن قضية ما».

أخذ بوش بضع لحظات قبل أن يجيب.

«اعتقدت بسبب ما قلته- ما قلنا- أن..»

لم يكن واثقاً كيف عليه أن ينهي الجملة. لم يكن واثقاً مما كان يحاول قوله. مدت يدها ووضعتها برفق على صدره.

اقترب منها، ليدخل حيّز مساحتها الخاصة. طوّقها بذراعيه وجذبها إليه.

9

بقي بوش وريتشـل في السـرير بعد أن مارسـا الحميمية. تحدثا عن كل شيء فكرا فيه باستثناء ما قاما بفعله. لينتهي بهما المطاف بالعودة إلى القضية والمقابلة في الصباح التالي مع راينارد ويتس.

قال بوش: «لا أصدق أنني سأجلس وجهاً لوجه مع قاتلها بعد هذه المدة كلها، هذا يشبه الحلم. في الحقيقة، لقد راودني حلم بإلقاء القبض على هذا الرجل. ما أعنيه، لم يكن ويتس في الحلم، لكنني حلمت بحلٍّ القضية.

سألته: «من كان الفاعل في حلمك؟».

كان رأسها مرتاحاً على صدره. لم يستطع رؤية وجهها، لكنه شمّ رائحة شعرها. تحت الغطاء، وضعت إحدى ساقيها فوق ساقه.

«ذلك الرجل الذي لطالما اعتقدت أنه الفاعل، لكنني لم أملك أي دليل ضده، أظن أنني أردته أن يكون الفاعل بسبب دناءته».

«حسناً، هل ربطته أية صلة بغيستو؟».

حاول بوش هز كتفيه، لكن لم يستطع؛ نظراً لكون جسديهما متلاصقين.

«علم بشـأن المرأب حيث وجدنا السـيارة، وحظي بحبيبة سـابقة كانت شـبيهة بمـاري، ولديـه مشـكلة تتعلـق بالسيطرة علـى غضبـه. لا يوجد دليل ملمـوس ضـده، فقـط إحساسـي أنـه الفاعل. تتبعته مرة منـذ زمن، خلال أول

عام من التحقيق، إلى حقول نفط تقع خلف تلال بولدوين. تعلمين أين تقع أليس كذلك؟».

«تقصد حيث بوسعك رؤية مضخات النفط وأنت قادم إلى لاسينيغا من المطار».

«نعم، هذا صحيح. ذلك هو المكان. امتلكت عائلة هذا الشاب حصة من هذه الحقول. حاول والده أن يشدّ عوده، على ما أعتقد، تعلمين كيف تجري الأمور، حاول جعله يكسب رزقه بالرغم من أنهم يمتلكون أموالاً لا تأكلها النيران، لذا عمل حارس أمن هناك. راقبته في أحد الأيام. مرّ بالقرب من فتيين يعبثان في تلك الأرجاء، تعديا الحدود المسموحة، وعبثا. مجرد فتيين؛ ربما لا يتجاوزان الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من العمر. فتيان من الحي القريب».

«ما الذي فعله بهما؟».

«هاجمهما، ثمّ قيّدهما إلى إحدى المضخات بحيث يكون ظهر أحدهما إلى الآخر. قيدهما إلى ذلك العمود الذي كأن بمنزلة ركيزة للمضخة، ثم عاد إلى سيارة البيك آب خاصته، وقاد بعيداً».

«تركهما هناك وحسب؟».

«هذا ما اعتقدت أنه سيفعله لكنه عاد إليهما».

«كنت أراقب عبر منظار من أعلى التلة المسافة كلها عبر لاسينيغا حيث بوسعي رؤية حقل النفط كله من هناك. اصطحب برفقته رجلاً، واتجها بالسيارة نحو كوخ حيث أعتقد أنهما احتفظا بعينات من النفط الذي يستخرجونه من الأرض. دخلا إلى هناك ليخرجا حاملين دلوين مليئين، وضعاهما في صندوق البيك آب، وقادا عائدين، ثم نثرا تلك القذارة على الفتيين».

نهضت ريتشل مستندة إلى مرفقها ونظرت إليه.

«وأنت اكتفيت بمراقبة حدوث ذلك؟».

«كما أخبرتك كنت على التلة الواقعة على الطرف المقابل عبر لاسينيغا

قبل أن يقوموا ببناء المنازل هناك. كنت سأحاول التدخل بطريقة ما لو تمادى أكثر من ذلك. لكنه أطلق سراحهما. ناهيك أني لم أرغب في أن يعرف أنني أراقبه. في ذلك الوقت لم يعلم أني أشتبه به في قضية غيستو».

هزت رأسها كأنها فهمت موقفه وسبب عدم تدخله.

سألته: «أطلق سراحهما وحسب؟».

«أزال أصفادهما، ركل أحدهما على مؤخرته وأطلق سراحهما. كنت أعرف أنهما كانا خائفين ويبكيان».

هزّت ريتشل رأسها باشمئزاز.

«ما اسم هذا الرجل؟».

«اسمه أنتوني غارلاند. والده هو توماس ريكس غارلاند. لابد أنك سمعت به».

هزّت ريتشل رأسها إشارة إلى أنها لم تتعرف إلى الاسم.

«حسناً، قد لا يكون أنتوني هو قاتل غيستو لكن يبدو لي أنه وضيع جداً».

هزّ بوش رأسه.

«إنه كذلك، هل ترغبين في رؤيته؟».

«ماذا تقصد؟».

«بحوزتي أكثر الفيديوهات رواجاً. استدعيته إلى غرفة التحقيق ثلاث مرات خلال ثلاثة عشر عاماً. سُجلت التحقيقات كلها على شريط».

«هل الشريط بحوزتك هنا؟».

هزّ بوش رأسه، رغم إدراكه أنها قد تجد أمر دراسته للتحقيقات في المنزل أمراً غريباً، أو منفراً.

«حظيت بنسخ منه على شريط. جئت بها إلى المنزل؛ لأشاهدها في آخر مرة عملت فيها على القضية».

بدت ريتشل وكأنها تفكر في جوابه قبل أن تجيب.

«إذن شغّله، دعنا نلقِ نظرة على هذا الرجل».

نهض بوش من السرير ليرتدي سرواله الداخلي ويضيء المصباح. توجه إلـى غرفـة الجلـوس، وبحث في الخزانة الواقعة تحـت التلفاز، حيث احتفظ بتسجيلات عدة لتحقيقات تعود لقضايا قديمة، إضافة إلى تسجيلات متنوعة وأقـراص مدمجـة. أخيـراً، وجد شـريط فيديـو بعلبة مؤطرة كُتب عليها اسـم غارلاند، حمله وعاد إلى الغرفة.

امتلك تلفازاً بجهاز فيديو مدمج موضوع على المنضدة. شغّله، ووضع الشريط بداخله، وجلس على طرف السرير ممسكاً بجهاز التحكم. لم يخلع سـرواله الداخلي بما أنه الآن يعمل برفقة ريتشـل. التي بقيت تحت الأغطية، ومدت ساقها نحوه؛ لتربت بأصابع قدميها على ظهره فيما كان الشريط على وشك بدء العرض.

«هـل هـذا مـا تفعلـه مـع كل الفتيـات اللواتي تأتي بهن إلـى هنا؟ تريهن أسلوبك في التحقيق».

نظر بوش نحوها برد فعل كاد أن يكون جدياً.

«أنت المرأة الوحيدة في العالم التي بوسعي فعل هذا برفقتها يا ريتشل».

ابتسمت

«أعتقد أنني أفهمك يا بوش».

عاد لينظر إلى الشاشـة. بدأ الشـريط بالعرض، ضغط زر إخفاء الصوت عبر جهاز التحكم.

«هذا التسجيل الأول في الحادي عشر من آذار عام 1994. ستة أشهر تقريباً بعد اختفاء غيستو كنا نستجدي للوصول إلى أي خيط في القضية. لم نملك أيّ دليل لاعتقاله- ولم نكن حتى قريبين من ذلك- لكنني أقنعته بالقدوم إلى المركز للإدلاء بإفادته. لم يعلم أني أشك به، اعتقد أنه سيتحدث حول الشقة حيث أقامت حبيبته السابقة فحسب».

ظهرت على الشاشة صورة بألوان غير واضحة لغرفة صغيرة فيها طاولة جلس حولها رجلان. أحدهما هاري بوش بنسخة أصغر بكثير في العمر، أما الآخر فكان رجلاً في بداية العشرينات من عمره بشعر أشقر فاتح. كان ذاك أنتوني غارلاند. ارتدى قميصاً كُتب على صدره كلمة ليكرز. كمّاه مشدودان إلى يديه. وظهر على عضلة ذراعه اليسرى وشم أسود لأسلاك شائكة لفّت ذراعه.

«حضر بشكل طوعي. بدا شكله حينها وكأنه متجهٌ لقضاء يوم على الشاطئ، في كل الأحوال...».

أعاد تشغيل الصوت. ظهر غارلاند على الشاشة وهو يتفحص أرجاء الغرفة بابتسامة تعلو وجهه.

سأل: «هنا يتم الأمر، أليس كذلك؟».

سأله بوش: «ما الذي يتم بالضبط؟».

«كما تعلم، تضغط على الرجال السيئين حتى ينهاروا ويعترفوا بكل جرائمهم».

ابتسم بتحفّظ.

قال بوش: «في بعض الأحيان، لكن دعنا الآن نتحدث عن ماري غيستو، هل كنت تعرفها؟».

«لا، لم أكن أعرفها، لم يسبق لي أن رأيتها قبل...».

«قبل ماذا؟».

«قبل أن تريني صورتها».

«في حال أخبرني أحد أنك تعرفها هل سيكون كاذباً».

«بالطبع، من أخبرك بهذا الهراء؟».

«لكنك على علم بشأن المرأب الفارغ في هاي تاور أليس كذلك؟».

«نعم، حسناً، فصديقتي انتقلت من هناك للتو. علمت أن المكان فارغ،

لكن هذا لا يعني أني أخفيت السيارة هناك. لقد طرحت هذه الأسئلة كلها عليّ في المنزل. اعتقدت أن هناك شيئاً جديداً قد طرأ. هل أنا قيد الاعتقال أو شيءٌ من هذا القبيل؟».

«لا يا أنتوني، أنت لست قيد الاعتقال، رغبت أن تأتي إلى هنا لنراجع بعض الأحداث».

«لقد سبق لنا أن راجعناها».

«هذا كان قبل أن نعرف بعض التفاصيل الأخرى عنك وعنها، من المهم حالياً أن نراجع بعض الأساسيات مجدداً، وأن ننشئ محضراً رسمياً لها».

امتقع وجه غارلاند من الغضب مباشرة، وانحنى على الطاولة.

«أي تفاصيل جديدة؟ عمَّ تتحدث بحق الجحيم؟ ليس لي أية صلة بهذا الأمر. أخبرتك بهذا مرتين على الأقل حتى الآن. لمَ لا تبحث في الخارج عن الفاعل الذي ارتكب الجريمة؟».

انتظر بوش إلى أن هدأ غارلاند قليلاً قبل أن يجيب.

«لأنني ربما أعتقد أني برفقة الفاعل الذي ارتكبها».

«سحقاً لك يا رجل، لا يوجد لديك دليل ضدي لأني لم أفعل شيئاً. أخبرتك هذا منذ اليوم الأول. أنا لست القاتل». انحنى بوش بدوره ليصبح وجهاهما قاب قوسين من بعضهما.

«أعرف ما الذي أخبرتني به يا أنتوني، ولكن حصل هذا قبل أن أذهب إلى أوستن وأتحدث إلى صديقتك. بصراحة يا أنتوني، أخبرتني أموراً تستدعي مني المزيد من الانتباه إليك».

«سحقاً لتلك العاهرة».

«حسناً إن كان الأمر كذلك، لماذا غضبت عندما تركتك؟ لماذا هربت منك؟ لماذا لم تدعها وشأنها وحسب؟».

«لا أحد يهجرني، أنا أهجرهن جميعاً، فهمت».

اعتدل بوش في جلسته وهزّ رأسه.

«حسناً إذن. أخبرني بأدق التفاصيل التي بوسعك تذكرها عما فعلته في التاسع من أيلول من العام المنصرم. أخبرني عن الأماكن التي قصدتها والأشخاص الذين قابلتهم».

بدأ بوش بتسريع الشريط باستخدام جهاز التحكم.

«لم يمتلك عذراً للغياب في الوقت الذي نعتقد أنه تم استدراج ماري فيه خارج المتجر، لكن بإمكاننا أن نتخطى هذا الجزء من المقابلة لأنه استغرق وقتاً طويلاً جداً».

كانت ريتشل تجلس حينها معتدلة خلفه في السرير، وقد لفّت الغطاء حولها، نظر إليها بوش وسألها: «ما رأيك بهذا الرجل حتى الآن؟».

هزت كتفيها العاريتين.

«يبدو لي مجرد ثريّ سافل. لكن ذلك لا يجعل منه قاتلاً».

هزّ بوش رأسه.

«هذا الجزء يعود إلى العامين التاليين. وجّه محامو شركة والده صفعة لي باستصدار أمر إبعاد مؤقت بحقي. ولم يسعني أن أحقق معه إلا بحضور محامٍ. لذا لا يوجد الكثير باستثناء أمر واحد أرغب أن تريه. المحامي المكلف بهذه القضية من طرفه هو دينيس فرانكس من شركة سيسل دوبس. رجل مهم من سينشري ستي أدار شؤون تي ريكس».

«من يكون تي ريكس هذا؟».

«الأب. توماس ريكس غارلاند. يُحبُّ أن أطلق عليه تي ريكس».

«نوع من الاستعارة المجازية».

أبطأ بوش من سرعة الشريط قليلاً حتى يتسنى له الرؤية بشكل أوضح، ليحدد المكان الذي يريد التوقف عنده؛ ظهر على الشاشة غارلاند يجلس إلى الطاولة برفقة رجل على يمينه. في حين تحركت الصور بالحركة السريعة

ظهر المحامي وموكله يتحدث كل منهما همساً في أذن الآخر مرات عدة. أعاد بوش حركة الفيديو أخيراً إلى سرعتها الطبيعية ورفع الصوت مجدداً. كان المحامي فرانكس من يتحدث.

«تعاون معك موكلي بشكل كامل، لكنك تستمر بمضايقته في العمل والمنزل بتلك الشكوك والأسئلة التي لا تستند إلى ذرة من الأدلة الملموسة».

قال بوش: «أعمل على هذا الجزء أيها المحامي! وعندما أعثر على دليل لن يكون بوسع أي محامٍ في العالم أن يساعده».

قال غارلاند: «سحقاً لك يا بوش، ادعُ الله ألا تواجهني وحيداً يا رجل، سأمرغك في الوحل».

وضع فرانكس يده على ذراع غارلاند لتهدئته، وصمت بوش لبضع لحظات قبل أن يجيب.

«أنت لا تهددني الآن يا أنتوني، أليس كذلك؟ تعتقد أني أحد أولئك الفتية الذين تقوم بتقييدهم في حقول النفط، وترمي بالنفط الخام فوقهم؟ هل تظن أني سأرتعد خوفاً منك؟».

صعق غارلاند وأُظلم وجهه. بدت عيناه مثل قطعتي رخام أسود أصم.

ضغط بوش زر الإيقاف المؤقت على جهاز التحكم بالفيديو.

قال لريتشل وهو يشير بجهاز التحكم إلى الشاشة: «ها هو ذا، هذا ما أردتك أن تشاهديه. انظري إلى وجهه. محض غضب عارم لا تشوبه شائبة. لهذا السبب اعتقد أنه الفاعل».

لم تستجب وولينغ، فنظر إليها بوش. بدت كما لو أنها رأت غضباً عارماً كهذا من قبل.

بدت وكأنها مرتعدة الأوصال بسببها. تساءل بوش ما إن شاهدتها لدى أحد القتلة الذين واجهتهم أو أحد آخر.

التفت بوش إلى التلفاز من جديد، وضغط زر التسريع مجدداً.

«سننتقل الآن قرابة العشرة أعوام إلى الأمام، حين استدعيته في شهر نيسان المنصرم. رحل فرانكس وحلّ رجل جديد مكانه ليستلم القضية في مكتب محاماة دوبس. لقد ارتكب هفوة ولم يذهب إلى القاضي عند انتهاء صلاحية أمر الإبعاد. لذا اغتنمت الفرصة معه. تفاجأ عندما رآني. أمسكت به في أحد الأيام وهو يهمّ بالخروج من كيت مانتليني عند الغداء. على الأرجح، اعتقد أني اختفيت من حياته إلى الأبد.

أوقف زر التسريع وشغّل الفيديو. بدا غارلاند على الشاشة أكبر في العمر، ممتلئ الجسد بوجه عريض، وأصبح شعره الآن خفيفاً وقصيراً. ارتدى قميصاً أبيض وربطة عنق. تتبعته التحقيقات من عهد المراهقة إلى عهد الرجولة. جلس هذه المرة في غرفة تحقيق مختلفة في باركر سنتر.

قال: «إن لم أكن رهن الاعتقال فسيكون بوسعي الانصراف الآن. هل بوسعي الانصراف؟».

أجابه بوش: «كنت آمل أن تجيبني عن بضعة أسئلة أولاً».

«أجبتك عن أسئلتك كلها منذ أعوام خلت. هذا ثأر يا بوش. أنت لن تستسلم أبداً، لن تدعني وشأني. هل بوسعي الانصراف أم لا؟».

«أين خبأت جثتها؟».

هزّ غارلاند رأسه.

«يا إلهي. هذا شيء لا يصدّق. متى سينتهي هذا الأمر؟».

لن ينتهي أبداً يا غارلاند. ليس قبل أن أجدها وليس قبل أن أزجّ بك في السجن».

«هذا محض جنون! أنت مجنون يا بوش، ما الذي أستطيع قوله حتى تصدقني؟ ما الذي-»

«تستطيع أن تخبرني أين هي، عندها فقط سأصدقك».

«حسناً إذن، هذا الشيء الوحيد الذي لا أستطيع إخبارك به، لأنني لا-»

أطفأ بوش التلفاز فجأة باستخدام جهاز التحكم. أدرك للمرة الأولى كم كان أعمى البصيرة. كان في سعيه وراء غارلاند بلا هوادة ككلب يطارد سيارة غافلاً عن الازدحام الذي أمامه، غافلاً عن الدليل الموجود أمامه في محضر الجريمة الذي يوصله إلى القاتل. مشاهدته للشريط برفقة وولينغ جلبت له عاراً فوق العار. اعتقد أنه إن أراها الشريط ستفهم سبب تركيزه على غارلاند. ستفهم وتغفر له خطيئته. لكن رؤيته الآن في ضوء اعتراف ويتس المرتقب من شأنه ألا يدعه حتى يغفر لنفسه.

انحنت ريتشل نحوه ولمست ظهره، تتبعت أصابعها الناعمة امتداد عاموده الفقري.

قالت له: «هذا يحصل مع الجميع».

هزّ بوش رأسه، فكّر بينه وبين نفسه، ليس معي.

قال: «أعتقد أني سأبحث عنه لأعتذر له عندما ينتهي هذا كله».

«تباً له. هو لا يزال سافلاً، ما كنت لأزعج نفسي بذلك».

ابتسم بوش. كانت تحاول أن تهون عليه الأمر.

«هل تظنين ذلك؟».

سحبت مطاط ثيابه الداخلية إلى الخلف، ثم أفلتته ليلسع ظهره.

«أظن أني لا أزال أملك ساعة على الأقل قبل أن أفكر في العودة إلى المنزل».

التفت بوش ينظر إليها، فرآها تبتسم له.

10

في صبيحة اليوم التالي، مشى كل من بوش ورايدر من مبنى السجلات إلـى محكمـة الجنايـات ليصـلا إلى مكتب المدعي العام أبكر بعشـرين دقيقة رغم انتظارهما عند المصعد. كان كل من أوشيا وأوليفاس بانتظارهما. جلس الجميع على المقاعد ذاتها كما في السابق.

لاحـظ بـوش أنـه تمت إزالة الملصقات التـي عُلقت على الجدار. لعلها وُظفـت لاسـتخدام أكثـر نفعاً في مكان آخر. ربما أُرسـلت إلـى القاعة العامة حيث تم تحديد موعد ندوة للمرشحين في تلك الليلة.

شاهد بوش عندما جلس محضر التحقيقات الخاص بغيستو على مكتب أوشيا. أخذه من دون أن يطلب إذناً، وفتح مباشرةً على سجل السرد الزمني. بحث عن الاستمارة 51 حتى وصل إلى صفحة 29 أيلول 1993. نظر إلى البند الذي أخبره عنه أوليفاس في الليلة السابقة. كان كما قُرئ لبوش بالضبط، البند الأخير من اليوم. شعر بوش بإحساس عميق بالندم يتملّكه مجدداً.

قال أوشيا: «أيها المحقق بوش! جميعنا نرتكب أخطاء، دعنا نتجاوز الأمر فحسب، ونفعل أفضل ما في وسعنا اليوم».

نظـر إليـه بـوش، وهز رأسـه فـي نهاية الأمر. أغلق المحضـر وأعاده إلى المكتب.

تابع أوشيا.

«أُخبرت أن موري سوان في غرفة التحقيق برفقة السيد ويتس، وهما جاهزان للبدء، أرغب في المضي بالقضايا واحدة تلو الأخرى بالترتيب. نبدأ بفيتزباتريك، وعندما نأخذ مرادنا من الاعتراف، نمضي قدماً إلى قضية غيستو، وعندما نكتفي منها أيضاً ننتقل إلى القضية التالية وهكذا دواليك».

هزّ الجميع رؤوسهم باستثناء بوش الذي قال: «لن أكتفي حتى نضع أيدينا على رفاتها».

كان أوشيا من أومأ برأسه هذه المرة، رفع مستنداً من فوق مكتبه.

«أتفهم هذا. إذا كان بوسعك أن تحدد مكان الضحية بناءً على اعترافات ويتس سيكون ذلك جيداً. أما إذا اقتضى الأمر أن يقودنا ليرشدنا إلى الجثة فلدي هنا طلب سماح بالخروج جاهز لإرساله للقاضي. سأقول هذا إن وصلنا إلى النقطة التي سنصطحب فيها الرجل خارج الحجز، علينا أن نحرص حينها أن تكون الحراسة بحدها الأقصى. سيحمل هذا الأمر الكثير من الأمور على المحك هنا؛ لذا لا يمكننا أن نرتكب أي خطأ».

أخذ أوشيا وقته وهو ينقل نظره من محقق إلى آخر؛ ليتأكد من أنهم يدركون جسامة الموقف؛ إنه يقامر بحملته الانتخابية ومستقبله في سبيل ضمان سلامة راينارد ويتس.

قال أوليفاس: «سنكون جاهزين لأي شيء».

لم تغادر النظرة المتحفظة وجه أوشيا.

سألهما: «سيكون حضوركما رسمياً أليس كذلك؟».

قال أوليفاس: «لا أعتقد أن هذا ضروري، فالحضور الرسمي يجذب الانتباه. بإمكاننا أن نتعامل معه، لكننا سنلتزم بالأمر إن كانت تلك رغبتك».

«نعم، أعتقد أنه من الأفضل القيام بذلك».

«إذن لا مشكلة. بوسعنا إما الحصول على سيارة من ميترو لتقلنا وإما

مفوضين اثنين من السجن».

هز أوشيا برأسه معطياً موافقته.

«هل نحن جاهزون للبدء؟».

قال بوش: «هناك أمر آخر، نحن لا نعرف من ذلك الرجل الذي ينتظرنا في الغرفة، ولكننا متأكدون من أن اسمه ليس راينارد ويتس».

ظهرت علامات الدهشة على وجه أوشيا، وانتقلت في الحال لتعم وجوه الجميع، فغر أوليفاس فاه، وانحنى إلى الأمام.

قال أوليفاس محتجاً: «لقد تحققنا من بصمات أصابعه عند إدانته السابقة».

هزّ بوش رأسه.

«نعم، بسبب إدانة سابقة. كما تعلم عندما ظهر قبل ثلاثة عشر عاماً بتهمة التلصص زودنا بداية باسم روبرت ساكسون، وبتاريخ ميلاد يعود إلى الثالث من تشرين الثاني 1975. وهو الاسم ذاته الذي استخدمه لاحقاً في ذلك العام عندما اتصل بشأن غيستو، لكنه زودنا بتاريخ ميلاد مختلف، الثالث من تشرين الثاني 1971. عندما أوقف بتهمة التلصص وتم تفحص بصماته عبر الحاسوب، كان هناك تطابق مع رخصة قيادة باسم راينارد ويتس المولود بتاريخ الثالث من تشرين الثاني 1971. إذن لدينا تطابق باليوم والشهر، لكن الاختلاف هو في الأعوام. وعندما تمت مواجهته بنتائج بصمات الأصابع أقر أنه راينارد ويتس، قائلاً إنه استخدم اسماً مزيفاً، وتاريخ ميلاد أيضاً على أمل أن يعامل كقاصر. هذا كله مذكور في الملف».

سأل أوشيا بصبر نافد: «إلى ماذا ترمي من وراء هذا كله؟».

«اصبر فقط حتى أنتهي من كلامي. حظي بإطلاق سراح مشروط بتهمة التلصص كونها أول مرة يرتكب فيها الجرم. قال في محضر إطلاق السراح المشروط إنه وُلد وترعرع في لوس أنجلوس، أليس كذلك؟ لو أتينا للتو من قاعة السجلات، لا يوجد أي سجل يخص ولادة راينارد ويتس في لوس

أنجلوس في ذلك التاريخ أو في أي تاريخ آخر. هناك الكثير من الأشخاص باسم روبرت ساكسون ولدوا في لوس أنجلوس، لكن لم يولد أيٌ منهم في الثالث من تشرين الثاني في أي من العامين المذكورين في الملف».

قالت رايدر: «الخلاصة، أننا لا نعلم من هو الشخص الذي نحن على وشك التحدث إليه».

دفع أوشيا كرسيه إلى الخلف ووقف. فكّر في شأن المعلومات الأخيرة وهو يجوب أرجاء المكتب الفسيح.

«حسناً، إذن ما تقوله إن لدى إدارة المركبات بصمات خاطئة على الملفات، أو إن هناك معلومات متضاربة».

استدار بوش في مقعده حتى يتمكن من النظر إلى أوشيا وهو يجيبه.

«ما أقوله إن هذا الرجل، أياً من كان في الحقيقة، ذهب إلى إدارة المركبات قبل ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً وحظي بهوية مزورة. ما الذي تحتاج إليه للحصول على رخصة قيادة؟ إثبات للعمر! في حينها كان بوسعك شراء شهادة ميلاد وهوية عبر اتصال هاتفي في هوليوود بوليفارد من دون أي مشاكل. ومن شأن رشوة لموظف في إدارة المركبات أن تفعل الكثير من الأشياء. المهم أنه لا يوجد أي سجل يدل على ولادته هنا في لوس أنجلوس، كما ادعى هو، وهذا يضع المعلومات الأخرى كلها في دائرة الشك».

قال أوليفاس: «ربما كانت خدعة. ربما كان ويتس بالفعل لكنه كذب بشأن ولادته هناك. يشبه ذلك عندما تولد في ريفرسايد وتخبر الجميع أنك من لوس أنجلوس».

هزّ بوش رأسه غير قابل بالمنطق الذي يحاول أوليفاس تمريره.

أصر بوش: «هذا اسم غير صحيح، أخذ اسم راينارد من شخصية تعود إلى العصور الوسطى عُرفت باسم الثعلب رينارد. هُجئت مع حذف حرف ألف بعد الراء لكن لها اللفظ ذاته. أدمج هذا مع الكنية وستجد أن الاسم هو

الثعلب الصغير المترصد. هل فهمت الأمر؟ لا تقنعني أن أحداً سماه بهذا الاسم عند ولادته».

بفعل كلماته حلّ الصمت في أرجاء الغرفة.

قال أوشيا وهو يفكر في صوتٍ عالٍ: «لا أعلم، تبدو لي تلك الصلة المتعلقة بالعصور الوسطى أمراً يصعب تصديقه بعض الشيء».

«يبدو الأمر صعب التصديق؛ لأننا لا نستطيع تحديد ماهيته» تابع بوش حديثه. «إن سألتني رأيي، ما يصعب تصديقه أن هذا هو اسمه الحقيقي».

سأل أوليفاس: «حسناً، ما تقوله إنه غيّر اسمه واستمر باستخدامه حتى بعد أن تم اعتقاله وتعقبه، هذا أمر غير منطقي بالنسبة إليّ».

«هذا أمر غير منطقي بالنسبة إليّ أيضاً، لكننا لا نعرف بعد القصة».

سأله أوشيا: «حسناً، ما الذي تقترح فعله؟».

قال بوش: «لا شيء، أنا ألفت نظركما إلى الأمر فحسب، لكنني أعتقد أن علينا تتبع السجلات الخاصة بالأمر وصولاً إلى تلك النقطة. كما تعرف، نسأله أن يعرّف عن اسمه، تاريخ ولادته ومكانها، كما هو الإجراء الروتيني المتبع لبدء مثل هذه التحقيقات. إن زودنا باسم ويتس ربما سيكون بوسعنا إيقاعه بحبل كذبه في نهاية المطاف؛ لنقاضيه على كل شيء. قلت إن هذا هو الاتفاق؛ حبل الكذب قصير، يوقع صاحبه في شر أعماله، بإمكاننا أن نقلب الطاولة عليه».

كان أوشيا يقف بجوار طاولة القهوة خلف الموضع الذي يجلس فيه كل من بوش ورايدر. التفت بوش مجدداً ليرى رد فعله على الاقتراح الذي قدمه.

قلّب المدعي العام الأمر وهو يهز برأسه.

في نهاية المطاف قال: «لا أرى ضيراً في ذلك، دوّن الأمر في السجلات، ودعه يسير بشكل متقن وروتيني، بإمكاننا مواجهته بالأمر لاحقاً؛ إذا ما اكتشفنا المزيد بهذا الخصوص».

نظر بوش إلى رايدر.

«ستكونين أول من يبدأ معه، تستجوبينه حول أول قضية، بإمكانك أن تجعلي سؤالك الأول عن اسمه».

أجابته: «حسناً».

عاد أوشيا إلى وراء المكتب.

قال أوشيا: «حسناً، هل نحن مستعدون؟ حان الوقت لنذهب، سأحاول البقاء برفقتكم على قدر ما يسمح لي جدول أعمالي، لا تشعروا بالإهانة إن أقحمت نفسي لأطرح سؤالاً بين الفينة والأخرى».

وقف بوش وتبعته رايدر ثم أوليفاس.

قال بوش: «هناك شيء أخير، حصلنا على قصة موريس سوان في الأمس، ربما يجب أن تعرفا بها أيها الرفيقان!».

تناوب كلّ من بوش ورايدر على سرد القصة التي أخبرهما بها أبل برات. عندما انتهيا ضحك أوليفاس، وهز رأسه. استنتج بوش من تعابير وجه أوشيا أنه كان يحصي عدد المرات التي صافحه بها في المحكمة. ربما قلق من التداعيات المحتملة لهذا الأمر سياسياً.

توجّه بوش نحو باب المكتب. شعر بمزيج من الحماسة والرهبة. شعر بالحماسة؛ لأنه سيعرف أخيراً ما حصل مع ماري غيستو قبل مدة طويلة، وشعر بالرهبة في الوقت ذاته؛ لأنه سيعرف ما حصل. أرعبته الحقيقة المتمثلة في أن التفاصيل التي أصبح على وشك أن يعرفها ستثقل كاهله بالأعباء، تلك التي عليه أن ينقلها إلى والد ووالدة ينتظرانه في بيكرسفيلد.

11

وقف مفوضا شرطة بلباسهما الرسمي عند باب غرفة التحقيق، حيث جلس الرجل الذي يدَّعي أنه راينارد ويتس. تنحيا جانباً ليسمحا لفريق الادعاء بالدخول. احتوت الغرفة على طاولة طويلة، جلس ويتس ومحامي الدفاع، موريس سوان، إلى أحد جوانبها. جلس ويتس إلى منتصف الطاولة تماماً، وإلى يساره سوان الذي وقف وحيداً عندما دخل المحققون والمدعي العام، كان ويتس مربوطاً إلى مسند الكرسي بأصفاد بلاستيكية. مدّ موريس سوان- وهو رجل نحيل، يضع نظارة ذات إطار أسود، وشعره كثيف غزاه الشيب- يده ليصافحهم، لكن أياً منهم لم يصافحه.

جلست رايدر إلى الطاولة على الكرسي المقابل لويتس مباشرة، وجلس بوش وأوشيا إلى جانبيها، في حين جلس أوليفاس على آخر كرسي بجوار الباب؛ بما أن دوره سيحتاج في تسلسل التحقيق إلى بعض الوقت.

تولى أوشيا أمر التعريف، لكن مجدداً لم يكلف أحد نفسه عناء المصافحة. لبس ويتس بذلة برتقالية كتب على امتداد صدرها بأحرف سوداء.

سجن مدينة لوس أنجلوس،

ابقَ بعيداً.

لـم يكتـب السـطر الثانـي بهدف التحذيـر إلا أنه نافع جـداً لهذه الغاية. المقصود منه أن ويتس في حالة العَزل ضمن السـجن، ويشـير إلى أنه سُـجن في زنزانة انفرادية ولا يسـمح له بالتواصل مع السـجناء الآخرين. اعتمد هذا الإجراء لضمان سلامة كل من ويتس والسجناء الآخرين.

لاحظ بوش وهو يدرس هذا الرجل الذي بقي يطارده ثلاثة عشر عاماً أن أكثر ما يثير الرعب بشـأنه أنه يبدو مثل أي رجل عادي. هزيل الهيئة، مألوف الوجه، سَمح، رقيق القسمات، شعره قصير وأسود اللون. كان نموذجاً مثالياً عن الإنسـان العادي. لم يشـر أي شـيء إلى الشـر القابع داخله سـوى ذلك اللمعـان الـذي سـكن عينيـه اللتيـن كانتا بنيتيـن غامقتين وواسـعتين، وكانت نظرتهمـا خاويـة؛ نظـرة رآهـا بوش في أعين قتلة آخرين جلس وجهاً إلى وجه معهم على مرّ السنين. عينين خاليتين من أي شيء، لا يمكن لشيء أن يملأهما بصرف النظر عن الأرواح التي أزهقها صاحبهما.

شـغّلت رايدر جهاز التسـجيل الموضوع على الطاولة، وبدأت التحقيق بطريقـة مثاليـة، مـن دون أن تعطـي ويتس أدنى مجال للشـك أنه على وشـك الدخول إلى المصيدة منذ السؤال الأول من الجلسة.

«أتوقع أن السـيد سـوان شـرح لك مسـبقاً أننا سنسجل جلسات التحقيق جميعها، ثم سنسـلم التسـجيلات إلى محاميك الذي سـيحتفظ بها حتى ننجز الاتفاق بشكل كامل. هل تعرف هذا وتقبل به؟».

قال ويتس: «نعم، إنه كذلك».

قالت رايدر: «جيّد، فلنبدأ بسـؤال سـهل، هلّا أخبرتنا باسـمك، وتاريخ ولادتك ومكانها لنسجلهما».

انحنى ويتس إلى الأمام متصنعاً وجهاً يبدو كما لو أنه يدلي بشيء بديهي.

قال بامتعاض: «راينارد ويتس، ولدت في الثالث من تشرين الثاني 1971 في مدينة الملائكة».

«إن كنت تعني مدينة لوس أنجلوس، قل ذلك بشكل واضح لو سمحت».

«نعم، لوس أنجلوس».

«شكراً لك، اسمك الأول غير مألوف، هل بوسعك تهجئته ليتم تسجيله؟».

تذمّر مجدداً. كانت تلك خطوة حذقة من رايدر، من شأنها أن تجعل أمر ادعاء الرجل الذي يجلس أمامهم أنه كذب دون قصد خلال التحقيق أكثر صعوبة.

«هل تعرف أصل الاسم؟».

«أخرجه والدي من مؤخرته على ما أعتقد. لا أدري، اعتقدت أننا هنا لنتحدث عن القتلى وليس عن هراء تافه مسلّم به».

«سنقوم بذلك يا سيد ويتس سنقوم بذلك».

شعر بوش بارتياح هائل يغمره. كان يعلم أنهم على وشك الخوض في إعادة سرد أحداث مرعبة، لكنه أدرك بالفعل أنهم أوقعوا ويتس في حبائل كذبته والتي قد تودي به إلى فخ مميت. هناك فرصة كبيرة ألا يخرج من هذا الأمر إلى زنزانة خاصة، وحياة من الشهرة والعيش على النفقة العامة.

قالت رايدر: «نرغب في أن نتعامل مع هذا الأمر بالترتيب، بيَّن محاميك في عرضه التقديمي أن أول جريمة قتل تورطت فيها تخص مقتل دانييل فيتزباتريك في هوليوود في الثلاثين من نيسان 1992. هل هذا صحيح؟».

أجاب ويتس بنوع من السلوك المقرّ بالوقائع، يتوقعه المرء من شخص يعطي إرشادات لأقرب محطة وقود. كان صوته هادئاً وبارداً.

«نعم، أحرقته حياً خلف سياج الحماية. اتّضح أنه لم يكن محمياً بشكل جيد هناك حتى مع تلك الأسلحة كلها التي امتلكها».

«لماذا أقدمت على ذلك؟»

«لأني رغبت في إثبات نفسي. لقد فكرت لمدة طويلة في هذا الأمر، ورغبت فقط أن أبرهن لنفسي أنني أستطيع القيام به».

فكّر بوش في ما قالته وولينغ في الليلة السابقة، أطلقت على ذلك قتل انفعالي بدت له محقة في ما قالته.

سألته رايدر: «ما الذي تقصده برغبتك في إثبات نفسك يا سيد ويتس؟».

ما أعنيه أن هناك خطاً أحمر يفكر فيه الكثيرون، لكن لا يملك أحد الجرأة على تجاوزه، رغبت في أن أتحقق من قدرتي على تجاوزه».

«عندما قلت إنك فكّرت في الأمر لفترة طويلة، هل قصدت التفكير في قتل السيد فيتزباتريك على وجه الخصوص؟».

تطايرت شرر الاستياء من عيني ويتس، بدا الأمر كما لو أنه يحاول تحملها.

أجابها بهدوء: «لا، أيتها العاهرة الغبية، فكّرت في قتل شخص ما، هل تفهمين؟ رغبت طوال حياتي في ذلك».

تجاهلت رايدر الإهانة من دون أن يرف لها جفن وتابعت: «لماذا اخترت دانييل فيتزباتريك؟ ولماذا اخترت تلك الليلة؟».

«حسناً، لقد كنت أشاهد التلفاز، ورأيت المدينة بأكملها تتداعى، عمّت الفوضى المكان، وفكّرت في أنه لن يكون بوسع الشرطة القيام بأي شيء بهذا الخصوص، عندها فعل الناس ما يحلو لهم، شاهدت رجلاً على القناة يتحدث عن هوليوود بوليفارد وكيف تلتهم النيران المتاجر، فقررت أن أراها بأم عيني، لم أرغب في مشاهدتها عبر التلفاز. رغبت أن أراها بنفسي».

«هل قدت سيارتك إلى هناك؟».

«لا، كان بوسعي الذهاب سيراً على الأقدام. وقتها كنت أسكن في فاونتن بالقرب من لابريا، مشيت إلى هناك فحسب».

كان ملف فيتزباتريك مفتوحاً أمام رايدر. نظرت إليه للحظة في حين كانت ترتب أفكارها لتصيغ مجموعة الأسئلة التالية، مما أعطى أوشيا الفرصة للتدخل.

سأله: «من أين جئت بالمادة القابلة للاشتعال؟ هل جئت بها من شقتك؟».
نقل ويتس تركيزه إلى أوشيا.
أجابه: «اعتقدت أن تلك السحاقية هي من تطرح الأسئلة؟».
قال أوشيا: «جميعنا نطرح الأسئلة، وهلّا جعلت ردودك خالية من التجريح الشخصي لو سمحت».
«لن أتكلم إليك يا سيد. سأتكلم معها ومعهما فقط». أشار إلى بوش وأوليفاس.
قالت رايدر بطريقة سلسة منحية أوشيا جانباً: «دعني أعد إلى الوراء قليلاً قبل أن نصل إلى نقطة المادة القابلة للاشتعال، قلت إنك مشيت المسافة من فاونتن إلى هوليوود بوليفارد. إلى أين توجهت؟ وماذا رأيت؟».
ابتسم ويتس وهزّ رأسه لرايدر.
قال لها: «لقد خمّنت بشكل صحيح، أليس كذلك؟ بوسعي دائماً تخمين الأمر، أستطيع دائماً شمّه في المرأة التي تستهويها النساء الأخريات».
قالت رايدر: «سيد سوان، هل بإمكانك إخبار موكلك أن هذا التحقيق يقوم على إجابته عن الأسئلة التي نوجهها إليه وليس العكس».
وضع سوان يده على ذراع ويتس اليسرى التي كانت مقيدة إلى مسند الكرسي.
قال له: «كفَّ عن العبث يا راي، اكتفِ بالإجابة عن الأسئلة، تذكر أننا نحن من أردنا هذا. نحن من تقدمنا بالاقتراح لهم. هذا عرضنا».
شاهد بوش لهيباً يشتعل ببطء عبر وجه ويتس وهو يلتفت نحو محاميه، ولكنه سرعان ما اختفى حين التفت مرة أخرى إلى رايدر.
«رأيت المدينة تحترق. هذا ما رأيته».
ابتسم بعد أن أجابها.
«تشبه رسم هيرونيموس بوش».

استدار نحو بوش عندما قال ذلك. صُعق بوش لوهلة، كيف له أن يعرف هذا؟ أشار ويتس نحو صدر بوش.

«كتب ذلك على بطاقة تعريفك».

نسي بوش أنه توجب عليهم نزع بطاقات تعريفهم ما أن دخلا غرفة المدعي العام. انتقلت رايدر بسرعة إلى السؤال التالي.

«حسناً، ما الطريق الذي سرت فيه ما أن وصلت إلى هوليوود بوليفارد؟».

«استدرت نحو اليمين واتجهت شرقاً. اشتعلت أكبر الحرائق في ذلك الاتجاه».

«ماذا حملت في جعبتك؟».

جعله السؤال يتلكأ.

«لا أدري، لا أتذكر، على ما أعتقد مفاتيحي، علبة السجائر والولاعة، ذاك كل ما كان في حوزتي».

«هل اصطحبت محفظة جيبك؟».

«لا، لم أرغب في اصطحاب هويتي الشخصية، خشية أن توقفني الشرطة وتتعرف إليّ».

«هل اصطحبت المادة القابلة للاشتعال معك؟».

«نعم، هذا صحيح. اعتقدت أن بوسعي المشاركة في المرح، المساعدة في إحراق المدينة عن بكرة أبيها. لكن عندما مشيت بالقرب من متجر الرهن خطرت في بالي فكرة أفضل».

«رأيتَ السيد فيتزباتريك؟».

«نعم، رأيته. كان يقف خلف حاجز الحماية وبيده سلاح ناري. ارتدى جعبة للسلاح كما لو أنه وايت إيرب، أو شيء من هذا القبيل».

«هلّا وصفت متجر الرهن».

هزّ ويتس كتفيه.

«مكان ضيّق. يسمى إيرش للرهن، هناك لافتة ضوئية عند الباب الأمامي، أنارت على شكل ثلاث ورقات خضراء لنبات النفل ثمّ ثلاث كرات. كما تعلمين، أعتقد أنه لوغو المتجر، وقف فيتزباتريك هناك يراقبني عندما مررت بالمتجر».

«وأنت تابعت السير».

«في البداية تجاوزت المتجر، ثم فكرت في التحدي الذي أواجهه. كيف يمكنني أن أنال منه دون أن أتعرض لطلق ناري من ذلك السلاح اللعين الذي بحوزته».

«ماذا فعلت؟».

«أخرجتُ علبة إيزي لايت من جيب معطفي، وملأت فمي منها. دفعت بها إلى الداخل، كما يفعل نافثو النار على رصيف البندقية البحري. ثم ألقيت العلبة بعيداً، وأخرجت سيجارة وولاعة السجائر خاصتي. لم أعد أدخن. إنها عادة سيئة جداً».

نظر إلى بوش وهو يقول ذلك.

سألته رايدر: «بعدها ماذا فعلت؟».

«عدت إلى متجر ذلك الوغد، واجتزت العتبة أمام سياج الحماية. مثلت كما لو أنني أحاول البحث عن حماية لأشعل سيجارتي. كانت الرياح تهبّ تلك الليلة، تفهمين ما أعنيه؟».

«نعم».

«صرخ عليّ حتى أبتعد، اقترب إلى جوار الحاجز ليصرخ عليّ. كنت أعوّل على أن يفعل ذلك».

ابتسم مفتخراً بسير الأمور وفق مخططه.

«طرق الرجل على السياج المعدني بمخزن مسدسه لجذب انتباهي. كما ترين، لم يلحظ عندما نظر إلى يدي الخطر المحدق به. عندما أصبح على بعد

خطوتين مني، أشعلت الولاعة، ونظرت إلى عينيه مباشرة، أخرجت السيجارة من فمي، وبصقت الوقود كله في وجهه. بالطبع اصطدم بالولاعة في طريقه إليه، وأصبحت نافث نيران لعيناً. اشتعلت النيران في وجهه قبل أن يتسنى له إدراك ما حل به. رمى السلاح في الحال في محاولة منه لإطفاء النيران. لكن ثيابه التقطت اللهيب، وما هي إلا برهة حتى أصبح عبارة عن مقرمشات. كان الأمر كأنه تعرض للحرق بالنابالم».

حاول ويتس رفع ذراعه اليسرى إلا أنه لم يستطع. كانت مقيدة عند المعصم إلى مسند الكرسي. التفت ورفع يده عوضاً عن ذلك.

«لسوء الحظ، إني أحرقت يدي. امتلأت بالتقرحات، وآلمتني كثيراً، لا أستطيع تخيل مقدار الألم الذي شعر به ذلك الوغد وايت إيرب. ليست طريقة لائقة للموت في رأيي».

نظر بوش إلى اليد المرفوعة، شاهد تغيراً في لون الجلد. لكن لم يجد أية ندبة. يبدو أن الحرق لم يحرق الأنسجة العميقة.

سألت رايدر سؤالاً آخر بعد برهة.

«هل قصدت الرعاية الطبية لعلاج يدك؟».

«لا، لم أعتقد أن قيامي بذلك سيكون تصرفاً ذكياً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الموقف. ناهيك أني سمعت أنّ المستشفيات كانت مكتظة؛ لذا عدت إلى المنزل، واعتنيت بها بنفسي».

«متى وضعت علبة المواد المشتعلة أمام المتجر؟».

«آه، عندما كنت أهمّ بالمغادرة، أخرجتها، مسحتها ووضعتها جانباً».

«هل صرخ السيد فيتزباتريك طلباً للمساعدة؟».

توقف ويتس كما لو أنه أراد أن يفكر ملياً في السؤال.

«حسناً، من الصعب الإجابة عن ذلك، صرخ بشيء ما، لكنني واثق جداً في أنه طلبٌ للمساعدة، بدا كصوت حيوان بالنسبة إليّ، عندما كنت صغيراً

أغلقت الباب على ذيل كلبي، ذكرني صراخه نوعا ما بذلك الصوت».

«ما الذي جال في خاطرك وأنت في طريق عودتك إلى المنزل؟».

«فكرت، هذا أمر عظيم جداً. أخيراً فعلتها، وعلمت أيضاً أني سأفلت من العقاب. إن كنت ترغبين في معرفة الحقيقة، أحسست أني لعين لا أُقهر».

«كم كان عمرك حينها؟».

«كنت... كنت في العشرين من عمري. أوه يا رجل لقد فعلتها».

«هل فكرت في الرجل الذي قتلته، الذي أحرقته حتى الموت؟».

«لا، فعلت ذلك وانتهى الأمر، كان هناك لأنال منه. شأن من قتلتهم بعده جميعهم، بدوا وكأنهم خُلقوا لأجل أن أقتلهم».

أمضت رايدر أربعين دقيقة أخرى وهي تطرح الأسئلة عليه، ملتمسة أدق التفاصيل التي طابقت أيضاً تلك التي وردت في تقارير ملف التحقيق. أخيراً، وبحلول الساعة 11:15 بدت مرتاحة في جلستها، أسندت ظهرها إلى المقعد ونظرت إلى بوش وأوشيا.

قالت: «أعتقد أني سأكتفي بهذا القدر الآن، ربما أصبح بوسعنا أخذ استراحة قصيرة».

أوقفت عمل آلة التسجيل. خرج أوشيا برفقة المحققين الثلاثة إلى الرواق ليتشاوروا في حين بقي سوان في غرفة التحقيق برفقة موكله.

سأل أوشيا رايدر: «ما رأيك؟».

هزّت رأسها.

«أنا راضية عن النتيجة، ما من شك أنه القاتل، لقد كشف اللغز المحيط بملابسات ارتكابه للجريمة، لا أعتقد أنه يخبرنا بكل شيء، لكنه يعرف ما يكفي من التفاصيل. إما أنه الفاعل وإما كان في الجوار».

نظر أوشيا إلى بوش.

«هلّا تابعنا».

فكّر بوش في الأمر للحظة، كان جاهزاً، ازداد غضبه واشمئزازه وهو يراقب رايدر تحقق مع ويتس. أظهر الرجل في غرفة التحقيق ازدراءً وحشياً بضحاياه، ميّزه بوش كنموذج تقليدي للمختلين النفسيين، لا يزال مرعوباً مما سيقوله لكنه مستعدٌ له.

قال: «فلنفعل هذا».

عاد الجميع إلى غرفة المقابلة. مباشرة اقترح سوان عليهم أخذ استراحة للغداء.

«موكلي جائع».

أضاف ويتس مبتسماً: «عليكم إطعام الكلب».

هزّ بوش رأسه. فارضاً سيطرته على الغرفة.

قال: «ليس الآن، سيأكل حين نأكل جميعاً».

جلس على الكرسي المقابل تماماً لويتس، وشغّل آلة التسجيل مجدداً. جلس بين رايدر وأوشيا في حين جلس أوليفاس مرة أخرى على الكرسي ذاته قرب الباب. استعاد بوش ملف غيستو من أوليفاس، لكنه وضعه وهو مغلق أمامه على الطاولة.

قال: «سننتقل الآن إلى قضية ماري غيستو».

أجابه ويتس: «آه ماري الحلوة».

نظر إلى بوش بعينين لامعتين.

«يُفيد عرضُ محاميك أنك تعرف ما حل بماري غيستو عند اختفائها عام 1993، هل هذا صحيح؟».

قطّب ويتس حاجبيه، وهزّ برأسه. وقال بصدق ساخر: «نعم، أخشى أن ذلك صحيح».

«هل تعرف مكان ماري غيستو الحالي أو مكان رفاتها؟».

«نعم، أعرف».

هذه هي اللحظة التي انتظرها بوش منذ ثلاثة عشر عاماً.

«إنها ميتة، أليس كذلك؟».

نظر ويتس إليه وهزّ رأسه.

سأله بوش ليتم توثيق ذلك عبر التسجيل: «هل يعني ذلك الإجابة بنعم؟».

«هذا يعني الإجابة بنعم، إنها ميتة».

«أين هي؟».

ابتسم ويتس، ابتسامة رجل لا يملك ذرة ندم أو ذَنب في جيناته.

أجابه: «إنها هنا أيها المحقق! إنها هنا بحوزتي، تماماً كالبقية، هنا بحوزتي».

تحولت ابتسامته إلى ضحكة، وكاد بوش أن ينقضّ عليه عبر الطاولة. لكن رايدر حرّكت يدها تحت الطاولة ووضعتها على ساقه، مما هدأ من روعه في الحال.

قال أوشيا: «انتظروا قليلاً، فلنخرج مرة أخرى، وستنضم إلينا يا موريس هذه المرة».

12

هـرع أوشـيا إلـى الـرواق أولاً، ومشـى جيئـةً وذهابـاً مرتيـن قبل خروج الآخريـن مـن غرفـة المقابلـة. ثم أعطى أوامره إلـى المفوضين كي يذهبا إلى الغرفة ويراقبا ويتس. كان الباب مغلقاً.

صاح أوشيا: «ما هذا بحق الجحيم يا موريس؟ لن نقضي وقتنا هنا نحضر لاستخدام حجّة أنه مجنون. إن هذا اعتراف، وليس مناورة دفاع».

قلب سوان راحة يده كمن يقول، ما الذي أستطيع القيام به؟ وقال: «هذا الرجل مخبول».

«هراء. لدى هذا القاتل قلب من حجر، وهو في الخارج يقتل الناس مثل هانيبال ليكتر. هذا ليس فيلماً يا موري. إنها حقيقة.

هل سـمعت ما قاله بشـأن فيتزباتريك؟ لقد كان قلقاً بشـأن ذلك الحرق الصغيـر علـى يـده أكثر من ذلك الرجل الذي التهمت النيران وجهه. لذا أقول لك: اذهب وتحدث مع موكلك خمس دقائق. ضع حداً له أو سننسى الأمر، وبذلك يكون كلّ منا قد حصل على فرصته».

قال سوان: «سأرى ما يمكنني فعله».

توجّـه إلـى غرفـة المقابلة، وعاد مفوضا الشـرطة؛ لكـي يمنحا المحامي وموكله بعض الخصوصية. استمر أوشيا بخطواته إلى الأمام والخلف ليهدئ

من روعه.

قال من دون أن يوجه كلامه إلى أحد: «آسف بشأن ذلك، لكني لن أدعهما يسيطران على الأمر».

ردّ بوش: «إنهما يسيطران على الأمر أصلاً، على الأقل ويتس».

التفت إليه أوشيا، بدا متنبهاً وجاهزاً لخوض معركة.

«ما الذي تقوله؟».

«أقصد أننا جميعنا هنا بسببه. في المحصلة نحن جميعاً نحاول إنقاذ حياته بناءً على طلبه».

هزّ أوشيا رأسه.

«لن أتناقش معك مجدداً بشأن القضية يا بوش. لقد اتُّخذ القرار. عند هذه المرحلة، إن لم تكن معنا، فالمصعد ينتظرك في نهاية الردهة إلى اليسار».

انتظر بوش قبل أن يجيب.

«لم أقل إنني لست معك، غيستو قضيتي، وسأبحث في الأمر».

قال أوشيا بسخرية كاملة: «يسعدني ما سمعته، من المؤسف أنك لم تعر الأمر انتباهاً في التسعينات».

اقترب وطرق بصخب على باب غرفة المقابلة. حدّق بوش إلى ظهره بغضب ينفجر من مكان ما في داخله. فتح سوان الباب على الفور.

قال وهو يفسح لهم المجال للدخول: «نحن جاهزون لنكمل».

بعد أن جلس الجميع في أماكنهم السابقة، وأعيد تشغيل آلة التسجيل. تخلّى بوش عن غضبه من أوشيا، وحدق إلى عيني ويتس من جديد. أعاد طرح السؤال.

«أين هي؟».

ابتسم ويتس، وكأنه أراد إعادة فتح الموضوع من جديد، بعدها تحولت ابتسامته إلى نظرة استهزاء وأجاب:

«في التلال».

«في أيّة ناحية من التلال؟».

«قرب الإسطبلات، أمسكت بها هناك، في اللحظة التي ترجلت فيها من سيارتها».

«هل هي مدفونة؟».

«أجل».

«أين دفنت بالضبط؟».

«عليّ أن أريكم. أعرف المكان، ولكن لا يمكنني وصفه، عليّ أن أرشدكم إليه».

«حاول أن تصفه».

«إنه مكان في الغابة قريب من المكان الذي ركنت فيه سيارتها. ادخلوا الغابة ستجدون طريقاً، عند ذلك الطريق غيّرت مساري، غيّرت مساري كثيراً. اذهبوا وفتشوا فربما ستجدونه على الفور، أو لن تجدوه على الإطلاق، كثيرة هي الأراضي هناك، تذكروا أنه سبق لهم أن بحثوا عنها ولم يجدوها».

«تعتقد أنك ستعيد إرشادنا بعد مضي ثلاث عشرة سنة؟».

«لم تمضِ ثلاث عشرة سنة».

انتاب بوش شعور مفاجئ بالذعر. إن فكرة كونه اختطفها كانت أكثر بغضا من أن يُفَكَر فيها.

قال ويتس: «الأمر ليس كما تُفكر أيها المحقق».

«كيف تعلم ما الذي أفكّر به؟».

«أعلم. ولكنه ليس كذلك. لقد مضى على دفن ماري ثلاث عشرة سنة. لكن لم تمضِ ثلاثة عشر سنة منذ كنت هناك. هذا ما أقصده، كنت أزورها معظم الوقت. لذا؛ من المؤكد أنني أستطيع أن أرشدك إلى مكانها».

صمت بوش لوهلة، أمسك قلماً، ودوّن ملاحظة على الجهة الداخلية

للملف الذي يحتوي على قضية غيستو. لم تكن ملاحظة ذات أهمية، ولكن كتابتها تركت له مجالاً ليتحرر من عواطفه الجياشة.

قال: «دعنا نبدأ من جديد، هل كنت على معرفة بماري غيستو قبل شهر سبتمبر عام 1993؟».

«لا».

«هل سبق لك أن رأيتها قبل اليوم الذي اختطفتها فيه؟».

«لا أعتقد».

«أين التقيت بها للمرة الأولى؟».

«في مايفير. رأيتها هناك كانت تتسوّق؛ أعجبتني فلحقت بها».

«إلى أين؟».

«استقلت سيارتها، وقادتها إلى بيتشوود كانيون. ركنت في باحة مفروشة بالحصى قرب الإسطبلات. في مكان يدعى سانسيت على ما أعتقد، عندما خرجت من سيارتها لم يكن هناك أحد في الجوار، فقررت الإمساك بها.

«لم تكن قد خططت للأمر قبل أن تراها في السوق».

«لا، كنت هناك أشتري مشروب الطاقة. كان يوماً حاراً، رأيتها، وفوراً قررت أنني يجب أن أحصل عليها، لقد كان الأمر عفوياً، لم أستطع القيام بأي شيء بشأن ذلك أيها المحقق».

«اقتربت منها في الساحة قرب الإسطبلات».

أومأ برأسه.

«ركنت عربتي إلى جانب سيارتها. لم تعر الأمر انتباهاً. منطقة ركن السيارات في أسفل تلة المزرعة قرب الإسطبلات. لم يكن هناك أحد في الجوار، لا أحد يمكنه أن يشهد على ذلك. كان الأمر مثالياً. وكأن الله أرادني أن أحصل عليها».

«ماذا فعلت؟».

«اتجهـت إلـى خلف عربتي، وفتحـت الباب المنزلق على جانب العربة، كنـت أحمـل سـكيناً، تقدمـت نحوها وطلبت إليها الدخـول، فدخلت. كانت عملية سهلة جداً، لم تثر جلبة على الإطلاق».

تكلم وكأنه جليسة أطفال تقدم تقريراً عن تصرف الطفل إلى والديه عندما عادا إلى المنزل.

سأل بوش: «وبعدها؟».

«طلبت إليها أن تخلع ملابسها، فامتثلت. قالت إنها ستفعل ما أريد شرط ألا ألحق الأذى بها».

«وافقت على ذلك الاتفاق. طوت ملابسـها بعناية. ظناً منها أنه سـيكون لديها فرصة لترتديها مرة أخرى».

فرك بوش فمه بيده، كان أصعب جزء من عمله هو الأوقات التي يكون فيهـا وجهـاً لوجـه مـع قاتـل، تلك اللحظـات التي واجه فيهـا العالم الملتوي والمروع الذي يعيش في ذهن القاتل.

حثّ ويتس: «أكمل».

«أنت تعلم البقية. مارسنا الجنس، لكنّ أداءها لم يكن جيداً. لم تستطع الاسترخاء. لذا فعلت ما عليّ فعله».

«ماذا فعلت؟».

حدق ويتس إلى عيني بوش.

«قتلتهـا أيهـا المحقـق. وضعت يدي حـول عنقها، وضغطت ثم ضغطت أكثر. شاهدت عينيها تتحجران. ثم انتهيت من كل شيء».

نظـر بـوش إليـه، لكنه لم يتمكن من التفـوّه بكلمة. لحظات كهذه جعلته يظن أنه لا يصلح أن يكون محققاً، في هذه اللحظات يكون خائفاً من السفالة التـي قـد يصل إليها الكائن البشـري، حدقا إلـى بعضهما للحظات حتى تكلم أوشيا.

سأله: «مارست الجنس مع الجثة؟».

«هذا صحيح. قبل أن تبرد. دائماً أقول إن المرأة تكون في أفضل حالاتها عندما تكون ميتة وجثتها دافئة».

نظر ويتس شزراً إلى رايدر ليرى رد فعلها. لم يظهر عليها أي شيء.

قال بوش: «ويتس، أنت نذلٌ خسيس».

نظر ويتس مجدداً نحو بوش وابتسم باستهزاء من جديد.

«أهذا أفضل ما عندك أيها المحقق بوش؟ عليك فعل أكثر من هذا، فالأمور على وشك أن تزداد سوءاً. الجنس عديم القيمة. إن كنت على قيد الحياة أو ميت، إنه شيء عابر. لكنني حصلت على روحها ولا يمكن لأحد أن يسترجعها مني».

نظر بوش إلى الملف المفتوح أمامه، لكنه لم يستطع قراءة الكلمات المطبوعة في الوثائق.

أخيراً قال: «لنكمل، ما الذي فعلته بعد ذلك؟».

«رتبت العربة. دائماً ما يكون لديّ أكياس بلاستيكية في الخلف، لففتها بالأكياس وجهزتها للدفن، ثم خرجت وأقفلت العربة. أعدت أغراضها إلى سيارتها. كانت مفاتيحها معي، صعدت إلى سيارتها وقدتها بعيداً. ظننتها الطريقة الفضلى لتضليل الشرطة».

«إلى أين ذهبت؟».

«تعلم إلى أين ذهبت أيها المحقق. إلى هاي تاور. كنت أعلم بوجود مرأب سيارة خالٍ بإمكاني الاستفادة منه. فمنذ أسبوع أو نحو ذلك، ذهبت لأبحث عن عمل هناك، وذكر المدير أن هناك شقة متوفرة، أراني إياها، لأنني أظهرت له اهتماماً بها».

«أراكَ مرأب السيارات أيضاً؟».

«لا، فقط أشار إلى مكانه. عندما غادرت لاحظت أنه لم يكن هناك قفل

على الباب».

«قدتَ سيارة ماريا غيستو وركنتها في مرأب السيارة».

«هذا صحيح».

«هل رآك أحدٌ؟ هل رأيت أحداً؟».

«لا، كنت حذراً جداً. تذكر، كنت منذ فترة وجيزة قد أزهقت روح شخص آخر».

«وماذا بشأن عربتك؟ متى عدت إلى بيتشوود لتستعيدها؟».

«انتظرت حلول الظلام. ظننت أن ذلك سيكون أفضل لأنه عليّ أن أحفر، أنا متأكد أنك تفهمني».

«هل كان اسم شركتك مكتوباً على العربة؟».

«لا، ليس في ذلك الوقت. كنت قد بدأت للتو، ولم أكن أحاول جذب الأنظار بعد. في أغلب الأحيان، كنت أعمل بالإحالة. كان هذا منذ ثلاث عشرة سنة، بعدها اشتريت عربة جديدة».

«كيف صعدت إلى الإسطبلات لتستعيد عربتك؟».

«أقلتني سيارة أجرة».

«هل تذكر أية شركة سيارات أجرة كانت؟».

«لا أذكر لأنني لم أتصل بها، بعدما ركنت السيارة عند هاي تاور، توجهت إلى مطعم كنت أستمتع بارتياده في أثناء مكوثي في فرانكلين. يُدعى بيرد هيل. هل سبق لك أن زرته؟ لديه دجاج مشوي جيد. على أية حال، كان مشواراً طويلاً. تناولت العشاء، وعندما تأخر الوقت بما فيه الكفاية، طلبت إليهم أن يستدعوا لي سيارة أجرة، طلبت من السائق أن يتوقف بي قرب الإسطبلات لكي لا يبدو الأمر وكأن تلك العربة كانت لي، وعندما تأكدت من عدم وجود أحد في الجوار، اتجهت إلى العربة، وبحثت عن بقعة جميلة منعزلة لأدفن فيها الجثة».

«وستكون قادراً على إيجاد تلك البقعة؟».
«بكل تأكيد».
«حفرت حفرة».
«أجل».
«كم يبلغ عمقها؟».
«لا أدري، ليست عميقة جداً».
«كيف حفرتها؟».
«كان معي مجرفة».
«هل كنت تحمل معك مجرفة في عربتك الخاصة بتنظيف النوافذ دائماً؟».
«في الحقيقة لا، وجدتها مُسندة على جدار الحظيرة عند الإسطبلات. أعتقد أنها تستخدم لتنظيف الإسطبلات، أو شيء من هذا القبيل».
«هل أعدتها عندما انتهيت».
«بالطبع أيها المحقق. أنا أسرق الأرواح، لا المجارف».
نظر بوش إلى المجلد الموجود أمامه.
«متى زرت المكان الذي دفنت فيه ماري غيستو آخر مرة؟».
«هممم، منذ سنة ونيف، عادة أذهب إلى هناك في التاسع من سبتمبر؛ لأحتفل بذكرانا السنوية. هذه السنة لم أستطع، كما تعلم».
ابتسم بشكل طبيعي.
أدرك بوش أنه غطى كل شيء، سيظهر كل شيء إن تمكن ويتس من إرشادهم إلى الجثة، وإن كان ذلك سيتطابق مع تقرير الطبيب الشرعي.
سأله بوش: «بعد الجريمة، عندما جذب اختفاء ماري غيستو انتباه الصحافة، هل تذكر ذلك؟».
«بالطبع، لقد لقنوني درساً جيداً، لم أتصرف بذلك التهور مرة أخرى

أبداً. كنت أكثر حذراً عندما اختطفت الفتيات لاحقاً».

«لقد اتصلت بالمحققين في القضية، أليس كذلك؟».

«في الواقع، فعلت. أتذكر ذلك. اتصلت، وقلت لهم إنني رأيتها في متجر مايفير، وإنها لم تكن برفقة أحد».

«لماذا اتصلت؟».

ضحك ويتس.

«لا أدري. لأتسلى. أنت تعلم، لأتكلم مع أحد الأشخاص الذين كانوا يطاردونني، هل كنت أنت من اتصلت بك؟».

«لا، بل شريكي».

«أجل، اعتقدت أنني أستطيع تشتيت الانتباه عن مايفير. في النهاية، لقد كنت هناك وفكرت، من يدري، ربما تمكن أحدهم من وصف مظهري».

أومأ بوش.

«عندما اتصلت، أطلقت على نفسك اسم روبرت ساكسون. لماذا؟».

«مجرد اسم اعتدت استخدامه من وقت إلى آخر».

«لم يكن اسمك الحقيقي».

«لا أيها المحقق، أنت تعلم اسمي الحقيقي».

«ما رأيك إن قلت لك إنني لم أصدق أية كلمة تفوهت بها اليوم؟».

«سأقول، خذني إلى بيتشوود كانيون، وسأثبت لك أنني صادق».

«حسناً، سنرى بشأن ذلك».

دفع بوش بكرسيه إلى الخلف، وأخبر الآخرين أنه يود أن يجتمع بهم في الردهة. خرجوا من الغرفة إلى الرواق المليء بالهواء الأكثر إنعاشاً، وتركوا خلفهم ويتس وسوان ينتظران.

قال أوشيا لمفوضي الشرطة: «هل يمكنكما منحنا بعض الخصوصية؟».

كان باب غرفة المقابلة مغلقاً، والجميع في الردهة. أكمل أوشيا قائلاً:

«أصبح الجو خانقاً في الداخل».

قال بوش: «أجل، ملأه بهرائه».

سأل النائب العام: «ما رأيك يا بوش؟».

«إنني لا أصدقه».

«لماذا؟».

«لأنه يعرف كل جواب، وبعض تلك الإجابات لا تجدي نفعاً. لقد قضينا أسبوعاً نراجع السجلات مع شركات سيارات الأجرة لكل عملية التقاء مع زبون وتوصيله. كنا نعلم أنه نقل سيارتها إلى هاي تاور، ثم احتاج إلى سيارة ليعود بها إلى سيارته. لقد تحققنا من الإسطبلات، لم تسجل أية شركة سيارات أجرة عملية التقاء مع زبون أو توصيل إلى هناك في ذلك اليوم صباحاً أو مساءً».

أقحم أوليفاس نفسه في المحادثة، عندما تقدم ووقف بالقرب من أوشيا.

قال: «كما تعلم هذا ليس مؤكداً مئة بالمئة يا بوش، قد يكون السائق أوصله من دون تسجيل الرحلة على السجلات. إنهم يفعلون ذلك طوال الوقت، وهناك أيضاً سائقو سيارات أجرة لا ينتمون إلى شركات، ينتظرون أمام أبواب المطاعم في أنحاء المدينة جميعها».

«بالرغم مما قلته، لا أزال غير قادر على تصديق قصصه المليئة بالهراء. لديه إجابة عن كل سؤال. كانت المجرفة مُسندة على باب الحظيرة بمحض الصدفة. كيف كان ليدفنها إن لم يرَ المجرفة؟».

مدد أوشيا ذراعيه وقال: «هناك طريقة واحدة لاختباره. إن دلنا على جثة تلك الفتاة، فلن يعود هناك أهمية لتلك التفاصيل الصغيرة التي تزعجك، بالمقابل إن لم نجد الجثة فسنكون بحل من أيّ اتفاق».

سأل بوش: «متى سنذهب؟».

«سأرى القاضي اليوم. وسنذهب في صباح الغد إن أردت».

قال أوليفاس: «انتظر لحظة، وماذا بشأن السبع الأخريات؟ لا يزال لدينا وقت طويل لنتحدث مع هذا الأخرق».

رفع أوشيا يده في إيماءة مُطمئنة.

«لنختبره في قضية غيستو، فإما يكمل وإما يصمت».

استدار أوشيا، ونظر إلى بوش مباشرة وسأله: «هل ستكون جاهزاً لهذا؟».

أومأ بوش.

«لقد كنتَ جاهزاً طيلة ثلاث عشرة سنة».

13

تلك الليلة، أحضرت ريتشـل العشـاء بعد أن اتصلت لتتأكد من أن بوش في المنزل. شغّل بوش الموسيقى في جهاز الستيريو في حين وضعت ريتشل العشاء على طاولة غرفة الطعام في أطباق أحضرتها من المطبخ. كان العشاء عبـارة عـن لحم مشـوي على البخار وبجانبـه ذرة. أحضرت أيضاً زجاجة من شـراب الميرلوت، استغرق الأمر من بوش خمس دقائق للعثور على مفتاح زجاجـة الشـراب فـي أدراج المطبـخ. لـم يتحدثا عن القضية حتى جلسـا إلى الطاولة متقابلين.

قالت: «حسناً، كيف سارت الأمور اليوم؟».

ضحك بوش قبل أن يجيب.

«بشـكل جيد. كانت وجهة نظرك مفيدة جداً. سـنمضي غداً في الرحلة، وبحسب ما قال ريك أوشيا، إما يكمل وإما يصمت».

«رحلة؟ إلى أين؟».

«إلى تلال بيتشـوود كانيون. يقول إنه دفنها هناك. لقد صعدت بسـيارتي إلى هناك اليوم بعد المقابلة، ولم أجد شـيئاً، حتى باسـتخدام توصيفاته. في العام 1993 بحثوا لثلاثة أيام ولم يجدوا شـيئاً، الغابة متشـعبة جداً هناك وهو يقول إنه يستطيع العثور على البقعة».

«أتظنه القاتل؟».

«يبدو كذلك. لقد أقنع الجميع بذلك، ولا يجب أن نغفل اتصاله بنا وقتها، إنه مقنع جداً».

«لكن ماذا؟».

«لا أدري. ربما منعني غروري من تصديق أني كنت مخطئاً، وبأنني كنت أبحث عن شخص ما لمدة ثلاث عشرة سنة، واتضح الأمر أني كنت مخطئاً بشأنه، لا أعتقد أن أحداً يريد مواجهة ذلك».

صب بوش تركيزه على تناول الطعام للحظات قليلة. ثم ملأ فمه باللحم المشوي، وارتشف بعض الشراب، وبعدها مسح فمه بمنديل.

«يا إلهي، إن هذا الطعام شهيٌّ جداً. من أين اشتريته؟».

ابتسمت.

«إنه جاست أنازر ريستورانت (مجرد مطعم آخر)».

«لا، أعتقد أنه أفضل لحم مشوي تذوقته في حياتي».

«إن المطعم يدعى جار اختصاراً لجاست أنازر ريستورانت».

«أوه، فهمت».

«إنه في بيفيرلي بالقرب من منزلي، لديهم بار طويل حيث يمكنك أن تتناول الطعام. بعد انتقالي إلى هنا، اعتدت تناول الطعام هناك وحدي. لطالما اعتنى بي سوزان وبريتش، إنهما يسمحان لي بأخذ الطعام معي بالرغم من أن المكان ليس من هذا النوع.

«أهما الطاهيان؟».

«بريتش هو الطاهي، وسوزان هي المالكة، أحبُّ الجلوس هناك عند البار، ومشاهدة الناس، مشاهدة عيونهم تفحص المكان والأشخاص. يرتاد المكان العديد من المشاهير، إنه مقصد ذواقة الطعام والزبائن غير العاديين، إنهم الأشخاص الأكثر إثارة للاهتمام.

«قال أحدهم: إن جلت حول مكان الجريمة لوقت كافٍ فستتعرف على المدينة، ربما ينطبق الشيء نفسه على الجلوس في وسط المطعم».

«من السهل القيام بذلك. هل تغير الموضوع يا هاري أم ستخبرني باعتراف راينارد ويتس؟».

«سأخبركِ. اعتقدت أننا سننتهي من تناول الطعام أولاً».

«يبدو الأمر سيئاً، أليس كذلك؟».

«لا، ليس كذلك. أعتقد أنني بحاجة إلى أخذ استراحة من الموضوع. لا أعلم».

هزّت رأسها، وكأنها فهمت. سكبت مزيداً من الشراب في الكأسين.

«أعجبتني هذه الموسيقى. من هذا؟».

أومأ بوش، وفمه مليء بالطعام من جديد.

«أطلق على هذا «معجزة في صندوق». إنه جون كولتران وزا لونيوس مونك في قاعة كارنيجي. تم تسجيل الأمسية الموسيقية في العام 1957 ووُضِعَ الشريط في صندوق غير مُدوّن في الأرشيف لأكثر من خمسين سنة. كان منسيّاً تماماً. بينما كان أحد رجال الكونغرس يراجع الصناديق وأشرطة الأداء أدرك قيمة ما يوجد هناك. أخيراً نشروه في السنة الماضية.

«إنه رائع».

«بل أكثر من رائع. إنه معجزة كانت هناك طوال ذلك الوقت. تطلّب الأمر الشخص المناسب ليعثر عليه ويميزه».

سألته ريتشل: «ماذا كنت لتأكل لو لم أتصل؟».

نظر إليها وضحك. انتهى من تناول الطعام، وبدأ بإخبارها عن اعتراف راينارد ويتس.

عندما انتهى من إخبارها قالت: «إنه يكذب».

«بشأن اسمه؟ لقد تحققنا من الأمر».

«لا، بشـأن الخطة. بالأحرى؛ الخطة الناقصة. يقول إنه رآها في مايفير، لحق بها ثم قبض عليها. لا، لا أصدق ذلك. لا يبدو الأمر وكأنه وليد اللحظة. لقد خطط للقيام بذلك بغض النظر إن أخبرك أم لم يخبرك».

أومأ بوش برأسه. لقد شاركها الشكوك نفسها بشأن الاعتراف.

قال: «أعتقد أننا سنعرف أكثر في الغد».

«أتمنى أن أكون هناك معكم».

هزّ بوش رأسه.

«لا يمكنني جعلهـا قضيـة فيدرالية. إذ لا علاقة لما تفعلينه بعد الآن. لن تسمح لكِ إدارتك بالمجيء حتى لو كنتِ مدعوّة».

«أعلم، لكن يبقى لي أن أتمنى».

نهض بوش، وبدأ بغسـيل الأطباق. نظفا جنباً إلى جنب عند المغسـلة، وبعد أن انتهيا، كان كل شيء نظيفاً وموضوعاً في مكانه، حملا زجاجة الشراب معهما، ما بقي فيها يكفي ليملأ كل منهما نصف كأسه.

قربهما النسيم العليل من بعضهما، وهما يقفان عند سياج الشرفة يشاهدان الأضواء.

سألها بوش: «هل ستبقين الليلة؟».

«أجل».

«أنت تعلمين أنه لا داعي لتتصلي، سأعطيكِ المفتاح، فقط تعالي».

التفتت ونظرت إليه، فطوق خصرها بذراعه.

«بهذه السرعة؟ هل تقول إنك سامحتني؟».

«ما من شيء أسامحك بشأنه. ما مضى انتهى والحياة قصيرة. كما تعلمين، تلك الأشياء التي تُقال».

ابتسمت وقبّلته. أنهيا الشراب، ودخلا غرفة النوم. مارسا الحميمية ببطء وهدوء. في لحظة ما فتح بوش عينيه، ونظر إليها وفقد تناغمه. لاحظت ذلك.

همست: «ما الأمر؟».

«لا شيء. أنتِ فقط تبقين عينيك مفتوحتين».

«لأراك».

«لا، لستِ تفعلين ذلك».

ابتسمت، وأدارت وجهها بعيداً عنه.

قال: «الوقت غير مناسب للنقاش».

ابتسم وأعاد وجهها باتجاهه باستخدام أنفه، قبّلها، وبقيت عيناهما مفتوحتين. بدأا بالضحك وهما في خضم التقبيل.

كان بوش يتوق إلى الحميمية وإلى الهروب التي تجلبه معها، علم أنها تعلم ذلك أيضاً. كانت هبتها له بأن تنقذه من العالم. ولهذا السبب لم يعد الماضي مهماً. أغمض عينيه، لكنه لم يتوقف عن الابتسام.

القِسْمُ الثَاني

الرحلة الميدانية

14

بـدا تجميـع الموكـب لبوش وكأنه يسـتغرق دهراً، لكن بحلول العاشـرة والنصف من صباح يوم الأربعاء، خرجوا من مرأب السـيارات الخاص ببناء محكمة الجنايات.

كانـت أول سـيارة فـي الموكـب من دون علامة يقودهـا أوليفاس. حمل شرطي من سرية السجن بندقية وجلس في الخلف. جلس بوش ورايدر إلى جانبي راينارد ويتس. ارتدى السجين بذلة برتقالية اللون في حين كان رسغاه وكاحلاه مصفدين، وكانت الأغلال التي قيد بها رسغاه مقيدة من أمامها إلى سلسلة حول خصره.

سـيارة أخـرى مـن دون علامـة، قادهـا ريـك أوشـيا وفيها موري سـوان ومصور فيديو الأدلة الخاص بقسـم شـرطة المقاطعة، كانت سـيارتهما الثانية فـي الموكـب، ولحقـت بها عربتان، واحدة من الأدلة الجنائية الخاصة بقسـم شرطة لوس أنجلوس والأخرى من مكتب الطب الشرعي. كانت المجموعة جاهزة لتحديد مكان جثة ماري غيستو وإخراجها من قبرها.

كان يومـاً رائعـاً لتلـك الرحلـة. صفّـى هطـول المطر الخفيـف في الليل السـماء، وكان لونهـا أزرق مشـرقاً مـع آخر حزمات طبقـات الغيوم العليا في السـماء. لا تـزال الشـوارع رطبـة ولامعـة، منـع الهطـول الليلي الحـرارة من

الارتفاع مع صعود الشمس في السماء.

بالرغم من أنه ليس هناك من يوم جيد لنبش جثة فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، قدّم جمال الطقس توازناً معاكساً لهذا الواجب المحبط الذي يقومون به.

بقيت العربات في تشكيل محكم في طريقها إلى شمال الطريق 101 على منحدر بودري. كان الازدحام خانقاً في وسط المدينة، وأبطأت الطرقات المبللة من تحركهم، طلب بوش إلى أوليفاس فتح النافذة ليدخل بعض الهواء المنعش؛ آملا بأن تخرج رائحة جسد ويتس. من الواضح أنه لم يُسمح للقاتل المُعترف بالاستحمام أو بارتداء بذلة نظيفة ذاك الصباح.

قال ويتس: «لم لا تُشعل سيجارة أيها المحقق؟».

وبما أنهما كانا جالسين كتفاً إلى كتف؛ كان على بوش أن يستدير ليتمكن من النظر إلى ويتس.

«أريد أن أفتح النافذة بسبب رائحتك المقرفة. لم أُدخن منذ خمس سنوات».

«أنا متأكد من ذلك».

«لماذا تعتقد أنك تعرفني؟ لم نلتقِ من قبل، ما الذي يجعلك تظن أنك تعرفني يا ويتس؟».

«لا أعلم. أنا فقط أعرف الناس من نوعك، لديك شخصية تميل إلى الإدمان أيها المحقق. جرائم القتل، السجائر، ربما الخمر أيضاً، فإن رائحته تخرج من مسامك. ليس من الصعب تخمين تصرفاتك».

ابتسم ويتس، ونظر بوش بعيداً. فكّر في الأمور للحظة قبل أن يسأله مجدداً: «من أنت؟».

ردّ ويتس سائلاً: «هل تتحدث إليّ؟».

«أجل، إني أتحدث إليك. أريد أن أعرف من أنت؟».

تدخل أوليفاس من المقدمة قائلاً: «يا بوش، الاتفاق هو ألّا نستجوبه من دون أن يكون موريس سوان حاضراً؛ لذا دعه وشأنه».

«هذا ليس تحقيقاً. إنني أجري محادثة هنا فقط».

«حسناً، لا يهمني ما تطلق عليها، لا تستجوبه فقط».

تمكن بوش من رؤية أوليفاس ينظر إليه عبر مرآة الرؤية الخلفية.

استمرا في التحديق إلى بعضهما حتى أعاد أوليفاس انتباهه إلى الطريق.

مال بوش إلى الإمام ليتمكن من النظر خلف ويتس إلى رايدر. بدورها نظرت إليه. كانت نظرتها تقول «لا تفتعل المشاكل».

قال بوش: «موريس سوان. أجل، إنه محامٍ جيد. حصل هذا الرجل على اتفاق العمر».

قال أوليفاس: «يا بوش!».

«أنا لا أتكلم معه، إنني أتكلم مع شريكتي».

أمال بوش نفسه إلى الخلف مقرراً أن يتغاضى عن الأمر. كان بجانبه ويتس وهو مكبل بالأصفاد يحاول أن يعدل طريقة جلوسه.

قال بهدوء: «لم يكن عليك أن توافق على ذلك الاتفاق أيها المحقق بوش».

قال بوش من دون أن ينظر إليه: «لم يكن ذلك خياري. لو كان كذلك، لما كنا نفعل ما نفعله الآن».

أومأ ويتس.

قال: «العين بالعين، كنت لأخمن. أنت من هذا النوع من الأشخاص الذين – يا ويتس».

فقال أوليفاس بحدة: «أغلق فمك».

اقترب أوليفاس من لوحة القيادة وشغّل جهاز الراديو.

صدحت موسيقى الماريتشي من مكبرات الصوت، ثم ضغط على الزر

بسرعة ليكتم الصوت.

سأل من دون أن يوجه سؤاله إلى أحد: «من آخر من قاد هذه السيارة بحق الجحيم؟».

كان بوش يعلم أن أوليفاس يحاول أن يخبئ شعوره بالإحراج؛ لأنه لم يغير المحطة أو يخفض مستوى الصوت عندما أعاد السيارة في المرة الأخيرة.

بقي مَن في السيارة جميعهم صامتين، كانوا يعبرون عبر هوليوود الآن، شغل أوليفاس ضوء إشارة الالتفاف، وانتقل إلى مسرب المخرج المؤدي إلى جادة غاور. استدار بوش لينظر عبر النافذة الخلفية ويرى إن كانت السيارات الثلاث لا تزال معهم. بقيت المجموعة سليمة.

لكن بوش رأى مروحية تحوم فوق الموكب. كُتب رقم 4 بحجم كبير على قسمها السفلي الأبيض، قوّم بوش جلسته من جديد ونظر إلى أوليفاس عبر مرآة الرؤية الخلفية.

«من اتصل بالإعلام يا أوليفاس؟ أنت أم رئيسك؟».

«رئيسي؟ لا أعلم عمّا تتكلم».

طرف أوليفاس بنظره نحو بوش عبر مرآة الرؤية الخلفية، قبل أن ينظر مجدداً إلى الطريق. كانت حركة ماكرة.

يعلم بوش أن أوليفاس كان يكذب.

«أجل، هذا صحيح. ماذا ستحصل في المقابل؟ هل سيجعل منك ريكوشيت رئيس قسم التحقيقات بعد أن يفوز؟ هل هذا ما في الأمر؟».

حدق أوليفاس إلى عينيه عبر المرآة.

«لن أصل إلى أي منصب في القسم، عليّ الذهاب إلى مكان أُحترم فيه وتُقدر خبراتي».

«ماذا؟ هل تكرر قول هذا لنفسك في المرآة كل صباح؟».

«اللعنة عليك يا بوش».

قال ويتس: «يا سادة، يا سادة، هل لنا أن نتفق هنا؟».

قال بوش: «اخرس يا ويتس. قد لا يهمك بأن هذا الأمر سيتحول إلى ترويج للمرشح أوشيا، لكنه يهمني. أركن السيارة يا أوليفاس. أريد أن أتحدث إلى أوشيا».

هزّ أوليفاس رأسه.

«هذا مستحيل. ليس ومعي سجين في السيارة».

كانوا يقتربون من منحدر المخرج إلى غاور. انعطف أوليفاس بسرعة إلى اليمين ووصلوا إلى إشارة المرور عند فرانكلين. تحول ضوء إشارة المرور إلى الأخضر عند وصولهم، عبروا فرانكلين وصعدوا طريق بيتشوود.

لن يتوقف أوليفاس قبل أن يصلوا إلى القمة. أخرج بوش هاتفه، وطلب الرقم الذي أعطاه أوشيا إلى الجميع في مرأب سيارات مركز التحكم في ذلك الصباح قبل الانطلاق.

«أوشيا. أنا بوش، لا أظن بأن الاتصال بالإعلام كان فكرة جيدة».

صمت أوشيا للحظة قبل أن يجيب.

«إنهم بعيدون. إنهم في الهواء».

«ومن سيكون في انتظارنا عند قمة بيتشوود؟».

«لا أحد يا بوش، كنت واضحاً معهم، يستطيعون ملاحقتنا من السماء، لكن وجود أيّ أحد على الأرض قد يفضح القضية، لا تقلق، إنهم يعملون معي، يعلمون أن عليهم أن يحافظوا على تلك العلاقة».

«أياً يكن».

أغلق بوش هاتفه ووضعه في جيبه.

قال ويتس: «اهدأ أيها المحقق».

«وأنت اصمت يا ويتس».

«أحاول المساعدة فقط».

«حسناً اخرس».

عاد الهدوء إلى السيارة. قرر بوش أن غضبه بخصوص مروحية الإعلام التي كانت تلاحقهم كان إلهاءً هو بغنى عنه. حاول ألّا يفكر في الموضوع، وركّز تفكيره في ما سيأتي.

كان بيتشوود كانيون حيّاً هادئاً، يقع أعلى منحدر جبال سانتا مونيكا الموجودة بين هوليوود ولوس فيليز. لم يكن جوّه ريفياً ساحراً مثل لوريل كانيون الذي يقع إلى الغرب منه، لكن سكانه فضّلوا العيش فيه لكونه أكثر هدوءاً وأماناً واكتفاءً. على عكس أغلب ممرات الوديان الموجودة في الغرب، كان الطريق مسدوداً عند قمته. لم يكن طريقه يمر بين الجبال، ولذلك كانت السيارات الموجودة في بيتشوود تعود لسكان المنطقة لا للناس العابرين. جعل ذلك المنطقة تبدو وكأنها حيّ حقيقي.

في أثناء صعودهم، رأوا لافتة هوليوود على قمة الجبل؛ على قمة جبل لي مباشرة عبر زجاج النافذة. لقد وضعت اللافتة على السفح المقابل منذ أكثر من ثمانين عاماً كنوع من الدعاية لعقارات هوليود التي تبنى على قمة بيتشوود. تغير الهدف منها في نهاية الأمر، وأصبحت دعاية لحالة ذهنية أكثر من أي شيء آخر. كان آخر شيء يدل على أراضي هوليوود هو البوابة المشابهة لبوابات القلاع في منتصف الطريق إلى بيتشوود.

كانت البوابة ذات اللوحة التاريخية تحيي ذكرى ما بُني، تقود إلى قرية صغيرة مليئة بالمتاجر، وسوق الحي، ومكتب عقارات أراضي هوليوود الصامد. كانت مزرعة سانسيت موجودة في القمة عند نهاية الطريق، وكانت تلك النقطة بداية أكثر من خمسين ميلاً من مسارات الخيول التي امتدت عبر الجبال وانتهاء بمزرعة غريفن.

إنه المكان الذي عملت فيه ماري غيستو في الإسطبلات مقابل السماح لها بامتطاء الخيل، إنه المكان الذي توقف فيه موكب من المحققين المتجهمين،

والأدلة الجنائية، وقاتل مكبل بالأصفاد.

كان مرأب مزرعة سانسيت عبارة عن منطقة أزيلت منها الأشجار في السفح أسفل المزرعة نفسها. مُهدت الأرضية وفرشت بالحصى. كان على زوار المنطقة ركن سياراتهم هنا، ثم التوجه مشياً إلى الإسطبلات الموجودة في الأعلى، وكان المرأب معزولاً ومحاطاً بالأشجار الكثيفة، ولم تكن رؤيته ممكنة من المزرعة، وهذا ما اعتمد عليه ويتس عند ملاحقته وخطفه ماري غيستو.

انتظر بوش بفارغ الصبر في السيارة حتى فتح أوليفاس أقفال الأبواب الخلفية. بعدها خرج ونظر إلى المروحية التي كانت تحوم فوقهم، وحاول قدر الإمكان أن يكبح جماح غضبه. أغلق باب السيارة، وتأكد من أنه مقفل. كانت الخطة أن يُبقي ويتس في السيارة حتى يتأكد الجميع من كون المنطقة آمنة. اتجه بوش نحو أوشيا في أثناء خروجه من السيارة.

«اتصل، بجهة اتصالك على القناة الرابعة، واطلب إليهم الصعود بالمروحية خمسمئة قدم إلى الأعلى. إنّ الضجيج هو إلهاء، نحن لسنا-»

«لقد قمت بذلك يا بوش، حسناً؟ أعلم أنك لا تحب وجود الإعلام، لكننا نعيش في مجتمع مفتوح، وللعامّة الحق في معرفة ما يجري هنا».

«خاصة عندما يكون في الأمر منفعة في انتخابك، أليس كذلك؟».

تحدث إليه أوشيا بصبر نافذ.

«إن تثقيف الناخبين هو ما تدور الحملة حوله. اعذرني، هناك جثة تنتظرني لإيجادها».

سار أوشيا مبتعداً عنه بشكل مفاجئ نحو أوليفاس الذي كان يحرس السيارة التي يوجد فيها ويتس. لاحظ بوش أنَ الشرطي كان يحرس مؤخرة السيارة، وكانت بندقيته بوضعية الاستعداد.

تقدمت رايدر نحو بوش، وسألته: «هل أنت بخير يا هاري؟».

«لا يمكن أن أكون بحال أفضل. فقط توخي الحذر مع هؤلاء الأشخاص».

شاهد أوشيا وأوليفاس، وهما يتناقشان بشأن أمر ما، حال صوت دوران شفرات المروحية دون سماع حديثهما.

وضعت رايدر يدها على كتفه لتهدئته، وقالت: «لننسَ أمر السياسة وننتهي من هذا الأمر. هناك شيء أهم من هذا كله. العثور على ماري وإعادة رفاتها إلى والديها هو المهم».

نظر بوش إلى يدها على كتفه، وأدرك أنها كانت محقة فأومأ لها: «حسناً».

بعد بضع دقائق، شكّل أوشيا وأوليفاس دائرة على الحصى من الموجودين جميعهم في مرأب السيارات ما عدا ويتس. إضافة إلى المحامي، والمحققين، والشرطي، كان هناك خبيرا فحص جثث من مكتب الطب الشرعي، إضافة إلى طبيبة تدعى كاثي كول، وخبير من قسم تكنولوجيا شرطة لوس أنجلوس، ومصور فيديو الدلائل من قسم شرطة المقاطعة. سبق لبوش أن عمل مع معظمهم.

انتظر أوشيا حتى قام مصور الفيديو بتشغيل الكاميرا قبل أن يبدأ بمخاطبة الدوريات.

قال بكآبة: «حسناً، أيها السادة، نحن هنا اليوم لنقوم بهذا الواجب الكئيب، لنعثر ونجمع رفات ماري غيستو، سيقودنا راينارد ويتس، الرجل الذي في السيارة، إلى المكان الذي يدّعي أنه دفنها فيه. هدفنا الأول هو حماية المتهم وسلامة الموجودين هنا. كونوا حذرين. لدى أربعة منا أسلحة. سيكون السيد ويتس مغللاً بالأصفاد تحت مراقبة المحققين والشرطي دولان مع بندقيته. سيتقدم السيد ويتس الطريق، وسنراقب تصرفاته جميعها. أودّ من مصوّر الفيديو ومن مُشغّل مسبار الغاز أن يأتيا معنا في حين يقوم البقية بالانتظار هنا. عندما نعثر على الموقع ونتأكد من الجثة سنتراجع، عندها سنؤمن على السيد ويتس، ثم سيحضر الجميع إلى الموقع والذي سيتم اعتباره موقع جريمة.

هل لدى أحدكم أي سؤال؟».

رفع موريس سوان يده.

قال: «لن أبقى هنا، سأكون مع موكلي طوال الوقت».

قال أوشيا: «لا بأس يا سيد سوان، لكن لا أظن أنك ترتدي الملابس المناسبة».

كان ذلك صحيحاً، فسوان يرتدي بذلة في حين ارتدى الجميع الملابس المناسبة لإنجاز هذا العمل. ارتدى بوش بنطال جينز أزرق، وانتعل حذاءً خاصاً بالتسلق، وسترة قديمة من دون كمين خاصة بأكاديمية الشرطة، وارتدت رايدر مثله، في حين ارتدى أوليفاس بنطال جينز، وقميص، وسترة واقية مصنوعة من النايلون كتب على ظهرها قسم شرطة لوس أنجلوس. وارتدى الباقون مثله.

قال سوان: «لا يهمني، إن أُتلف حذائي فسأشتري واحداً آخر على حساب القضية، وأعتبره من نفقات العمل، لكني سأبقى مع موكلي. الأمر غير قابل للنقاش».

قال أوشيا: «حسناً، فقط لا تكن على مسافة قريبة، ولا تكن عثرة في طريقنا».

«لا مشكلة».

«حسناً، أيها السادة، لنقم بالأمر».

ذهب الشرطي وأوليفاس إلى السيارة ليحضرا ويتس. سمع بوش ضجيج المروحية يصبح أعلى في حين كان يقترب فريق الأخبار للحصول على زاوية أفضل، ونظرة أقرب لكاميرتهم.

بعد أن أُخرج ويتس من السيارة، جرى التحقق من أغلاله من قبل أوليفاس، واقتيد إلى الأرض الخالية في الغابة. بقي الشرطي على بعد ست خطوات خلف ويتس وهو يحمل بندقيته بوضعية الاستعداد. أبقى أوليفاس

قبضته على كتف ويتس اليسرى، توقفوا عندما وصلوا إلى الآخرين في المجموعة.

قال أوشيا: «أحذّرك يا سيد ويتس، إذا حاولت الهرب، فسيُطلق عليك الرصاص. هل هذا مفهوم؟».

قال ويتس: «بالطبع، أنا متأكد من أنهم سيفعلون ذلك بكل سرور».

«إذن نحن متفاهمون، تقدم ونحن خلفك».

15

تقدمهم ويتس إلى طريق ترابي اختفى تحت قبة مُشكّلة من أشجار السنط، والبلوط الأبيض، والأغصان الكثيفة. سار من دون تردد، وكأنه يعلم تماماً إلى أين يتجه. لم يمضِ وقت طويل قبل أن تقترب المروحية، وأدرك بوش أن الرجل الذي كان يحمل الكاميرا في المروحية لم يكن يحصل على صورة واضحة من أعلى القبة. لم ينبس أحد ببنت شفة سوى ويتس.

قال: «لقد اقتربنا». وهو يقودهم بشكل طبيعي إلى الشلال المنعزل. أصبح الدرب أكثر ضيقاً، وتشعبت الأشجار عندما وصلوا إلى قسم من الطريق لم يستخدم بكثرة.

كانوا في منطقة ارتادها قلة من المتنزهين. اضطر أوليفاس إلى ترك يد ويتس والمشي وراء القاتل ممسكاً بالسلسلة المربوطة على خصره من الخلف. بدا واضحاً أن أوليفاس لن يفلت المشتبه به، وهذا ما طمأن بوش، لكن ما لم يطمئن إليه هو أن المكان الذي كان ويتس يمشي فيه، كان يحجب إمكانية إطلاق الرصاص عن الأشخاص المرافقين له جميعهم، وهذا في غاية الخطورة إن أراد الهرب.

لقد سبق لبوش أن مشى في العديد من الغابات. في تلك المرات كان

على المرء أن يبقي عينيه وأذنيه نحو الأفق، مستعداً لأي كمين، مراقباً خطواته في الوقت نفسه، حذراً من الأفخاخ. في هذه المرة أبقى عينيه مركزتين في الرجلين السائرين أمامه، ويتس وأوليفاس.

ازدادت صعوبة الطريق بعد أن أصبح نزولاً، وكانت التربة ناعمة ورطبة بسبب هطول المطر في الليلة السابقة. شعر بوش بحذائه يغوص في التربة في بعض الأماكن، وفي إحدى المرات سُمِع صوت تكسر الأغصان خلفه، ثم دوى صوت سقوط شخص في الوحل. بالرغم من أن أوليفاس والشرطي دولان توقفا واستدارا لرؤية ما الخطب، إلّا أن بوش لم يبعد نظره عن ويتس.

سمع صوت سوان يشتم والبقية يسألونه إن كان على ما يرام وهم يساعدونه على الوقوف.

بعد توقف سوان عن الشتيمة، تابعوا المسير نحو السفح. كان تقدمهم بطيئاً لأن سقطة سوان جعلت الجميع أكثر حذراً في مشيهم. بعد خمس دقائق توقفوا. في ذلك المكان سبّب وزن المياه التي تجمعت في الأرض انزلاقاً في التربة، تباعدت الأرض بجانب شجرة بلوط، كاشفة عن نصف جذورها. كان عمق الانزلاق حوالى عشر أقدام. قال ويتس بنبرة دلت على انزعاجه من الوضع: «لم يكن هذا موجوداً في آخر مرة كنت فيها هنا».

سأل أوليفاس مشيراً إلى أسفل الانزلاق: «هل الطريق من هنا؟».

أجابه ويتس: «أجل، علينا النزول من هنا».

«حسناً، انتظر قليلاً».

استدار أوليفاس ونظر إلى بوش.

«لمَ لا تنزل أولاً يا بوش؟ وسأرسله بعدك».

هزّ بوش رأسه موافقاً وتجاوزهما. أمسك بأحد أغصان شجرة البلوط السفلية؛ ليحافظ على توازنه وهو يدرس ثبات التربة على السفح شديد

الانحدار. كانت التربة رخوة وزلقة، فقال: «الوضع ليس جيداً، سيكون الوقوف هنا كمن يقف على لوح منزلق. كيف سنصعد بعد أن ننزل؟».

زفر أوليفاس وهو يشعر بالإحباط.

اقترح ويتس: «حسناً هناك سلّم على سطح إحدى العربات».

نظروا جميعاً إليه لمدة طويلة.

قالت رايدر: «إنه محقّ. لدى فريق الأدلة الجنائية سلّم على سطح إحدى العربات، سنجلبه، ونضعه على الحافة، سيسهل علينا الصعود والنزول».

شارك سوان في الحديث، وقال: «باستثناء أن موكلي لن ينزل ويصعد على السلم الموجود على هذا السطح المنزلق وهو مغلل بالأصفاد».

نظر الجميع إلى أوشيا بعد توقف مؤقت عندما قال: «أعتقد أننا نستطيع حل المشكلة».

قال أوليفاس: «انتظر قليلاً، لن نفكه».

قال سوان: «الأمر بهذه البساطة».

رفع أوشيا يديه ليهدئ الوضع.

فقال سوان: «لن أسمح لكم بتعريضه للخطر. إنّه موكلي، ومسؤولية حمايته لا تقتصر على الناحية القانونية وحسب».

قال أوشيا: «إن سلامة المتهم هي إحدى مسؤولياتنا. موري على صواب، إن سقط السيد ويتس وهو ينزل عن السلم من دون أن يستخدم يديه فسيكون ذلك على عاتقنا. وعندها سنقع في مشكلة. أنا متأكد من أن وجودكم هنا وأنتم تحملون مسدساتكم وبنادقكم سيكون كافياً لنسيطر على الوضع خلال الثواني التي سينزل فيها عن السلّم».

قالت خبيرة الأدلة الجنائية: «سأحضر السلّم، هل يمكنك حمل هذا؟».

تدعى الخبيرة كارولين كافاريلي، يعلم بوش أن معظم الناس ينادونها كال.

أعطت بوش مسبار الغاز الذي يبدو شكله كآلة تشبه حرف تي بالإنكليزية، صفراء اللون، وعادت إلى الغابة.

قالت رايدر: «سأساعدها في إحضاره».

قال بوش: «لا، كل من بحوزته سلاح سيبقى مع ويتس».

هزت رايدر رأسها مُدركة أنه مُحق.

صاحت كافاريلي: «يمكنني حمله، إنه مصنوع من الألمنيوم خفيف الوزن».

بعد أن ذهبت قال أوشيا: «آمل ألاّ تضيع طريق عودتها».

انتظروا بصمت في الدقائق الأولى قبل أن يتحدث ويتس ويسأل بوش: «هل أنت قلق أيها المحقق؟ لقد اقتربنا».

لم يُجب بوش. لم يكن ليدع ويتس يؤثر فيه، مجدداً حاول ويتس: «إنني أفكر في القضايا التي عملتَ عليها. كم منها يشبه هذه القضية؟ كم منها يشبه ماري؟»

صاح أوليفاس آمراً: «أغلق فمك بحق الجحيم يا ويتس».

قال سوان بصوت يدعو للتهدئة: «من فضلك يا راي».

«إنني فقط أُجري محادثة مع المحقق».

قال أوليفاس: «لا بأس، قم بها مع نفسك».

من جديد، خيّم الصمت لدقائق، عندما سمعوا جميعاً صوت حمل كافاريلي للسلم عبر الغابة. ضربت به فروع بعض الأشجار القصيرة قبل أن تحضره إليهم أخيراً. ساعدها بوش في عملية إنزاله إلى المنحدر، وتأكدا من ثباته على ذلك المنحدر الوعر. عندما نهض بوش واستدار نحو المجموعة رأى أن أوليفاس كان يفك أحد الأصفاد الموجودة على يدي ويتس من سلسلتها الموضوعة حول خصر السجين.

أبقى يده الأخرى مغللة بالأصفاد.

قال سوان: «اليد الأخرى أيها المحقق».

أجاب أوليفاس مُصرّاً: «يمكنه التسلق بيد واحدة».

«أعتذر أيها المحقق. لكنني لن أسمح بذلك. يجب أن يكون قادراً على التمسك جيداً وأن يقاوم السقوط إن انزلق. يحتاج إلى يديه الاثنتين».

«يستطيع فعل هذا بيد واحدة».

بينما استمر الاعتراض والنقاش، أرجح بوش نفسه على السلم ونزل إلى أسفل المنحدر.

كان السلم ثابتاً. لاحظ أنه لا يمكن تمييز الطريق في الأسفل هنا. من هذه النقطة، كانت الآثار التي تدلهم على تعقب أثر جثة ماري غيستو غير واضحة كما كانت في الأعلى. نظر نحو الآخرين الموجودين في الأعلى وانتظر.

أعطى أوشيا أوامره بنبرة منزعجة: «فقط افعلها يا فريدي. انزل أنت أولاً أيها الشرطي، وكن جاهزاً مع بندقيتك في حال خطرت على بال السيد ويتس أية فكرة للهرب. أيتها المحققة رايدر، لديكِ الإذن مني بإخراج مسدسك واستعماله. أنت ابقَ هنا مع فريدي وكن جاهزاً أيضاً».

صعد بوش بضع درجات على السلم ليستطيع أخذ البندقية من الشرطي بحذر. ثم نزل، في حين نزل الرجل باللباس الرسمي. أعطاه بوش بندقيته وعاد إلى السلم.

صاح بوش لأوليفاس: «ارمِ لي الأصفاد».

التقط بوش الأصفاد، واستقر في موقعه بين درجتين في أعلى السلم. بدأ ويتس بالنزول في حين وقف مصور الفيديو عند الحافة يسجل عملية نزوله، وعندما وصل ويتس إلى بعد ثلاث درجات من نهاية السلم، اقترب منه بوش، وأمسك بالسلسلة الملفوفة حول خصره ليقوده إلى نهاية السلم، ويصل إلى الأرض.

همس في أذنه من الخلف: «لقد انتهى الأمر يا راي. إنها فرصتك الوحيدة.

هل أنت متأكد أنك لن تحاول الهروب؟».

عندما وصل إلى نهاية السلم بسلام، التفت ويتس نحو بوش رافعاً يديه ليتم تكبيلهما بالأصفاد من جديد، مُحدقاً إلى عيني بوش.

«لا أيها المحقق، فأنا أحب الحياة كثيراً».

«هذا ما ظننته».

كبّل بوش يديه مع السلسلة الملفوفة حول خصره، ونظر إلى أعلى المنحدر نحو الآخرين.

«حسناً، إننا في أمان».

نزلوا السلم واحداً تلوَ الآخر، وحالما اجتمعوا من جديد في نهاية المنحدر التفت أوشيا حوله، ورأى أن هذه المنطقة خالية من الطرقات. بإمكانهم الذهاب في أيّ من الاتجاهات.

قال لويتس: «حسناً، أين الطريق؟».

استدار ويتس في نصف دائرة وكأنه يرى المنطقة للمرة الأولى.

«همممم...».

كاد أوليفاس أن يفقد أعصابه.

«من الأفضل ألّا تكون تمارس إحدى –»

قال ويتس ببرود، وهو يومئ نحو يمين المنحدر: «من هذا الاتجاه. لقد أضعت وجهتي للحظة».

قال أوليفاس: «هذا هراء يا ويتس، قدنا إلى الجثة حالاً، أو سنعود، ستحاكم وستحصل على ما تستحقه هل فهمت؟».

«لقد فهمت وكما قلت: من هنا».

سارت المجموعة عبر الأغصان، وكان ويتس في المقدمة، وأوليفاس متشبث بالسلاسل في الجزء الضيق من ظهر ويتس، والشرطي حامل البندقية على بعد خمس خطوات منه.

أصبحت الأرض عند هذه النقطة موحلة وأكثر نعومة، يعلم بوش أن سيلان الأمطار الربيعية الذي صبّ في هذا المنحدر قد تجمّع هنا. شعر بعضلات فخذيه تتقلص مع كل خطوة يخطوها وهو يحاول أن يرفع حذاءه من الوحل اللزج.

في غضون خمس دقائق وصلوا إلى منطقة خالية من الأشجار تغطيها ظلال شجرة بلوط طويلة ومعمرة. رأى بوش ويتس ينظر إلى الأعلى فتتبع نظراته. كان هناك ربطة شعر بيضاء اللون تميل إلى الصفار متدلية بشكل واضح على أحد الأغصان فوقهم.

قال ويتس: «الأمر مضحك، كانت زرقاء».

يعلم بوش أن ماري غيستو كانت تضع ربطة شعر زرقاء اللون، تسحب شعرها إلى الخلف، يطلق عليها اسم سكرانشي، عند اختفائها. وصف صديق لها رآها في اليوم الأخير قبل اختفائها لما كانت ترتديه.

لم يتم العثور على السكرانشي مع ملابسها التي طويت بعناية في السيارة عند شقق هاي تاور. نظر بوش نحو الأعلى إلى ربطة الشعر، أزال التعرض للشمس والمطر لمدة ثلاث عشرة سنة لونها.

أخفض بوش نظره نحو ويتس، في حين كان القاتل ينتظره بابتسامة.

«لقد وصلنا أيها المحقق، أخيراً عثرت على ماري».

«أين؟».

ابتسم ويتس ابتسامة عريضة.

«إنك تقف فوقها».

تراجع بوش فجأة خطوة إلى الوراء، فضحك ويتس.

«لا تقلق، أيها المحقق بوش. لا أظن أنها تمانع، ما الذي كتبه ذلك الرجل العظيم عن الموت؟ إن طريقة موتك أو مكان دفنك ليسا مهمين».

حدق إليه بوش طويلاً، متسائلاً عن مصدر حصوله على هذا الأدب. بدا

وكأن ويتس يفهم نظراته.

«إنني مسجون منذ شهر أيار أيها المحقق، لقد قرأت كثيراً».

قال بوش: «تراجع إلى الخلف».

فتح ويتس يديه المقيدتين في حركة استسلام، وتراجع نحو جذع شجرة البلوط.

نظر بوش نحو أوليفاس وسأله: «هل تراقبه؟».

«إني أراقبه».

نظر بوش إلى الأرض. هناك آثار أقدام على الأرض الموحلة، لكن بدا الأمر وكأنه كان هناك أحد آخر، تخريب جديد في التربة، وكأن حيواناً ما قد حفر حفرة في الأرض، إما بحثاً عن الطعام وإما ليدفن جثة ما. أعطى بوش إشارة إلى خبيرة الأدلة الجنائية من قسم التكنولوجيا لتتقدم إلى منتصف المنطقة الخالية. تقدمت كافاريلي ومعها مسبار الغاز، وأشار بوش إلى البقعة التي توجد تحت ربطة الشعر مباشرة.

دفعت خبيرة الأدلة الجنائية مقدمة المسبار داخل التربة الناعمة، فغرقت قدمها بسهولة في الأرض. ضغطت على القارئ، وبدأت تراقب الشاشة الإلكترونية. تقدم بوش نحوها، ونظر من فوق كتفها. كان يعلم أن المسبار يقوم بقياس درجة غاز الميثان في التربة. تحرر الجثة المدفونة غاز الميثان الذي تحلله، حتى وإن كانت الجثة ملفوفة بالبلاستيك.

قالت كافاريلي: «إننا نحصل على قراءة، إنها فوق المقاييس العادية».

أومأ بوش وشعر بالغرابة. كأنه ليس في محله. لقد أمضى أكثر من عقد في هذه القضية، وكان هناك جزء منه يريد التمسك بلغز ماري غيستو، لم يكن يؤمن بالشيء الذي يدعى خاتمة، لكنه كان يؤمن بالحاجة إلى معرفة الحقيقة. شعر أن الحقيقة ستُظهر نفسها، ومع ذلك كان الأمر مقلقاً. كان بحاجة إلى معرفة الحقيقة، لكن كيف له أن يتابع عندما تنتهي حاجته إلى إيجاد قاتل

ماري غيستو والانتقام منه؟ نظر إلى ويتس.

«ما العمق الذي دفنتها فيه؟».

أجاب ويتس بصدق: «ليست على عمق كبير. في العام 1993 كان هناك قحط، هل تذكر؟ كانت الأرض صلبة يا رجل، لقد أنهكت وأنا أحفر، كنت محظوظاً لكونها ضئيلة الحجم، ومنذ ذلك الحين بدلت رأيي، فلم أحفر في المرات القادمة».

نظر بوش بعيداً عنه باتجاه كافاريلي، كانت تسجل قراءة أخرى على المسبار، ستكون قادرة على تحديد موقع القبر تبعاً لأعلى قراءة لغاز الميثان.

شاهدوا جميعاً إنجاز هذا العمل الكئيب بصمت. أخيراً حرّكت كافاريلي يدها بطريقة عامودية باتجاه الشمال والجنوب بعد حصولها على قراءات عدة في النمط الموجود على الشاشة الإلكترونية؛ لتشير إلى الموقع الذي يرجح أن تكون الجثة مدفونة فيه. ثمّ رسمت علامات لتحدد جوانب القبر عن طريق سحب مقدمة المسبار على التراب. عندما انتهت كانت قد شكّلت مستطيلاً بطول ستة أقدام وعرض قدمين. كان قبراً صغيراً لضحية صغيرة الحجم.

قال أوشيا: «حسناً، لنعدْ السيد ويتس إلى السيارة، ونؤمّن عليه هناك وبعدها نحضر فريق الحفريات».

أخبر المدعي العام كافاريلي أن عليها أن تبقى في الموقع كي لا يكون هناك انتهاك لموقع الجريمة. اتجهت بقية المجموعة إلى السلم. كان بوش الأخير في طابور السائرين، فكّر كثيراً في تلك الأرض التي يعبرونها. كان هناك شيء مقدس حولها. كانت أرضاً مقدسة. كان يأمل ألا يكون ويتس كاذباً، تمنى لو لم يكن على ماري غيستو أن تقطع الطريق مشياً إلى قبرها وهي على قيد الحياة.

كان أوليفاس ورايدر أول من صعدا السلم. ثم دفع بوش ويتس إلى

السلم، فك قيوده، وساعده على الصعود.

بينما كان القاتل يتسلق، صوّب الشرطي بندقيته نحوه، إصبعه على الزناد، مسنداً البندقية إلى كتفه. أدرك بوش في تلك اللحظة أنه من الممكن أن ينزلق في تلك التربة الموحلة وأن يقع على الشرطي الذي من الممكن أن يتسبب بإطلاق النار من البندقية وإصابة ويتس. طرد هذه الفكرة من رأسه، ونظر عالياً إلى قمة المنحدر الذي أمامه. كانت زميلته تنظر إليه بعينين يبدو وكأنهما تقولان «أعلم ما الذي تفكر فيه». حاول بوش أن يظهر نظرة بريئة على وجهه. مدّ يديه وهو يحرك شفتيه من دون إصدار أي صوت قائلاً ماذا!؟ هزت رايدر رأسها مومئة بعدم موافقتها وتراجعت عن الحافة. لاحظ بوش أنها كانت تحمل مسدسها إلى جانبها. حالما وصل ويتس إلى قمة السلم كان أوليفاس بانتظاره ماداً ذراعيه.

قال أوليفاس: «يديك».

«بالطبع أيها المحقق».

من المكان الذي يقف فيه بوش لم يستطع رؤية إلا ظهر ويتس. كان قادراً على معرفة أن ويتس قد ضم يديه أمامه من أجل أن تكبلا مع السلسلة الموجودة حول خصره من خلال وضعية وقوفه فقط. لكن كان هناك حركة مفاجئة. التواء سريع في وضعية وقوف السجين وهو يميل بجسده بعيداً عن أوليفاس. علم بوش على الفور أن ثمة خطباً ما. حاول ويتس الوصول إلى قِراب المسدس الموضوع إلى جانب أوليفاس تحت سترته الواقية.

صرخ أوليفاس بذعر: «مهلاً، مهلاً». لكن قبل أن يتمكن بوش أو غيره من القيام بشيء. أحكم ويتس قبضته على أوليفاس، واستدار به إذ أصبح الآن ظهر المحقق مواجهاً لأعلى السلم، لم يتمكن الشرطي من الحصول على زاوية مناسبة للإطلاق، ولا حتى بوش. وبحركة تشبه المكبس، رفع ويتس ركبته، وضرب بها مرتين نحو أعضاء أوليفاس التناسلية.

رمى وزن أوليفاس ببوش على الوحل. بينما كان بوش ينازع ليخرج سلاحه سمع صوت إطلاق رصاصتين من الأعلى، وصرخات ذعر ممن هم موجودون في الأسفل.

سمع صوت عدو من خلفه في حين كان أوليفاس لا يزال فوقه، نظر إلى الأعلى، لكنه لم يرَ رايدر أو ويتس. ثم ظهر السجين عند حافة الجرف، يحمل مسدساً بهدوء. أطلق الرصاص نحوهم، فشعر بوش بأثر طلقتين في جسد أوليفاس. الذي تحول إلى درع يحمي بوش. دوى صوت إطلاق النار من بندقية الشرطي، لكن تلك الطلقات أصابت جذع شجرة البلوط إلى يسار ويتس. في اللحظة نفسها، رد ويتس على مصدر الرصاص، وسمع بوش صوت سقوط جسد الشرطي كسقوط حقيبة سفر.

صاح ويتس: «اهرب أيها الجبان! كيف يبدو الآن اتفاقك المليء بالهراء؟». أعاد إطلاق النار مرتين بشكل عشوائي نحو الأسفل، وتمكن بوش من التقاط مسدسه، وأطلق الرصاص نحو ويتس الذي يقف أعلى السلم.

جثا ويتس ليتمكن من الرؤية، وهو حرّ اليدين، ممسكاً بالسلم عند الدرجة الأولى من الأعلى، ورفعه من مكانه. دفع بوش جثة أوليفاس عنه، ونهض موجهاً مسدسه نحو ويتس في حال ظهوره من جديد.

لكن سرعان ما سمع صوت عدو آتٍ من الأعلى، وعلم عندها أن ويتس قد رحل.

صاح بوش: «كيز!».

لم يكن هناك ردّ. هرع بوش ليتحقق من جسدي أوليفاس والشرطي، فأدرك أنهما توفيا. وضع مسدسه في قرابه وتسلق المنحدر، مستخدماً جذور النباتات المنبثقة من الأرض كدعامات يدين. كانت الأرض تتهاوى وهو يضع قدميه ليرفع ثقل جسده. انقطع أحد الجذور في يده، فانزلق إلى الأسفل.

«أجيبي يا كيز!» لكن لا إجابة. حاول مجدداً، لكن هذه المرة من زاوية عبر

المنحدر المنزلق عوضاً عن التسلق بشكل مباشر. التقط الجذور، وثبّت قدميه في التربة الناعمة، أخيراً وصل إلى القمة، وزحف فوق الحافة. بينما كان يرفع جسده إلى الأعلى، شاهد ويتس يتنقل بين الأشجار باتجاه المنطقة الخالية حيث ينتظر الباقون. استلّ مسدسه من جديد، وأطلق خمس رصاصات، لكن ويتس لم يتباطأ.

نهض بوش، مستعداً لمطاردته. ولكنه رأى جثة زميلته ملطخة بالدماء، وممددة على الأغصان القريبة.

16

كانــت كيــز رايــدر ممددة على ظهرها، إحدى يديهــا مُحكمة على رقبتها في حين امتدت الأخرى إلى جانبها بارتخاء. توســعت عيناها بحثاً عن شــيء ما، لكنهما كانتا تائهتين. بدت وكأنها عمياء، وكانت ذراعها المرتخية ملطخة بالدمــاء. اقتضــى الأمــر لحظة من بوش ليلاحــظ اختراق رصاصة راحة يدها؛ أســفل إبهامهــا. فقــد تركت الطلقة مكانها بقعة مفتوحــة تماماً، وأدرك أنها لم تكــن بخطــورة الجــرح الــذي في عنقها. كان الدم يرشــح من بين أصابعها، لا بد وأن الرصاصة اخترقت الشــريان الســباتي، علم أن فقدان الدم وأن نقص الأوكسجين في الدماغ قد يوديا بحياة زميلته في غضون دقائق أو ثوان.

قال وهو يجثو بجانبها: «لا بأس يا كيز، أنا هنا».

استطاع أن يرى يدها تغطي الجرح الموجود على جانب عنقها من جهة اليميــن، كانــت يدهــا تضغــط بشــكل ضعيف لإيقــاف النزيــف. وكانت قوتها تتلاشى.

قال: «دعيني أتولّ الأمر».

وضع يده تحت يدها، وضغط على ما بدا له الآن جرحين، مكان اختراق الطلقة، ومكان خروجها. شعر بنزيف الدم على راحة يده.

صرخ: «يا أوشيا».

أجاب أوشيا من الأسفل: «بوش!».

«أين هو؟ هل قتلته؟».

مضت لحظة قبل أن يجيب أوشيا بصوت يملؤه الذعر: «لقد رحل، يجب أن تذهب إلى السيارات، وتجلب المساعدة الطبية إلى هنا».

«لقد أطلق النار على دولان وفريدي! إنهما ميتان يا أوشيا. يجب أن تصل إلى المذياع، رايدر على قيد الحياة- ويجب أن نحضر لها-» كان هناك صوت إطلاق عيارين ناريين على بعد مسافة ثم تلاهما صراخ. كان صوت أنثى، وظن بوش أنه صوت كاثي كول، والأشخاص الموجودون في مرأب السيارات. ثم صدر صوت إطلاق عيارين ناريين آخرين، وسمع بوش تغييراً في صوت المروحية من فوقه. كانت المروحية تغيّر مسارها، يبدو أن ويتس يطلق النار عليها.

صرخ: «هيا يا أوشيا، الوقت ينفد».

عندما لم يسمع رداً التقط حقيبة يد رايدر، وضغطها على الجرح الموجود على عنقها.

«ابقها هناك يا كيز. اضغطيها بأقصى ما لديك من قوة. سأعود حالاً».

نهض بوش، وأمسك بالسلم الذي رفعه ويتس. أخفضه وأعاده إلى مكانه السابق بين جثتي أوليفاس ودولان. كان أوشيا جاثياً على ركبتيه بجانب جثة أوليفاس، وكانت عينا المدعي العام متسعتين وفارغتين كعيني الشرطي الميت بجانبه.

كان سوان يقف في المنطقة الخالية السفلية، وتعلو وجهه نظرة ذهول.

عادت كافاريلي من موقع القبر، وكانت على ركبتيها بجانب دولان، تحاول أن تقلبه على ظهره لتحصل على المذياع. لقد سقط الشرطي على صدره بعد أن أطلق ويتس النار عليه.

قال بوش آمراً: «دعيني أقم بذلك يا كال، اذهبي وساعدي كيز. يجب

أن نوقف نزيف عنقها».

من دون أن تتفوه بكلمة واحدة، اعتلت كافاريلي السلم واختفت عن الأنظار. قلب بوش جثة دولان الذي سقط على جبينه. كانت عيناه مفتوحتين وبدتا مندهشتين.

التقط المذياع من حزام المعدات الخاص بالشرطي وأجرى نداءً: «لقد فقدنا شرطياً» وطلب حضور مروحية مساعدات طبية خاصة بالطوارئ إلى مرأب السيارات عند مزرعة سانسيت. بعد أن تأكد من أن المساعدة الطبية أصبحت في طريقها، بلغ عن فرار مجرم. قدّم وصفاً دقيقاً عن راينارد ويتس، ثم وضع المذياع في جيبه.

اعتلى السلم، ونادى على أوشيا وسوان ومصور الفيديو الذي كان يحمل الكاميرا ويصور موقع الحدث في الأسفل.

«اصعدوا جميعكم، يجب أن نحملها إلى مرأب السيارات لأجل المساعدة الطبية».

استمر أوشيا بالتحديق إلى جثة أوليفاس. صاح بوش من الأعلى: «لقد ماتا، لا يمكننا فعل شيء من أجلهما. يجب أن تصعدوا إلى هنا».

استدار نحو رايدر. كانت كافاريلي تضغط على عنقها لكن بوش أدرك أن الوقت ينفد. كانت الحياة تفارق عيني شريكته. انحنى بوش، وأمسك بيدها السليمة وفركها بيديه. لاحظ أن كافاريلي قد استعملت ربطة شعر لربط الجرح على اليد الأخرى.

«هيا يا كيز، تماسكي. لقد طلبنا مروحية، سنخرجكِ من هنا».

التفّت حوله، وخطرت في باله فكرة وهو يشاهد موريس سوان يصعد السلم. تحرك بسرعة نحو الحافة؛ ليساعد محامي الدفاع في صعود آخر عتبة. كان أوشيا يصعد خلفه ومصور الفيديو ينتظر دوره.

أمره بوش: «اترك الكاميرا».

«لا أستطيع، أنا مسؤول-»

«أحضرها إلى هنا، وسأقذف بها إلى أبعد ما أستطيع».

ترك المصور معداته على الأرض مكرهاً، أخرج الشريط الإلكتروني من الكاميرا ووضعه في إحدى الجيوب الخاصة بالمعدات في بنطاله. ثم صعد السلم. عند وصول الجميع إلى القمة سحب بوش السلم وتوجه به نحو رايدر، وضعه على الأرض إلى جانبها.

«حسناً، سنستخدم السلم كنقالة. سيسير رجلان على كل جانب، وأنتِ يا كال، أريد منك أن تسيري بجانبنا، وأن تستمري في الضغط على عنقها».

قالت: «فهمت».

رفع بوش كتف رايدر من جهة اليمين، في حين أخذ الرجال الثلاثة مواقعهم عند رجليها وكتفها الأخرى، ونقلوها إلى السلم بحذر. في حين أبقت كافاريلي يدها على عنق رايدر.

ألحّ بوش: «يجب أن نكون حذرين، إن أملنا السلم ستقع. أبقها على السلم يا كال».

«لقد فهمت، هيا بنا».

حملوا السلم وساروا، لم تكن المشكلة التي تؤرق الرجال الذين يحملون رايد تتمثل في وزنها، بل في الوحل، كانت المشكلة مضاعفة بالنسبة إلى سوان، وهو يتزحلق بسبب حذائه الرسمي، وكادت النقالة أن تسقط. عانقت كافاريلي رايدر، وحاولت إبقاءها في مكانها على السلم كلما كادت أن تسقط.

استغرق الأمر أقل من عشر دقائق للوصول إلى المنطقة الفارغة، وسرعان ما لاحظ بوش أن عربة الطب الشرعي ليست موجودة الآن، لكن كاثي كول ومساعدها ما زالا هناك، يقفان بجانب العربة الخاصة بقسم التحقيقات. نظر بوش إلى السماء لكنه لم يرَ المروحية. طلب إلى الآخرين أن يضعوا رايدر بجانب العربة. كان يحملها طوال تلك المسافة بيد واحدة مُحكمة تحت

السلم، لذا استخدم يده الأخرى لتشغيل المذياع.

صرخ في المذياع: «أين المروحية التي طلبتها؟».

جاءه الرد أنها ستصل خلال دقيقة واحدة. أخفضوا السلم إلى الأرض بهدوء، واستداروا ليتأكدوا من وجود مساحة كافية لهبوط المروحية. سمع أوشيا وهو يطرح الأسئلة على كول.

«ماذا حصل؟ أين ذهب ويتس؟».

«خرج من الغابة، وأطلق النار على مروحية الأخبار، ثم أخذ عربتنا تحت تهديد السلاح واتجه نحو التلة».

«هل لحقت به المروحية؟».

«لا نعلم. لا أظن ذلك. لقد حلّقت بعيداً عندما بدأ بإطلاق النار».

سمع بوش صوت اقتراب مروحية، وتمنى ألّا يكون صوت عودة المروحية الخاصة بالأخبار، وقف في وسط المساحة الفارغة في مرأب السيارات وانتظر، بعد دقائق حطت مروحية إمدادات طبية مطلية باللون الفضي على قمة الجبل، وبدأ يلوح لها مشيراً إلى مكانهم في الأسفل.

قفز منها شخصان أخصائيان في طب الطوارئ، في اللحظة التي حطت فيها. يحمل أحدهما حقيبة معدات والآخر النقالة المطوية. انحنيا بجانب رايدر، وبدأا العمل. وقف بوش يتمعّن، وكانت يداه مطويتين عند صدره. رأى أحدهما يضع قناع الأوكسجين على وجهها، بينما حقن الآخر السيروم في ذراعها. ثم بدأا بفحص الجروح. كرر بوش كمن يلقي تعويذة، هيا يا كيز، هيا يا كيز، هيا يا كيز... بدا وكأنه يتلو صلاة ما.

استدار أحد أخصائيي الطوارئ نحو المروحية، وأرسل بيده إشارة إلى الطيار، رافعاً بإصبعه كمن يرسم دائرة في الهواء. علم بوش أن تلك الإشارة كانت تعني أنه يجدر بهم الذهاب. سيكون الوقت من ذهب في هذه المرحلة. بدأت سرعة المحرك تتزايد. وكان الطيار جاهزاً.

فتحت النقالة وساعد بوش أخصائيي الطوارئ في نقل رايدر إليها، ثم أمسك بأحد مقبضي النقالة وساعدهم في حملها إلى المروحية. صرخ بوش بصوت عال، وهم يتجهون نحو باب المروحية المفتوح: «هل أستطيع الذهاب معكم؟».

صرخ أحد أخصائيي الطوارئ «ماذا؟».

«هل بإمكاني أن أذهب؟».

هزّ أخصائي الطوارئ رأسه.

«لا يا سيدي. تلزمنا المساحة لنعمل. إن الأمر وشيك».

أومأ بوش.

«إلى أين ستأخذونها؟».

«إلى مستشفى سانت جو».

أومأ بوش رأسه. كانت مستشفى سانت جو في بوربانك على الجهة المقابلة من الجبل، يستغرق الوصول إليها خمس دقائق بالمروحية كأقصى حدّ. ستكون الرحلة في السيارة أطول لأن عليهم أن يلتفوا حول الجبل.

وضعت رايدر بعناية في المروحية وتراجع بوش، وفي الوقت الذي أغلق فيه الباب أراد بوش أن يصرخ قائلاً شيئاً لشريكته، لكنه لم يستطع أن يستحضر أية كلمات. أُغلق الباب وفاتته الفرصة، فأدرك بوش الأمر، إن كانت كيز مُدركة لما يجري حولها أو حتى إن كان يهمها قوله لأي شيء، فهي ستعلم ما أراد قوله.

أقلعت المروحية، في الوقت الذي تراجع فيه بوش إلى الوراء، متسائلاً إن كان سيرى كيز رايدر على قيد الحياة من جديد.

حالما بدأت المروحية بتغيير مسارها سمع صوت سيارة دورية تقترب من التلة، بأضوائها الزرقاء. ترجل منها رجلان بزييهما الرسمي من قسم مقاطعة هوليوود. أخرج أحدهما مسدسه ووجهه نحو بوش الذي كان بدوره ملطخاً بالدم والوحل. عندها أدرك بوش السبب، فقال: «أنا محقق، شارتي

في جيبي الخلفي».

قال الرجل الذي يحمل المسدس «لنرَ إذن!».

«بهدوء!» سحب بوش شارته وفتحها، وعندما تعرف إليه الرجل أخفض مسدسه.

أمره: «اصعد في السيارة. يجب أن نذهب!» ركض بوش باتجاه الباب الخلفي للسيارة. تزاحم الشرطيان بجانبه، وأخبرهما بوش أن عليهما أن يتجهوا نحو بيتشوود.

سأل السائق: «ثم إلى أين؟».

«يجب أن توصلنا إلى مستشفى سانت جو التفافاً حول الجبل، زميلتي في تلك المروحية».

«لك ما طلبت. هيا بنا يا عزيزي».

شغّل السائق الزر الذي يطلق صفارة الإنذار ومعها أضواء الطوارئ، وداس على دواسة الوقود.

استدارت السيارة في مكانها، وصدر صوت صرير من العجلات التي قذفت الحصى حولها، واتجهت نحو أسفل التلة. كان ماص الصدمات متضرراً، وكان ذلك أمراً شائعاً بين سيارات شرطة قسم لوس أنجلوس المتموضعة في الشارع. كانت السيارة تنحرف بخطورة حول المنعطفات في طريقها إلى الأسفل، لكن بوش لم يبالِ. عليه أن يصل إلى كيز، في نقطة معينة كانوا على وشك الاصطدام بسيارة دورية أخرى تعبر الطريق بسرعتهم نفسها وفي طريقها للصعود إلى موقع الجريمة.

أخيراً أبطأ السائق وهم في منتصف طريقهم إلى أسفل التلة عندما كانوا يعبرون خلال طريق معبّد مزدحم خاص بالتسوق في منطقة قرية هوليوود لاند.

صاح بوش: «قف!».

استجاب السائق مع صوت صرير العجلات.

«تراجع. لقد رأيت العربة».

«أية عربة؟».

«فقط تراجع». تراجعت السيارة، وسارت بجانب مركز التسوق الخاص بالحي. هناك على جانب الساحة رأى بوش عربة الطب الشرعي بلونها الأزرق الباهت مركونة في الصف الخلفي. «لقد فرّ سجيننا وحصل على مسدس، واستقل هذه العربة».

أعطاهما بوش وصفاً لويتس، وحذرهما أنه كان على استعداد لإطلاق النار من سلاحه، وأخبرهما عن الشرطيين المقتولين وعن مكانهما على التلة قرب الغابة.

قرروا تمشيط المرأب أولاً، قبل دخول مركز التسوق، طلبوا الدعم لكنهم لم ينتظروا وصوله. خرجوا شاهرين أسلحتهم.

بسرعة فتّشوا المرأب، وفتّشوا عربة الطب الشرعي. كانت مفتوحة وفارغة. لكن بوش وجد بذلة برتقالية خاصة بالمسجونين على الأرض في الخلف. يبدو أن ويتس كان يرتدي مجموعة أخرى من الملابس تحت البذلة، أو أنه قد وجد ملابس أخرى ارتداها في مؤخرة العربة.

قال بوش للآخرين: «كونا حذرين، لقد غيّر ملابسه، ابقوا بالقرب مني. أنا أعرف شكله».

تحركوا بتشكيل ضيق، واتجهوا إلى مركز التسوق عبر الباب الآلي الموجود في المقدمة. عندما أصبحوا في الداخل، أدرك بوش على الفور أن الأوان قد فات. رأى رجلاً يضع بطاقة تعرف أنه المدير على قميصه، يواسي سيدة كانت تبكي بشكل هستيري وهي تضع يدها على وجهها. رأى المدير الشرطيين بزيّهما الموحد وناداهما. لم يلاحظ حتى الدم والوحل على ملابس بوش.

قال المدير: «نحن من اتّصل، لقد سُرقت سيارة السيدة شيلتون الموجودة هنا».

هزت السيدة شيلتون رأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع!.

سأل بوش: «هل يمكنك وصف سيارتك والملابس التي كان يرتديها السارق؟».

قالت وهي تئنّ: «أجل على ما أعتقد».

قال بوش للشرطيين: «حسناً، اسمعا؛ على أحدكما البقاء هنا، وأخذ وصف ما كان يرتديه، ووصف السيارة وإذاعته على الهواء. وعلى الآخر إيصالي إلى مستشفى سانت جو. هيا بنا».

أخذ السائق بوش، وبقي رجل الدورية الآخر خلفهما. خلال ثلاث دقائق خرجوا من بيتشوود كانيون في طريقهم باتجاه ممر كاوينجا. سمعا على الإذاعة نداء تقصٍّ وملاحقة لسيارة بي إم دبليو 540 مرتبطة بواحد بي سبعة ليو- أي مقتل ضابط شرطة. وُصف المتهم بأنه يرتدي بذلة بيضاء واسعة، وعلم بوش أن المتهم قد عثر على هذه الملابس في الجزء الخلفي من عربة الطب الشرعي.

فتح صوت صفارة الطوارئ المنبعث من سيارتهما الطريق أمامهما، لكن بوش قدّر أنهم لا يزالان على بعد خمس عشرة دقيقة من المستشفى. راوده شعور سيئ حول هذا الأمر وحول كل شيء بالأحرى، وظن أنهما سيصلان إلى وجهتهما بعد فوات الأوان. حاول أن يطرد هذه الفكرة من رأسه. حاول أن يفكر أن كيز رايدر ستكون على قيد الحياة، بصحة جيدة، تبتسم إليه، وتوبخه كما تفعل دائماً.

عندما وصلا إلى الطريق السريع، ركّز في مراقبة معابر المرور الثمانية في الشمال، باحثاً عن سيارة مسروقة من نوع بي إم دبليو فضية اللون يقودها قاتل.

17



عبر بوش بخطوات سريعة بوابة الطوارئ مظهراً شارته، جلست موظفة الاستقبال خلف طاولتها، تأخذ معلومات من رجل يجلس على كرسي أمامها. عندما اقترب بوش، رأى أن الرجل كان يحمل ذراعه اليسرى وكأنها طفل رضيع. كان الرسغ ملوياً بزاوية غير طبيعية. فسأل غير آبه بما سببه من مقاطعة: «أين هي المحققة التي أحضرتها مروحية الإمدادات الطبية؟».

قالت موظفة الاستقبال: «ليس لديّ أية معلومات يا سيدي، إن كان بإمكانك أخذ...».

«من أين يمكنني الحصول على المعلومات؟ أين هو الطبيب؟».

«الطبيب الآن مع المحققة يا سيدي، إن طلبت إليه الآن أن يخرج ليتحدث إليك فعندها لن يكون قادراً على الاعتناء بها، أليس كذلك؟».

«هل هي حية؟».

«لا أستطيع البوح بأية معلومات في الوقت الراهن يا سيدي. إن كنت س-».

سار بوش بعيداً عن الطاولة باتجاه مجموعة أبواب. ضغط الزر الموجود على الحائط، ففتحت الأبواب بشكل تلقائي. سمع صراخ المرأة وهي تصرخ خلفه، فلم يتوقف. عَبَرَ الأبواب وصولاً إلى غرفة العلاج في قسم الطوارئ.

كان هناك ثمانية أقسام خاصة لوضع المرضى، كل قسم منها مغطى بستائر، أربعة منها على كل جانب من الغرفة، وفي المنتصف هناك مكان مخصص للأطباء والممرضات. بدا المكان مزدحماً ومليئاً بالضجيج. خارج أحد الأقسام المخصصة للمرضى رأى بوش أحد أخصائيي الطوارئ الذي كان في مروحية الإمدادات الطبية. فاقترب منه.

«ما هو وضعها؟».

«إنها متماسكة. لقد فقدت كثيراً من الدم و...» وتوقف عن الكلام عندما التفت ورأى أن بوش من كان يقف إلى جانبه.

«لا يفترض بك الوجود هنا أيها المحقق، أعتقد أنه يجدر بك أن تخرج من هنا إلى غرفة الانتظار...».

«إنها شريكتي وأريد أن أعلم ما الذي يحصل».

«يهتم بها أحد أفضل الأطباء المقيمين في قسم الطوارئ في المدينة ليبقيها على قيد الحياة. أراهن أنه سينقذها، لكن لا يمكنك أن تقف هنا وتشاهد».

«سيدي».

استدار بوش. كان هناك رجلٌ يرتدي ملابس مركز الحراس الخاص يقترب منه، ومعه موظفة الاستقبال.

رفع بوش يديه.

«أردت فقط أن أعرف ما الذي يحصل».

قال الحارس: «عليك أن ترافقني يا سيدي».

وضع يديه على ذراع بوش. لكن بوش أبعدها.

«أنا محقق. لا يجدر بك لمسي. أردت فقط أن أعرف ما يجري مع زميلتي».

«ستُخبَر بكل ما تود معرفته في الوقت المناسب يا سيدي. من فضلك تفضل...» ارتكب الحارس الخطأ نفسه عن طريق محاولة الإمساك بذراع

بـوش مـن جديـد. لكـن بوش لـم يبعد يد الحارس هذه المرة. بل أمسـك بها وصفعها بعيداً.

«قلت لك لا،...»

قـال أخصائـي الطـوارئ: «مهـلاً، مهلاً، ما رأيك أيهـا المحقق أن نذهب ونتناول القهوة أو شـيئاً آخر. سـأخبرك بكل ما حصل مع زميلتك. هل أنت موافق؟».

لم يجب بوش. قدّم أخصائي الطوارئ مغريات أكثر مع عرضه.

«سـأحضر لـك لبـاس مستشـفى نظيفـاً؛ لتتمكن من خلع هـذه الملابس الملطخة بالدم والوحل. ما رأيك؟».

وافق بوش على مضض، وأومأ الحارس موافقاً. فتقدّم أخصائي الطوارئ نحـو خزانـة المعـدات بعـد أن نظر باتجـاه بوش، وخمن بأنـه يرتدي القياس الوسـط. أخرج لباس مستشـفى أزرق اللون باهتاً، وجوربين خاصين بالأطباء من الرفوف، وسلمها إلى بوش، ثم سارا إلى نهاية الردهة باتجاه غرفة استراحة الممرضات، حيث توجد آلات بيع بقطع نقدية تقدم القهوة، والشراب الغازي، والوجبـات الخفيفـة. طلـب بوش قهوة سـادة. لم يكـن لديه أية فكة لكن كان بحوزة أخصائي الطوارئ بعضاً منها.

«هل تريد أن تغير ملابسك وتنظف نفسك أولا؟ بإمكانك استخدام تلك الغرفة هناك».

«أخبرني بما تعرفه أولاً».

«تفضل بالجلوس».

جلسا إلى طاولة دائرية متقابلين، مدّ أخصائي الطوارئ يده فوق الطاولة مصافحاً».

«ديل ديلون».

صافح بوش يده بسرعة.

«هاري بوش».

«سررت بلقائك أيها المحقق بوش. أول ما أود فعله هو شكرك على المجهود الذي بذلته هناك في الوحل، ربما جهودكم هناك ستنقذها، لقد فقدت كثيراً من الدم. لكنها محاربة. إنهم يعالجونها، وآمل أنها ستكون على ما يرام».

«ما مدى سوء الأمر؟».

«سيئ لكن ليست من الحالات التي لن تعرف أي شيء حتى تستقر حالتها. لقد اخترقت الرصاصة أحد الشرايين القلبية. إنّ هذا ما يعملون عليه الآن، إنهم يجهزونها لدخول غرفة العمليات حتى يكون بمقدورهم إصلاح الشريان. في الوقت الحالي، بما أنها فقدت كثيراً من الدم، هناك خطر حدوث جلطة. لا تزال في مرحلة الخطر، لكن إن تمكنت من تجنب حدوث جلطة فستكون على ما يرام. على ما يرام تعني أنها ستكون على قيد الحياة وبانتظارها الكثير من إعادة التأهيل».

أومأ بوش.

«هذه هي النسخة غير الرسمية. أنا لست طبيباً. لا يجدر بي إخبارك أيّ من هذا».

شعر بوش بهاتفه يهتز في جيبه، لكنه تجاهله.

قال: «أقدّر ما فعلته. متى سأتمكن من رؤيتها؟».

«ليس لديّ أية فكرة. لقد أحضرتها إلى هنا فقط. أخبرتك بكلّ ما أعرفه، وربما أخبرتك بما هو أكثر من اللازم، إن كنت ستنتظر هنا أقترح أن تقوم بغسل وجهك وتغيير ملابسك. على الأرجح منظرك يخيف الناس».

أومأ بوش، في حين كان ديلون ينهض، لقد حلّ مشكلة كانت على وشك الحدوث في غرفة العمليات، بذلك يكون عمله قد انتهى.

«شكراً يا ديل».

«لا مشكلة. تعامل مع الأمر بهدوء إن قابلت الحارس، قد تود أن...».

أنهى كلامه هنا.

قال بوش: «سأفعل ذلك».

بعد أن غادر أخصائي الطوارئ، دخل بوش إلى المرحاض ونزع سترته. قرر أن يبقى مرتدياً سرواله؛ لأنه لم يكن هناك أي جيوب في ملابس المستشفى لحمل سلاحه، وهاتفه، وشارته وأغراضه الأخرى.

نظر إلى نفسه في المرآة، ورأى أن هناك لطخات وحل ودم تغطي وجهه. غسل وجهه لخمس دقائق، أعاد غسل يديه بالماء حتى تأكد من نظافتهما.

عند خروجه من المرحاض، لاحظ أن أحداً ما قد حضر إلى غرفة الاستراحة وأخذ قهوته، تفحص جيوبه من جديد ليعثر على بعض الفكة، لكنه لم يجد شيئاً.

اتجه بوش إلى غرفة الطوارئ التي كانت تعج برجال الشرطة، بزيّهم الرسمي أو المدني. كان هناك المشرف عليه، أبل برات، يقف بزيه الرسمي بين الحشود. بدا وجهه شاحباً. اتجه نحو بوش في اللحظة التي رآه فيها.

«كيف حالها يا هاري؟ ما الذي حصل؟».

«إنهم لا يعطونني أية معلومات رسمية. قال أخصائي الطوارئ الذي أحضرها إلى هنا إنها ستكون بخير إن لم يطرأ أي شيء جديد».

«شكراً لله، ما الذي حصل هناك؟».

«لست متأكداً. حصل ويتس على مسدس، وبدأ بإطلاق النار. هل من معلومات عن مكان وجوده؟».

«لقد ترك السيارة التي سرقها قرب محطة ريد لاين عند هوليوود بوليفارد. إنهم لا يعلمون مكانه».

فكّر بوش في الأمر. كان يعلم إن استقل ويتس قطار الأنفاق، فسيكون في أي مكان شمال هوليوود في طريقه إلى مركز المدينة. كان لمعبر مركز

المدينة موقف عند إيكو بارك.

«هل يبحثون في إيكو بارك؟».

«إنهم يبحثون في كل مكان يا رجل، سيرسل فريق إطلاق النار مجموعة للتحدث إليك، لم أظن أنك تنوي الذهاب إلى باركر».

«حسناً».

«أنت تعرف كيف تتولى الأمر. تحدث عما تعرضتم له كما حصل».

«حسناً».

«لن يكون هناك مشكلة مع فريق إطلاق النار».

كان بوش مقتنعاً بأنه لم يرتكب أي خطأ في التعامل مع ويتس. لم يكن لفريق إطلاق النار أية منفعة على أية حال.

قال برات: «سيكونون هنا قريباً، إنهم الآن في مزرعة سانسيت يستجوبون الآخرين. كيف حصل على مسدس بحق الجحيم؟».

هزّ بوش رأسه.

«اقترب من أوليفاس عندما كان يعتلي السلم، التقط مسدسه، وبدأ بإطلاق النار. كان كل من أوليفاس وكيز في الأعلى. حصل الأمر بسرعة، وكنت في الأسفل».

«يا إلهي!». هزّ برات رأسه، وكان بوش يعلم أنه أراد أن يطرح المزيد من الأسئلة عما حصل وكيف جرى الأمر. كان على الأرجح قلقاً على وضعه الخاص بقدر قلقه على بقاء رايدر على قيد الحياة، أدرك بوش أن عليه إخباره عن الأمر الذي قد يشكل مشكلةً يجب احتواؤها.

فقال بصوت خافت: «لم يكن مقيداً، لقد نزعنا قيوده، ليتمكن من صعود السلم. كان سيتم نزع الأصفاد لثلاثين ثانية كأقصى حد، وفعل ما فعله في ذلك الوقت. سمح له أوليفاس بالاقتراب كثيراً. هكذا بدأ الأمر».

«لقد نُزعت الأصفاد».

«أمرنا أوشيا بهذا».

«جيد. يمكنهم أن يلقوا اللوم عليه، لا أريد لهذا الأمر أن يُلقى على عاتقي، لا أريد أن أُذكر بهذه الطريقة بعد خمسة وعشرين عاماً».

«ماذا بشأن كيز؟ هل ستتخلى عنها؟».

«لن أتخلى عنها. سأساعدها لكنني لن أساعد أوشيا. فليذهب إلى الجحيم».

مرة أخرى رنّ هاتف بوش، وهذه المرة أخرجه من جيبه، وتحقق من الشاشة. كان يظهر عليها «رقم غير معروف». ردّ على الهاتف ليتخلص من أسئلة برات، والأحكام التي يطلقها، وسياسته في تبرئة ذمته. كانت ريتشل من يتصل.

«لقد تلقينا اتصال تقصٍ ومطاردة بحق ويتس يا هاري. ما الذي حصل؟».

أدرك بوش أنه على وشك إخبار القصة مراراً وتكراراً طوال اليوم، وربما طوال حياته. اعتذر ودخل إلى كوة يوجد فيها هواتف عامة، ونافورة مياه حيث يمكنه أن يتكلم بحرية. أخبرها باختصار بما حصل عند قمة بيتشوود كانيون، وعن وضع رايدر. أخبرها بالقصة كما تذكرها حتى اللحظة التي حصل فيها ويتس على المسدس، وقص عليها ما بذلوه من جهد للحفاظ على حياة شريكته وإيقاف نزيفها.

عرضت ريتشل على بوش أن تأتي إلى المستشفى، لكنه أقنعها ألّا تفعل، بقوله إنه غير متأكد من المدة التي سيقضيها هنالك، وذكّرها بأنه سيكون في اجتماع خاص مع المحققين من فريق إطلاق النار.

سألته: «هل سأراك الليلة؟».

«إن انتهيت من كل شيء هنا وكان وضع كيز مستقراً، وإن لم يكن الأمر كذلك، سأبقى هنا».

«سأذهب إلى منزلك. اتصل بي وأخبرني بما تحصل عليه من معلومات».

«سأفعل ذلك».

خرج بوش من الكوة، ورأى أن غرفة الانتظار الخاصة بقسم الطوارئ قد بدأت تعجّ برجال الشرطة والأخبار. فأدرك أن الأخبار قد وصلت الآن إلى رئيس قسم الشرطة، وأنه في طريقه إلى المستشفى. قد يكون لحصولهم على نفوذ رئيس قسم الشرطة في غرفة الطوارئ تأثيرٌ كافٍ على المستشفى لجعلهم يصرحون بما لديهم من معلومات بشأن وضع شريكته.

اتجه نحو برات، الذي كان يقف مع رئيسه الكابتن نورونا، رئيس قسم السطو وجرائم القتل.

سألهما: «ما الذي سوف يحصل مع الحفريات؟».

قال برات: «لقد طلبت إلى ريك جاكسون وتيم مارسيا الاتجاه إلى هناك الآن. سيتوليان الأمر».

قال بوش بصوت فيه لهجة احتجاجية ضعيفة: «إنها قضيتي».

قال نورونا: «ليس بعد الآن. ستكون أنت مع فريق إطلاق النار حتى ينتهوا من كل شيء. إنك المحقق الوحيد الذي كان هناك، ولا يزال بمقدوره التحدث عما جرى هناك، وهذا له الأولوية. الحفريات التي تمت عند قبر غيستو ليست ذات أولوية عالية، وباستطاعة مارسيا وجاكسون تولي الأمر».

عرف بوش أن النقاش سيكون عديم الجدوى. كان الكابتن محقاً، بالرغم من وجود أربعة أشخاص آخرين سالمين في مكان إطلاق النار، إلا أن وصف بوش وذاكرته كانا الأكثر أهمية.

حدثت جلبة عند مدخل غرفة الطوارئ عندما تدافع رجال عدة مع كاميرات تلفاز على أكتافهم، واحداً تلو الآخر، للحصول على موقع مناسب للتصوير في كلّ من جهتي الأبواب المزدوجة. عندما انفتحت الأبواب دخلت حاشية يقف في وسطها رئيس قسم الشرطة.

سار رئيس قسم الشرطة نحو مكتب الاستقبال، حيث التقى نورونا.

تحدثا مع المرأة التي رفضت طلب بوش سابقاً، لكنها كانت متعاونة بشكل كامل هذه المرة، حيث رفعت السماعة، وأجرت اتصالاً بشكل فوري. لقد كانت تعرف من يحسب له حساب على ما يبدو.

بعد ثلاث دقائق عبر رئيس جرّاحي المستشفى من أبواب غرفة الطوارئ؛ ليتحدث على انفراد مع رئيس قسم الشرطة. في أثناء عبورهما الأبواب تسلل بوش وانضم إلى مجموعة قادة الطابق السادس ومساعديهم في أعقاب رئيس قسم الشرطة.

«عفواً يا دكتور كيم». صدر صوت من وراء المجموعة.

توقفوا جميعاً واستداروا إلى الوراء. لقد كانت موظفة مكتب الاستقبال. أشارت إلى بوش وقالت: «إنه ليس ضمن المجموعة».

لاحظ الرئيس بوش للمرة الأولى وصحّح لها قائلاً: «إنه ضمن المجموعة بكل تأكيد». تحدث بلهجة أوحت بأنه ما من مجال للنقاش.

بدت موظفة مكتب الاستقبال كمن أُدّبت. تحركت المجموعة إلى الأمام، وقادهم الدكتور كيم إلى قسم خاص بمرضى العناية المشددة غير مستخدم. تجمعوا حول سرير فارغ.

«أيها الرئيس، إنّ ضابطتك...»

«إنها محقّقة».

«عفواً. محقّقتك في غرفة العناية المشددة يعتني بها الطبيبان باتيل وورثينغ. ليس باستطاعتي مقاطعة عنايتهما بالمريضة لإعطائك آخر المستجدات. لذلك فأنا مستعد للإجابة عن أسئلتك جميعها».

«حسناً، هل ستنجو؟». سأل الرئيس بصراحة.

«نعتقد ذلك، لكن هذا ليس السؤال المهم. بل السؤال المهم هو مقدار الضرر الدائم الذي لحق بها، ولن نعرف جواب ذلك قبل بعض الوقت. لقد ألحقت إحدى الرصاصتين ضرراً بأحد الشرايين السباتية. ترسل الشرايين

السباتية الدم والأكسجين إلى الدماغ، نحن حالياً لا نعلم كمية انقطاع ضخهما، أو نوع الضرر الذي حصل».

«أليس هنالك من فحوصات يمكن إجراؤها».

«أجل يا سيدي. مبدئياً، يبدو نشاط الدماغ روتينياً حالياً، وهذه أخبار جيدة جداً حتى الآن».

«هل هي قادرة على الكلام؟».

«ليس في هذا الوقت. تم تخديرها في أثناء العملية، وستبقى لساعات عدة غير قادرة على الكلام إن استطاعت. مع التركيز على إن استطاعت. لن يكون باستطاعتنا تشخيص الحالة حتى مساء اليوم أو الغد. عندما تستيقظ».

هزّ رئيس قسم الشرطة رأسه.

«شكراً لك يا دكتور كيم».

تحرك الرئيس وبدأ الجميع بالمغادرة أيضاً. ثم رجع الرئيس نحو رئيس الجراحين.

قال بصوت منخفض: «يا دكتور كيم، لقد عملت هذه المرأة تحت إدارتي بشكل مباشر في أحد الأوقات، لا أريد خسارتها».

«نحن نبذل قصارى جهدنا يا سيدي. لن نخسرها».

هزّ رئيس قسم الشرطة رأسه. في أثناء سير المجموعة نحو باب غرفة الانتظار، شعر بوش بيد تمسك كتفه.

أدار وجهه ليرى رئيس قسم الشرطة. سحب بوش، وخاض معه نقاشاً خاصاً.

«كيف حالك أيها المحقق بوش؟».

«أنا بخير يا سيدي».

«شكراً لك لإخراجها بشكل سريع».

«لم تبدُ العملية سريعة عندها، إذ إنني لم أكن الشخص الوحيد المسؤول.

كان هنالك عددٌ منا قمنا بالعمل معاً».

«أجل، أعلم ذلك. أوشيا يتحدث لقنوات الأخبار للتو، إنه يخبرهم كيف حملها في الغابة وهو يبالغ في أهمية دوره».

لم يفاجأ بوش بسماع ذلك.

قال رئيس قسم الشرطة: «امشِ معي قليلاً أيها المحقق».

مشيا عبر منطقة الانتظار حتى منطَقة وجود سيارات الإسعاف، لم يتحدث رئيس قسم الشرطة حتى أصبحا خارج المبنى وبعيدين عن آذان الآخرين.

أخيراً قال: «سوف نتضرر قليلاً بسبب ما حصل، إنّ قاتلاً متسلسلاً لعيناً قُبض عليه سابقاً يتجول طليقاً في المدينة. أريد أن أعرف ما الذي حصل على ذلك الجبل أيها المحقق. كيف أصبحت الأمور بهذا السوء؟».

هزّ بوش رأسه نادماً. كان يعرف أنّ ما حصل في وادي بيتشوود هو كانفجار قنبلة أرسلت اهتزازات عبر المدينة والقسم.

أجاب: «إنه سؤال وجيهٌ أيها الرئيس، لقد كنت موجوداً، ورغم ذلك لست متأكداً مما حصل».

وسرد بوش القصة مجدداً.

18

بدأ رجال الشرطة والأخبار شيئاً فشيئاً بمغادرة غرفة الانتظار الخاصة بالطوارئ، وكأنهم خائبو الأمل، لأن كيز رايدر لم تمت. كل شيء سيكون مختلفاً إن ماتت، كالحصول على تسجيل صوتي سريع، أو نقل مباشر ثم الانتقال إلى الموقع التالي، ثم إلى المؤتمر الصحفي التالي. لكنها كانت متماسكة، ولم يتمكنوا من الانتظار. مع مضي الساعات، بدأ عدد الأشخاص في غرفة الانتظار بالتناقص، وكان بوش آخر من بقي. لم تكن رايدر في علاقة عاطفية، وحتى والداها كانا قد غادرا لوس أنجلوس بعد وفاة أختها، فلم يكن هناك أحد غير بوش بانتظار رؤيتها.

قبل حلول الساعة الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم، ظهر الدكتور كيم من خلال الأبواب المزدوجة باحثاً عن رئيس قسم الشرطة، أو إلى أي شخص بزيّ رسمي ذي رتبة أعلى من رتبة المحقق. لكنه لم يجد إلّا بوش الذي كان جاهزاً لتلقي الأخبار.

«إنها بخير. لقد استعادت وعيها، قدراتها غير اللفظية جيدة، إنها لا تتكلم بسبب الضرر في عنقها؛ لذا وصلناها بالأنابيب، لكن المؤشرات كلها تبدو إيجابية. لا إشارات لسكتة قلبية، أو التهاب، كل شيء يبدو جيداً، الجرح الآخر مستقر سنعالجه غداً، لقد خضعت لعمليات جراحية كافية بالنسبة إلى

يوم واحد».

أومأ بوش. غمره شعور عارم بالراحة في داخله. ستنجو كيز.

«هل يمكنني رؤيتها؟».

«لبضع دقائق، كما قلت، إنها غير قادرة على التكلم في الوقت الراهن. تعالَ معي».

تبع بوش رئيس قسم الجراحة بدخوله مرة أخرى عبر الأبواب المزدوجة، عبرا غرفة الطوارئ إلى وحدة العناية المشددة. كانت كيز في الغرفة الثانية إلى اليمين. بدا جسدها صغيراً على السرير، مُحاطاً بالمعدات وأجهزة المراقبة والأنابيب. بدت عيناها شاردتين ولم يبدُ عليهما أيّ تغيير عندما أصبح بوش في مجال رؤيتها. أدرك أنها قد استعادت وعيها بشكل طفيف.

قال بوش: «كيز، كيف حالك يا شريكتي؟».

اقترب منها بوش، وأمسك بيدها السليمة.

«لا تحاولي الإجابة. لم يكن عليّ أن أسألك أي شيء، أردت فقط أن أراكِ، لقد أخبرني رئيس قسم الجراحة للتو أنك ستكونين على ما يرام، ستخضعين إلى إعادة تأهيل، ثم ستصبحين على خير ما يرام».

لم تتمكن من التحدث، أو من إصدار أي صوت بسبب الأنبوب الذي يعبر حنجرتها. لكنها ضغطت على يده، واعتبر بوش ذلك استجابة إيجابية.

سحب كرسياً، وجلس ليتمكن من الاستمرار بإمساك يدها. لم يقل لها الكثير خلال جلوسه بجانبها في النصف ساعة التالية. فقط أمسك يدها في حين ضغطت على يده من وقت إلى آخر.

في تمام الساعة الخامسة والنصف، دخلت ممرضة إلى الغرفة، وأخبرته بوجود رجلين في غرفة الانتظار في قسم الطوارئ يسألان عنه. ضغط بوش على يد رايدر للمرة الأخيرة، وأخبرها أنه سيعود في الصباح.

كان الرجلان اللذان ينتظرانه محققين من فريق إطلاق النار. يدعيان

راندولف وأوساني. كان راندولف هو الملازم المسؤول في الوحدة. حقق في جرائم إطلاق النار على رجال الشرطة لمدة طويلة وكان مشرفاً على التحقيقات في آخر أربع مرات استخدم فيها بوش سلاحه.

اصطحباه إلى سيارتهما ليتمكنوا من التحدث بحرية. سرد بوش قصته بدءاً من مباشرته التحقيق، مع وجود مسجل صوتي في المقعد بجواره.

لم يطرح راندولف أو أوساني أي أسئلة حتى بدأ بوش بسرد القسم المتعلق بالرحلة التي قاموا بها في ذلك الصباح مع ويتس. عند تلك النقطة طرحا العديد من الأسئلة في محاولة واضحة للحصول على الإجابات التي ترافقت مع الخطة المسبقة للقسم للتعامل مع تلك الكارثة. من الواضح أنهما أرادا التأكد من القرارات المهمة، إن لم يكن من القرارات جميعها التي أصدرت من مكتب النائب العام وريك أوشيا. لم يكن هدف القسم من ذلك إعلان أن اللوم في وقوع تلك الكارثة يقع على أوشيا. لكن القسم كان يتحضر للدفاع عن نفسه ضد أي هجوم.

عندما بدأ بوش يتحدث عن اللحظات التي خاضوا فيها النقاش حول نزع أصفاد ويتس لأجل النزول عن السلم، أصرّ راندلوف أن يحصل على اقتباسات دقيقة بالكلمات. علم بوش أنه سيكون آخر من يتم استجوابه من قبلهما. افترض أنهما تحدثا إلى كال كافاريلي، وموريس سوان، وأوشيا، ومصور الفيديو.

عندما انتهى بوش من عرض وجهة نظره حول الأمور سأل: «هل شاهدتما الفيديو؟».

«لا ولكنا سنفعل».

«حسناً، يجب أن يكون كلّ شيء موجوداً عليه. أعتقد أن المصور كان يصور عندما بدأ إطلاق النار. في الحقيقة أود أن أرى ذلك الشريط بنفسي».

قال راندولف: «لأكون صريحاً، لدينا مشكلة في الأمر. يقول كورفن أنه أضاع الشريط في الغابة».

«كورفن هو المصور».

«هذا صحيح، يقول إنه سقط من جيبه عندما كنتم تحملون رايدر على السلم. لم نعثر عليه».

أومأ بوش وقام بالحسابات الذهنية. كورفن يعمل لدى أوشيا، والشريط يُظهر أوشيا يعطي الأوامر إلى أوليفاس بنزع الأصفاد عن ويتس.

قال بوش: «كورفن يكذب. كان يرتدي بنطالاً ذا جيوب كثيرة، أليس كذلك؟ ليحمل المعدات. بنطالاً خاصاً بحمل المعدات. أنا متأكد من رؤيته وهو يخرج الشريط من الكاميرا ويضعه في أحد تلك الجيوب التي تحوي غطاءً على جانب ساقه. كان ذلك الجيب آخر جيب على الجانب الأيسر في نهاية البنطال. لقد رأيت ذلك. لكن الشريط لم يسقط لأنه أغلق الجيب. الشريط بحوزته».

أومأ راندولف، وكأنه توقع كل ما قاله بوش عن الوضع، كما لو كان الكذب على وحدة مفتشي إطلاق النار شيئاً طبيعياً.

قال بوش: «يُظهر الشريط أوشيا وهو يأمر أوليفاس بنزع الأصفاد. لا يريد أوشيا أن يتم عرض ذلك الشريط في الأخبار أو أن يصل إلى أيدي شرطة قسم لوس أنجلوس خلال سنة الانتخابات أو أية سنة أخرى. لذا فهذه قضية تدور حول إن كان كورفن يحتفظ بالشريط ليحتال على أوشيا أو أن أوشيا قد أمره بإخفاء الشريط. إنني أراهن على الخيار الثاني».

لم يزعج راندولف نفسه بهز رأسه.

قال عوضاً عن ذلك: «حسناً، دعنا نراجع الأمر مرة أخرى من البداية، ثم سنخرجك من هنا».

قال بوش: «بالطبع، كما تشاء».

انتهى بوش من سرد الحادثة للمرة الثانية قبل حلول الساعة السابعة، وسأل راندولف وأوساني إن كان بإمكانهما العودة به إلى باركر سنتر حتى

يتمكن من استعادة سيارته.

في طريق العودة، لم يناقش رجلا فريق إطلاق النار التحقيق.

شغل راندولف المذياع على محطة كي إف دبليو بي في وقت الذروة، واستمعوا إلى أخبار بيتشوود، وآخر مستجدات البحث عن راينارد ويتس.

كان التقرير الثالث يتحدث عن ظهور تداعيات سياسية لهذا الفرار. إن كانت الانتخابات بحاجة إلى خدمة فقد قدمها بوش ورفاقه. كان الجميع، بدءاً من مرشحي مستشار المدينة إلى خصم أوشيا، ينتقدون الطريقة التي تعامل بها محامي المقاطعة وقسم شرطة لوس أنجلوس مع تلك الرحلة الكارثية. لجأ أوشيا إلى عزل نفسه عن احتمال إبعاده عن الانتخابات بنشر بيان يوضح بأنه كان مجرد مراقب على تلك الرحلة، وأنه لم يكن له أي دور في اتخاذ أي قرار يخص أمن المتهم أو نقله. وقال إنه اعتمد على شرطة لوس أنجلوس لفعل ذلك. تضمن التقرير التنويه بشجاعة أوشيا في تقديم المساعدة لمحققة شرطة مُصابة، وإحضارها لتحصل على المساعدة في حين قام الفار المسلح بالهروب في غابات الوادي.

بعد أن سمعوا بما فيه الكفاية، أغلق راندولوف المذياع.

قال بوش: «ذلك الشخص أوشيا يعرف الأجوبة جميعها. سيكون نائباً عاماً رائعاً».

قال راندولف: «بلا شك».

تمنى بوش لرجلي فريق إطلاق النار ليلة سعيدة في موقف السيارات خلف باركر سنتر، ثم سار بجانب مركز دفع نقود حيث حجز مرأب سيارات ركن فيه سيارته. أنهكت الأحداث قواه، لكن لم يكن يفصله عن غروب الشمس سوى ساعة واحدة. قاد سيارته على الطريق السريع باتجاه بيتشوود كانيون. أوصل هاتفه بالشاحن لأن بطاريته أوشكت على النفاد، واتصل بريتشل والينغ التي كانت قد وصلت إلى منزله.

قال: «سيأخذ الأمر وقتاً. إنني في طريقي إلى بيتشوود».

«لماذا؟».

«لأنها قضيتي. وهم هناك الآن يعملون عليها».

«هذا صحيح، يجب أن تكون هناك».

لم يجب، اكتفى بالإصغاء إلى الصمت بعد ذلك. لقد كان مريحاً.

أخيراً قال: «سآتي إلى المنزل حالما أستطيع».

أنهى بوش المكالمة في الوقت الذي كان يخرج فيه من الطريق السريع عند غاور، بعد دقائق كان يتجه نحو طريق بيتشوود. قرب القمة انعطف عندما التقى بعربتين في طريقهما إلى الأسفل. تعرف إليهما؛ كانت إحداهما عربة نقل جثث، والأخرى عربة قسم الأدلة الجنائية التي وُضع السلم عليها. شعر بوجود فراغ في صدره. أدرك أنهم كانوا في طريق عودتهم من موقع الحفر. وأن جثة ماري غيستو في العربة الخاصة بنقل الجثث.

عندما وصل إلى مرأب السيارات رأى مارسيا وجاكسون، المحققين اللذين أوكلت إليهما مهمة إنجاز الحفر، كانا يخلعان بذلتيهما اللتين ارتدياها فوق ملابسهما، ورميا بهما إلى مقطورة سيارتهما المفتوحة. كانا قد أنهيا عملهما لليوم، ركن بوش سيارته إلى جانبهما وخرج.

سأله مارسيا مباشرة: «كيف حال كيز يا هاري؟».

«يقولون إنها ستكون بخير».

قال جاكسون: «يا لها من فوضى، أليس كذلك؟».

أومأ بوش.

«ما الذي وجدتماه؟».

قال مارسيا: «لقد عثرنا عليها، أو بالأحرى عثرنا على رفاتها، يجب إجراء فحص تعريفي للأسنان. لديك سجل أسنانها، أليس كذلك؟».

«يوجد الملف على طاولة مكتبي».

«سنحصل عليه، ونأخذه إلى ميشن».

كان مكتب الطب الشرعي على طريق ميشن. سيقوم أحد الأطباء الشرعيين ممن لديهم خبرة بالأسنان بالمقارنة بين صور الأشعة الخاصة بأسنان ماري غيستو والأسنان التي تم أخذها من الجثة التي نبشوا رفاتها من البقعة التي قادهم إليها ويتس في ذلك الصباح.

أغلق مارسيا مقطورة السيارة وحدق وزميله إلى بوش.

سأله جاكسون: «هل أنت على ما يرام؟».

قال بوش: «كان يوماً متعباً».

عقّب مارسيا: «حسب ما سمعت، قد يصبح متعباً أكثر، حتى يقبضوا على ذلك الرجل».

أومأ بوش. فهو يعلم أنهما أرادا معرفة كيفية حصول الأمر. شرطيان ميتان، وشرطي آخر في وحدة العناية المشددة. لكنه كان مُتعباً من معاودة سرد القصة.

قال: «لا فكرة لديّ عن طول المدة التي سأكون مشغولاً فيها. سأحاول أن أكون متفرغاً في الغد، لكن وكما يبدو أن الأمر لا يتعلق بي فحسب. على أية حال، إن تم التأكد من هوية الجثة، فسأقدّر جميلك إن جعلتني أنا من يخبر والديها. إنني على تواصل معهما منذ ثلاث عشرة سنة. إنهما يحبذان أن يسمعا الخبر مني. أريدهما أن يسمعا الخبر مني».

قال مارسيا: «لك ما تشاء يا هاري».

أومأ جاكسون: «في الحقيقة لن يزعجني بتاتاً عدم إعلامي لهما».

تحدثوا لدقائق، ثم نظر بوش نحو الأعلى، وخمن الوقت من ضوء الشمس. سيكون طريق الغابة قد غرق في الظلام في هذا الوقت. سألهما إن كان معهما مصباح يدوي في السيارة ليستعيره. وعدهما «سأعيده في الصباح» بيد أن الجميع كان يعلم بأنه من الممكن ألّا يعود في اليوم التالي.

قال مارسيا: «لا يوجد سلّم في الغابة يا هاري. لقد أخذه فريق الأدلة معه».

هز بوش كتفيه، ونظر إلى بنطاله الملطخ بالوحل وحذائه.

قال: «لقد اتسختُ قليلاً».

ابتسم مارسيا وهو يفتح المقطورة ويلتقط المصباح اليدوي الثقيل. قال وهو يعطي بوش المصباح: «هل تريدنا أن نبقى في الجوار؟ قد تنزلق هناك وتكسر كاحلك، فلن يكون هناك أحد سواك والذئاب البرية طوال الليل».

«لا، سأكون على ما يرام. هاتفي النقال معي على أية حال، وأنا أحب الذئاب البرية».

«كن حذراً».

أومأ بوش في أثناء صعودهما إلى سيارتهما، وذهبا بعيداً.

تحقق بوش من السماء مجدداً، واتجه نحو الطريق الذي قادهم عبره ويتس في الصباح. اقتضى الأمر خمس دقائق ليصل إلى المكان الذي حصل فيه إطلاق النار. أضاء المصباح اليدوي، وسلّط الضوء على المنطقة لدقائق. لقد تم سحق المكان من قبل العاملين في الطب الشرعي، والمحققين من فريق إطلاق النار. لم يكن هناك شيء ليراه. أخيراً، انزلق على المنحدر مستخدماً جذر الشجرة نفسه الذي استعان به ليصعد في الصباح. وصل خلال دقيقتين إلى المنطقة الخالية من الأشجار، التي كانت محاطة الآن بالأشرطة الصفراء الخاصة بالشرطة من أول شجرة عند الحافة حتى آخر شجرة. كان في وسط حفرة على شكل مستطيل تُظهر عمل الحفريات بعمق أربع أقدام تقريباً.

انحنى بوش تحت الشريط الخاص بالشرطة، ودخل منطقة الحفر التي يعتبرها بوش الأرض المقدسة للموتى المخبئين.

القِسْمُ الثّالِث

الأرض المقدسة

19

فـي الصبـاح، بينمـا كان بوش يعدُّ القهوة له ولريتشـل تلقّى اتصالاً. كان المتصل أبل برات.

«لن تأتي يا هاري. لقد سمعت بالخبر للتو».

كان بوش يتوقع حدوث ذلك.

«مِمّن؟».

«الطابـق السـادس. لـم ينتـهِ فريـق إطلاق النار من الأمـر؛ لأن القضية ما زالت حامية في الإعلام، يريدون منك أن تهدئ الأمور في الكواليس لبضعة أيام حتى يروا كيف ستجري الأمور».

لم يقل بوش شـيئاً. كان الطابق السـادس مكان وجود قسـم الإدارة. وإن كلمـة «هـم» التـي قالها برات كانـت تعني مجموعة من القادة المفكرين الذين يصبحـون مجمديـن فـي حـال وصـول قضية ما إلـى التلفزيـون أو إلى رجال السياسـة، وهـذه القضيـة وصلـت إلـى الجانبيـن. لـم يكن بـوش متفاجئاً من الاتصال، بل شعر بالخيبة. كلما ازداد تغير الأمور، بقيت على حالها.

سأله برات: «هل شاهدت الأخبار الليلة الماضية؟».

«لا، أنا لا أشاهد الأخبار».

«ربما يجدر بك البدء بمشـاهدتها، يسـتخدم إيرفين إيرفينغ هذه القضية

لحصد أصوات الانتخابات، وقد ركّز عليك بالاسم. ألقى خطاباً ليلة البارحة في القسم الجنوبي، يقول فيه إنّ تعيينك كان بمنزلة دليل على عدم كفاءة رئيس قسم الشرطة، وفساد أخلاق القسم. لا أعلم ما الذي فعلته لذلك الرجل لكنه حاقد عليك بشدة. فساد أخلاقي، يبدو أنّ وقت المجاملة قد انتهى».

«أجل، قريباً سيضعون اللوم عليّ لإصابته بالبواسير أيضاً، هل سيهمشني من في الطابق السادس كردّ فعل على خطابه أو بسبب تحقيق فريق إطلاق النار؟».

«هيا يا هاري، أتظن أنهم سيطلعونني على ما يجري في تلك المحادثة؟ لقد تلقيت اتصالاً للتو يطلب إليّ أن أخبرك، هل فهمت؟».

«أجل».

«فكّر في الأمر من هذه الناحية، بعد محاولة إيرفينغ إلقاء اللوم عليك بهذا الشكل، فإنّ آخر شيء سيفعله رئيس قسم الشرطة هو أن يطردك، لأن طردك سيظهر وكأن إيرفينغ على حق. لذا؛ كما أفهم الأمر، سيحسبون كل خطوة قبل إقفال القضية. استمتع بإقامتك في المنزل وابقَ على اتصال».

«أجل، وما الذي عرفته بشأن كيز؟».

«لا يجب أن يقلقوا بشأن قضاء وقتها في المنزل. لن تذهب إلى أي مكان».

«ليس هذا ما أعنيه».

«أعلم ما تعنيه».

«و».

الأمر أشبه بإزالة اللاصقة التي تحمل اسم الشركة عن علبة البيرة، لا يمكن نزعها بالكامل من محاولة واحدة.

«أظن أن كيز ستقع في بعض المشاكل. كانت في الأعلى مع أوليفاس عندما فعل ويتس ما فعله. السؤال هو، لماذا لم تقضِ عليه عندما سنحت لها

الفرصة؟ يبدو الأمر وكأنها تجمدت في مكانها يا هاري، وهذا يعني أنه قد يلحق بها بعض الأذى».

أومأ بوش، بدا تحليل برات السياسي عن الوضع صحيحاً، ما جعل بوش يشعر بالسوء. رايدر الآن تناضل لتبقى على قيد الحياة، لكن لاحقاً سيتحتم عليها أن تناضل من أجل الحفاظ على عملها. يعلم أنه بغض النظر عن كل شيء فسيكون إلى جانبها طوال الوقت.

قال: «حسناً، هل من أخبار عن ويتس؟».

«لا شيء يا رجل، إنه حرٌّ طليق. ربما هو في المكسيك الآن، إن كان هذا الرجل يعرف مصلحته فلن يظهر من جديد».

لم يكن بوش واثقاً من ذلك، لكنه لم يظهر معارضته للأمر. شيء ما، ربما غريزته، كانت تخبره بأن ويتس متوارٍ عن الأنظار، أجل، لكنه لم يكن بعيداً. تذكر قطار أنفاق ريد لاين الذي اختفى فيه ويتس، ومواقفه المتعددة بين هوليوود ومركز المدينة. تذكر أسطورة الثعلب رينارد والقلعة السرية.

قال برات: «يجب أن أذهب يا هاري. هل أنت بخير؟».

«أجل بخير. شكراً لإخباري بكل هذا».

«حسناً يا صاحبي، فعلياً يجب أن تتصل بي كل يوم إلى أن نتلقى أمر عودتك إلى عملك».

«لك هذا». أغلق بوش الهاتف.

دخلت ريتشل المطبخ بعد دقائق، فسكب القهوة في الفنجان الذي حصلت عليه مع سيارتها الليكسس التي اشترتها عندما انتقلت إلى لوس أنجلوس؛ لقد أحضرت الفنجان معها في الليلة الماضية. ارتدت ملابسها لتذهب إلى العمل.

قال: «ليس لديّ شيء هنا لنتناوله على الفطور، بإمكاننا أن نذهب إلى دو بار إن كان لديكِ متسع من الوقت».

«لا، لا بأس. يجب أن أذهب».

فتحت مغلف تحلية بديل عن السكر، ووضعته في القهوة، وفتحت باب الثلاجة، وأخرجت علبة الحليب التي أحضرتها معها في الليلة الماضية أيضاً. ثم أضافت مبيضاً للقهوة، ووضعت الغطاء على الفنجان.

سألته: «ما فحوى الاتصال الذي تلقيته؟».

«إنه مشرفي في العمل. لقد أوقفت عن العمل حتى ينتهي كل هذا».

«أوه يا عزيزي...». تقدمت إليه وعانقته.

«بيد أنّ هذا مجرد روتين. إن السياسة والإعلام يفرضان عليّ هذا الوضع. سأكون في نقاهة حتى ينتهي فريق إطلاق النار من جلاء الأمور وإظهار براءتي إثر الأخطاء التي ارتكبت».

«ستكون على ما يرام».

«إنني على ما يرام».

«ماذا ستفعل؟».

«لا أدري، النقاهة لا تعني البقاء في المنزل. سأذهب إلى المستشفى، وأرى هل سيسمحون لي بقضاء بعض الوقت مع شريكتي، سأرى إلى أين سيقودني التيار بعد ذلك».

«هل تريد أن نتناول الغداء؟».

«أجل، بالطبع، تلك فكرة جيدة».

بسرعة شعرا بتلك الراحة المنزلية التي يحبها بوش، كانا متفاهمين، وكأنهما ليسا بحاجة إلى التواصل عن طريق الكلام.

قال: «أنا بخير. اذهبي إلى عملكِ، سأحاول أن آتي إليكِ وقت الغداء. سأتصل بكِ».

«حسناً، سنتكلم لاحقاً».

قبّلته على خده قبل أن تغادر عبر باب المطبخ إلى مرأب السيارة. أخبرها

في وقت سابق أن تستخدم المساحة في مرأب السيارة في الأيام التي تحضر فيها لتبقى معه.

احتسى بوش فنجان القهوة في الباحة الخلفية وهو يشاهد ممرّ كاوينجا. كانت السماء صافية بعد هطول المطر منذ يومين، سيكون هذا يوماً جميلاً آخر في الجنة.

قرر الذهاب وحده إلى دو بار لتناول الفطور قبل أن يتجه إلى المستشفى ليطمئن على كيز. سيشتري الصحف، ويقرأ التقارير المكتوبة فيها عن أحداث اليوم الماضي ثم يحضرها إلى كيز، وقد يقرأ لها الأخبار إن أرادت.

عاد إلى الداخل، وقرّر البقاء بالبذلة التي كان يرتديها في الصباح بالإضافة إلى ربطة العنق، قبل أن يتلقى تلك المكالمة من برات.

إن كان في نقاهة أم لا فإنه سيظهر ويتصرف كمحقق. على أيّة حال، اتجه نحو الخزانة في غرفة النوم، وسحب صندوقاً من الرف العلوي، يحتوي على نسخ من مستندات القضايا التي نسخها منذ أربع سنوات، عندما تقاعد. بحث في أكوام الأوراق حتى عثر على نسخة من ملف جريمة ماري غيستو. ستكون النسخ الأصلية عند جاكسون ومارسيا بما أنهما المسؤولان عن التحقيق الآن. قرر أخذ النسخة معه في حال احتاج إلى قراءة شيء خلال زيارته لرايدر، أو في حال اتصل جاكسون أو مارسيا ليسألاه عن شيء.

قاد سيارته إلى أسفل التلة، ثم صعوداً إلى بوليفارد فينتورا، واتجه بمحاذاة غرب ذلك الطريق إلى سيتي ستوديو. عند وصوله إلى دو بار اشترى صحيفتي لوس أنجلوس تايمز وديلي نيوز من الرفوف الموجودة أمام المطعم، ثم دخل وطلب شطيرة الخبز الفرنسي المحمص والقهوة.

كانت قصة بيتشوود كانيون على الصفحة الأولى في كلتا الصحيفتين. عُرضت صور راينارد ويتس بالألوان، وروت المقالات أحداث مطاردة القاتل المخبول، وأدرجت تشكيلة وحدة قسم شرطة لوس أنجلوس، ورقماً

للاتصال المجاني مخصصاً لمن يعثر على ويتس. من الواضح أن محرري الصحيفتين اعتقدا أن ذلك الجانب من الحادثة قد يهم القراء أكثر؛ وبالتالي يحصلون على مبيعات أكثر من مقاربتهم للموضوع من خلال قولهم «مقتل شرطيين وجرح ثالث في أثناء أدائهم لواجبهم».

احتوت المقالات على معلومات تم الإفصاح عنها في المؤتمرات الصحفية العديدة التي عُقدت بالأمس، وتفاصيل قليلة جداً عما حدث حقاً في الغابة عند قمة بيتشوود كانيون. وفقاً لما ترويه المقالات؛ فالقضية الآن قيد التحقيق ويحافظ المحققون على سرية المعلومات. كانت السير الذاتية للمحققين اللذين أطلق عليهما الرصاص والشرطي دولان ناقصةً في أحسن الأحوال. وكان لدى كلا الرجلين اللذين قتلهما ويتس عائلة. أما المحققة التي أصيبت، كيزمان رايدر، فقد انفصلت عن «شريكة حياتها»- كلمة سرية للتعبير عن أنها كانت مثلية. لم يتمكن بوش من التعرف إلى أسماء مقدمي التقارير الموجودة في المقالات، واعتقد أنهم كانوا حديثي التعامل مع الشرطة، ولم تكن لديهم أي مصادر قريبة من التحقيق للحصول على معلومات من الداخل.

قرأ في صفحات التكملة من كلتا الصحيفتين مقالات مكتوبة في أعمدة جانبية تدور حول التحليل السياسي لإطلاق النار والفرار. احتوت هذه الصفحات أيضاً على اقتباسات نقاد محليين، كان فحوى معظمها أن الوقت لا يزال باكراً لمعرفة إن كانت هذه الحادثة ستساعد، أو ستعيق، ترشح ريك أوشيا لمنصب النائب العام.

بالرغم من أن قضيته كانت قد أخفقت بشكل هائل، إلا أن التقارير التي أفادت بجهوده الإنسانية لمساعدة المحققة المصابة وإنقاذها في أثناء وجود قاتل مسلح فار في الغابة نفسها، انعكست عليه بشكل إيجابي.

قال أحد النقاد: «في هذه المدينة، السياسة تشبه صناعة الأفلام، لا أحد يعلم أي شيء. قد يكون هذا أفضل ما حصل مع أوشيا، أو قد يكون الأسوأ».

بالطبع، إنّ خصم أوشيا، غابرييل ويليامز، الذي اقتُبست أقواله بحرية في كلتا الصحيفتين، وصف تلك الحادثة بالخطأ الذي لا يُغتفر، وألقى بكامل اللوم على عاتق أوشيا. فكّر بوش في شريط الفيديو المفقود، وتساءل عن أهميته لحملة ويليامز. وفكر، أن كورفن، مصور الفيديو، قد أدرك ذلك الأمر أيضاً.

في كلتا الصحيفتين هاجم إيرفين إيرفينغ بوش، وقال: إنه مثال واضح على فساد قسم الشرطة، وبأنه كعضو في مجلس المدينة سيصلح هذا الفساد، وقال: ما كان يجدر إعادة تعيين بوش في القسم في السنة الماضية، وبأنه عندما كان إيرفينغ يعمل نائباً لرئيس القسم في ذلك الوقت عارض ذلك بقوة. وذكرت الصحيفتان أن فريق إطلاق النار في القسم كان يحقق مع بوش، وأنهم لم يتمكنوا من الوصول إليه لأخذ التصريحات. لم يتم التنويه بأن فريق إطلاق النار يحقق بشكل دوري مع جميع أطراف أي حادثة متعلقة بإطلاق النار على أفراد شرطة، لذا بدا ما تم تقديمه إلى العامة غير طبيعي ومشكوكاً بأمره.

لاحظ بوش أن العمود الجانبي في صحيفة التايمز كُتب من قبل كيشا راسل، التي عملت مراسلة متابعة لأخبار الشرطة لسنوات قبل أن تصل أخيراً إلى مرحلة من الإرهاق دفعتها للبحث عن مجال جديد. استقرت في مجال السياسة؛ مجال آخر معروف عنه بأنه مرهق جداً. كانت قد أجرت اتصالاً ببوش، وتركت له رسالة الليلة الماضية، لكنه لم يكن في مزاج يسمح له بالتحدث مع أي مراسل، حتى مع المراسلين الذين يثق بهم.

لا تزال أرقامها محفوظة في هاتفه المحمول. كان بمنزلة مصدر للمعلومات لها في كثير من الأحيان في أثناء عملها، وكانت تقدم له المساعدة رداً على ذلك. وضع الصحيفتين جانباً، وقضم أولى قضماته من الشطيرة الفرنسية. كان فطوره يحتوي على السكر وشراب القيقب، وأدرك أن ارتفاع معدل السكر سيمدّه بالطاقة طوال اليوم.

بعد انتهائه من نصف الوجبة، أخرج هاتفه المحمول واتصل بالمراسلة. أجابت مباشرة.

قال: «أنا هاري بوش يا كيشا».

ردت عليه: «هاري بوش، لقد مضى وقت طويل».

«أجل، أصبحت الآن شخصاً مهماً في المشهد السياسي...».

«آه، إن السياسة والشرطة التقتا في تصادم عنيف، أليس كذلك؟ لماذا لم تعاود الاتصال بي البارحة؟».

«كما تعرفين، لا يمكنني الإدلاء بأي تعليق حول تحقيق جارٍ، خاصة إذا كنت جزءاً منه، إضافة إلى أنك اتصلتِ بعد أن نفدت بطارية هاتفي، لم تصلني رسائلك إلى أن وصلت المنزل، وكان ذلك متأخراً».

قالت، وهي تضع المزاح جانباً لتتكلم بجدية: «كيف حال شريكتك؟».

«متماسكة».

«وأنت لم تصب بأذى كما كُتب في التقرير؟».

«جسدياً لا».

«وسياسياً؟».

«بلى».

«حسناً، إن القصة موجودة في الصحف مسبقاً. إنّ اتصالك الآن للإدلاء بأي تعليق أو الدفاع عن نفسك لا يجدي نفعاً».

«لم أتصل لأدلي بتعليق أو لأدافع عن نفسي، لا أحب ذكر اسمي في الصحف».

«آه، لقد فهمت. تُريد ألّا يتم ذكر اسمك وأن تكون المُخبر الخاص بي في هذا».

«ليس تماماً».

سمعها تصدر زفير شخص أُحبط.

«إذن، لماذا تتصل يا هاري؟».

«أولاً: أحب سماع صوتك دائماً يا كيشا، وأنتِ تعلمين ذلك، وثانياً: على الصعيد السياسي، لديكِ على الأرجح تواصل مباشر مع المرشحين جميعهم. كما تعلمين، من أجل الحصول على تعليق سريع بشأن أي حدث يحصل خلال اليوم. أليس كذلك؟ كما حصل البارحة».

ترددت قبل أن تجيب، وهي تحاول أن تُخمن إلى أين سيصل في هذا.

«أجل، إننا معروفون بأنه يمكننا التواصل مع الناس عندما يتحتم علينا الأمر. ما عدا محققي شرطة كانتانكيروس فهم يشكلون مشكلة لنا في بعض الأحيان».

ابتسم بوش، وقال: «تماماً وهو السبب الذي اتصلت لأجله. أريد الرقم الذي يجعلني في تواصل مباشر مع إيرفين إيرفينغ».

هذه المرة كان الصمت أطول.

«لا أستطيع إعطاءك ذلك الرقم يا هاري، لقد ائتمنني على الرقم وإن علم أنني أعطيتك...».

«هيا، إنه مؤتمن معك ومع كل مراسل يغطي الحملة، وأنتِ تعلمين ذلك. لن يعلم من أعطاني الرقم إن لم أخبره، وأنا لن أخبره. أنتِ تعلمين، بإمكانك أن تثقي بي عندما أقول هذا».

«ومع ذلك، لن أشعر بالراحة لإعطائك الرقم من دون موافقته، يمكنني الاتصال به، وسؤاله إن كان بإمكاني...».

«لن يرغب في التكلم معي يا كيشا. وهذا هو بيت القصيد. لو أراد التحدث إليّ يمكنني أن أترك له رسالة في مقر الحملة... بالمناسبة، أين يقع المقر؟».

«في بروكستون ويستوود. لاأزال أشعر أنه لا يجدر بي إعطاؤك الرقم».

التقط بوش بسرعة صحيفة الديلي نيوز، التي كانت مفتوحة على الورقة

التي تحتوي على قصة التداعيات السياسية. قرأ السطر الذي كُتب فيه اسم الكاتب.

«حسناً، ربما قد تتمكن سارة وينمان أو دوين سويرسنزكي من إعطائي الرقم، قد يرغبان في الحصول على مكافأة مالية من شخص متورط في هذا الأمر».

«حسناً يا بوش، حسناً، لا داعي لأن تتحدث إليهما. أنا لا أصدق ما تفعله».

«أريد أن أتحدث مع إيرفينغ».

«حسناً، لكن لا تقل من أين حصلت على الرقم».

«بالطبع».

أعطته الرقم، وحفظه في ذاكرته.

وعدها أن يعاود الاتصال بها في حال حصوله على معلومات جديدة بخصوص حادثة بيتشوود كانيون.

أصرّت وقالت: «وحتى لو لم يكن للأمر علاقة بالسياسة.. أي شيء يتعلق بالقضية.. اتفقنا؟ لا يزال بإمكاني كتابة مقال عن الشرطة إن كنت أنا من يحصل على القصة».

«لكِ هذا يا كيشا. شكراً».

أنهى المكالمة، وترك نقوداً من أجل الفاتورة وبعض الإكرامية على الطاولة. فتح هاتفه من جديد في أثناء خروجه من المطعم وطلب الرقم الذي أعطته إياه كيشا للتو.

أجاب إيرفينغ بعد ست رنات من دون أن يعرف عن نفسه.

«إيرفين إيرفينغ».

«أجل، مَن معي؟».

«أردت فقط أن أشكرك على إثبات صحة ما أفكر فيه بشأنك طوال

الوقت. إنك مجرد سياسـي انتهازي ورجل عديم المنفعة، هذا ما كنتَ عليه في أثناء عملك في القسم وما أنتَ عليه الآن عند خروجك منه».

«هل أنت بوش؟ هاري بوش؟ من أعطاك هذا الرقم؟».

«أحد رجالك. أعتقد أن أحداً ما ضمن حملتك لم تعجبه الرسـالة التي تنشرها».

«لا تقلـق بشـأن هـذا يـا هـاري. لا تقلق بشـأن أي شـيء، حالمـا أُعيّن، بإمكانك عدّ الأيام التي...»

«لقد وصلت الرسالة».

أنهى بوش المكالمة. شعر بالارتياح لقول ما قد قاله للتو، ولأنه لم يقلق بشـأن كون إيرفينغ ضابطاً أعلى رتبة منه باسـتطاعته أن يقول ويفعل ما يشـاء دون محاسبة من قِبَل من قام بإهانتهم.

صعد بوش إلى سيارته، واتجه إلى المستشفى وهو سعيد بهذا الرد على المقالات التي كُتبت في الصحف.



20

سار بوش بمحاذاة امرأة كانت قد خرجت للتو من غرفة كيز رايدر أثناء عبوره رواق وحدة العناية المشددة. تمكن من التعرف إلى أنها شريكة رايدر السابقة. تعرفا إلى بعضهما بشكل موجز عندما صادف بوش رايدر في مهرجان بلي بوي جاز في هوليوود باول.

أومأ بوش إلى المرأة التي عبرت بجانبه، لكنها لم تتوقف لتتحدث إليه. طرق باب غرفة رايدر طرقة واحدة ودخل. باتت شريكته بصحة أفضل مما كانت عليه في اليوم السابق، لكنها لا تزال بعيدة عن كونها بصحة تامة. كانت في وعيها ومُدركة دخول بوش غرفتها، وتتبعته عيناها إلى جانب سريرها. لقد أزالوا الأنبوب الذي أقحموه في حنجرتها لكن الجانب الأيمن من وجهها كان متدلياً، وخشي أن تكون قد تعرضت لجلطة خلال الليل.

قالت بكلمات بطيئة ومتقطعة: «لا تقلق، لقد خدروا عنقي، نصف وجهي مُخدر أيضاً».

ضغط على يدها، وقال: «حسناً، باستثناء ذلك كيف تشعرين؟».

«لا أشعر بخير. إنه مؤلم. مؤلم كثيراً».

أومأ. «أجل».

«سأخضع لجراحة في يدي بعد ظهر اليوم. سيكون الأمر مؤلماً أيضاً».

«لكنك ستكونين في طريقكِ إلى التعافي وإعادة التأهيل، وتلك الأمور الجيدة كلها».

«آمل ذلك».

بدت مكتئبة، ولم يعلم بوش ماذا عليه أن يقول.

قبل أربع عشرة سنة، عندما كان في عمرها. استيقظ بوش في المستشفى بعد إصابته بعيار ناري في كتفه اليسرى. مازال يتذكر صرخات الألم التي كان يصرخها في كل مرة كان يزول فيها مفعول مسكن الألم.

قال: «أحضرت الصحف. هل تريدين أن أقرأها لكِ؟».

«أجل، ما من أخبار جيدة على ما أعتقد».

«لا، ما من أخبار جيدة».

حمل صحيفة التايمز على الصفحة الأولى لتتمكن من رؤية صورة وجه ويتس. ثم قرأ القصة الرئيسة والعمود الجانبي، ونظر إليها عندما انتهى. بدت بائسة.

«هل أنتِ بخير؟».

«كان عليك أن تتركني يا هاري، وأن تطارده».

«ما الذي تتحدثين عنه؟».

«في الغابة. ربما كنت ستمسك به عوضاً عن إنقاذي. انظر الآن للمأزق الذي أنت فيه».

«توجب عليّ فعل ذلك يا كيز. كل ما استطعت أن أفكر فيه هو إيصالك إلى المستشفى. ينتابني شعور بالذنب حول كل شيء».

«ما الشيء الذي تشعر بالذنب بخصوصه بالضبط؟».

«كثير من الأشياء. عندما عدت من تقاعدي، جعلتك تتركين مكتب رئيس القسم، وتصبحين شريكتي من جديد. ما كنتِ هناك البارحة لو...».

«آه، اسكت رجاءً!».

لا يتذكر بوش سماعها تستخدم تلك اللغة في الحديث معه طوال حياتها. لكنه فعل ما طلبته إليه.

قالت: «اسكت. لا مزيد من هذا، ماذا أحضرت لي أيضاً؟».

رفع بوش نسخة ملف جريمة غيستو.

«لا شيء. أحضرت هذا لي. لأقرأه عندما تنامين، إنها نسخة من ملف غيستو، نسختها عندما تقاعدت».

«ماذا ستفعل بها؟».

«كما قلت، سأقرأها فقط. لا أزال أعتقد أنه فاتنا شيء ما».

«فاتنا؟».

«فاتني. شيء ما فاتني. لقد كنت أستمع مراراً وتكراراً لشريط كولتران ومونك يعزفان معاً في قاعة كارنيجي مؤخراً. كان الشريط هناك في قاعة كارنيجي لمدة خمسين عاماً حتى عثر عليه أحدهم. المؤكد أن الشخص الذي عثر عليه كان يعرف عزفهما ليدرك ما كان يوجد في ذلك الصندوق في الأرشيف».

«وما علاقة هذا الأمر بالقضية؟».

ابتسم بوش، كانت رايدر مستلقيةً في سرير مستشفى، ومصابة بعيارين ناريين، ولا تزال تهزأ منه.

«لا أدري، أعتقد أن هناك شيئاً مفقوداً، وأنني الشخص الوحيد القادر على إيجاده».

«حظاً موفقاً. لم لا تجلس على الكرسي وتقرأ ملفك؟ أظنني سأخلد للنوم قليلاً».

«حسناً يا كيز، سأكون هادئاً».

سحب الكرسي ووضعه في مكان قريب من السرير وجلس عندما تحدثت مرة أخرى.

«لن أعود يا هاري».

نظر إليها. لم يكن ذلك ما أراد سماعه لكنه لم يعترض، على الأقل لن يعترض الآن.

«كما تشائين يا كيز».

«زارتني شيلا منذ بعض الوقت، شاهدت الأخبار وأتت. قالت إنها ستعتني بي حتى أصبح بحال أفضل، لكنها لا تريدني أن أعود للعمل مع الشرطة».

فسّر ذلك عدم حديثها مع بوش عندما عبرت بجانبه في الرواق.

«لقد كان عملي نقطة خلاف دائمة بيننا».

«أذكر أنك أخبرتني عن هذا الأمر. اسمعي، ليس عليك إخباري بهذه الأمور حالياً».

«الأمر لا يتعلق بشيلا وحسب، بل يتعلق بي أيضاً، لا يجدر بي أن أكون شرطية، لقد أثبتت ذلك البارحة».

«ما الذي تتحدثين عنه؟ إنك من أفضل أفراد الشرطة الذين أعرفهم».

رأى دمعة تسيل على خدها.

«لقد تجمّدت في مكاني يا هاري. لقد تجمّدت... وأتحت له إطلاق النار عليّ».

«لا تفعلي هذا بنفسك يا كيز».

«لقد مات الرجلان بسببي. عندما أمسك بأوليفاس لم أستطع الحراك. اكتفيت بالمشاهدة. كان عليّ إطلاق النار عليه، لكنني وقفت هنالك من دون فعل أي شيء. وقفت هنالك وأتحت له إطلاق النار عليّ تالياً. عوضاً عن رفع سلاحي، قمت برفع يدي».

«لا يا كيز، لم يكن موقعك يسمح لك بإطلاق النار. لو قمتِ بذلك كنت على الأرجح ستصيبين أوليفاس أيضاً. كان الوقت قد فات».

أمِل أنها فهمت بأنه يخبرها بما يتوجب عليها قوله لوحدة إطلاق النار عند قيامهم بالتحقيق معها.

«لا، عليّ أن أتحمل مسؤولية ما فعلت. أنا...»

«إن كنت تريدين الاستقالة فلا بأس بذلك، سأدعمك بشكل كامل. لكنني لن أدعمك بخصوص هذا الهراء الذي تتفوهين به. أتفهمين؟».

حاولت أن تدير وجهها بعيداً عنه، لكن الضمادات الموجودة على عنقها منعتها من الالتفاف.

قالت: «حسناً».

انهمرت الدموع من عينيها، وكان بوش يعلم بوجود جروح في داخلها أعمق من تلك الموجودة على يدها وعنقها.

قالت: «كما تعلم، كان يجدر بك أن تكون عند القمة».

«ما الذي تتكلمين عنه؟».

«هناك عند السلم. لو كنت أنت هناك عند القمة عوضاً عني لما حدث شيء من هذا. لأنك لم تكن لتتردد. كنت ستنهي الأمر».

هزّ بوش رأسه.

«لا أحد يعلم كيف سيتصرف في موقف ما حتى يصبح في ذلك الموقف».

«لقد تجمّدت».

«اسمعي، اخلدي للنوم يا كيز. اتخذي قرارك عندما تتحسن صحتك. سأتفهم الأمر إن لم تعودي، لكنني سأقوم بمساندتك دائماً يا كيز، بغض النظر عما سيحدث وإلى أين ستذهبين».

مسح وجهها بواسطة يده اليسرى.

«شكراً يا هاري».

أغمضت عينيها وشاهدها وهي تسترخي أخيراً.

تمتمت بشيء لم يتمكن من فهمه، ثم خلدت إلى النوم. راقبها بوش قليلاً، ثم فكّر في عدم وجودها بجانبه كزميلته في العمل بعد الآن. لقد كانا يعملان جيداً معاً، كانت عائلته، وسيشتاق إليها.

لم يرغب في التفكير بالمستقبل الآن. فتح ملف الجريمة، وقرر أن يبدأ بقراءة ما حدث في الماضي. فتح الصفحة الأولى؛ التقرير الأولي للجريمة.

كان قد انتهى من مراجعته وعلى وشك أن يفتح صفحة أقوال الشهود عندما بدأ هاتفه يهتز في جيبه. خرج من الغرفة، وأجاب على الهاتف في الرواق. كان الملازم راندولف من وحدة إطلاق النار.

قال: «نعتذر عن إيقافك عن العمل في حين نتولى القضية».

«لا بأس، أنا أعرف السبب».

«أجل، هنالك الكثير من الضغوطات».

«كيف يمكنني مساعدتك أيها الملازم؟».

«أتمنى قدومك إلى باركر سنتر، وأن تلقي نظرة على شريط الفيديو الذي حصلنا عليه».

«لديك الشريط الذي كان بحوزة مصور أوشيا؟».

«لقد حصلنا على شريط منه. أجل. لكنني لست متأكداً إن كان الشريط كاملاً، وهو ما أريدك أن تلقي نظرة عليه. أريدك أن تخبرنا بما هو مفقود. هل بإمكانك القدوم؟».

«سأكون هناك خلال خمس وأربعين دقيقة».

«جيد، سأكون في انتظارك. كيف حال شريكتك؟».

تساءل بوش إن كان راندولف يعرف مكان وجوده الآن.

«لا تزال متماسكة. أنا في المستشفى، لكنها لا تزال فاقدة الوعي».

كان يأمل أن يتمكن من تأخير موعد مقابلة رايدر مع فريق إطلاق النار

قدر المستطاع. خلال بضعة أيام، بعد أن تكون قد انتهت من تناول جرعات مسكن الألم وعندما تكون في كامل وعيها، ربما عندها ستكتشف طريقة أفضل لتبرير موقفها عوضاً عن قول إنها تجمدت حين قام ويتس بفعلته.

قال راندولف: «نحن ننتظر السماح لنا بإجراء مقابلة معها».

«سيستغرق الأمر بضعة أيام على ما أعتقد».

«على ما يبدو، أراك قريباً على كل الأحوال. شكراً لقدومك».

أغلق بوش هاتفه، وعاد إلى الغرفة. أخذ ملف الجريمة من الكرسي حيث كان قد تركه ونظر إلى شريكته. لقد كانت نائمة. غادر الغرفة بهدوء، وقاد سيارته بسرعة. اتصل بريتشل ليطلب إليها الذهاب لتناول الغداء معه، بما أنه سيذهب إلى وسط المدينة على كل الأحوال. قررا الذهاب إلى مكان فاخر، وقالت إنها ستحجز مكاناً في ووتر غريل في وقت الظهيرة. أخبرها بأنه سيلاقيها هنالك.

كان فريق إطلاق النار في الطابق الثالث من باركر سنتر. في المكان المقابل لمبنى قسم جرائم السطو والقتل. كان لراندولف مكتبه الخاص، وأمامه مجموعة معدات خاصة بالفيديو موضوعة على حامل. جلس خلف مكتبه، في حين كان أوساني يستعمل المعدات ويجهز الشريط للعرض. أشار راندولف لبوش بالجلوس على المقعد الوحيد الآخر الموجود بالغرفة.

سأله بوش: «متى حصلت على الشريط؟».

«لقد سُلم هذا الصباح. قال كورفن إنه لم يتذكر أنه وضعه في أحد جيوب بنطاله الخاص بالمعدات التي ذكرتها إلا بعد مضي أربع وعشرين ساعة. طبعاً تذكر بعد أن أخبرته بأن لديّ شهود عيان قالوا إنهم رأوه يضع الشريط في جيبه».

«وهل تظن أنه جرى تلاعب بالشريط؟».

«سأتأكد من صحة ذلك بعد أن أسلمه إلى قسم التحقيقات الخاصة. أجل، لقد تم تعديله. وجدنا الكاميرا الخاصة به في موقع الجريمة، وقد قام أوساني بتسجيل الرقم الموجود على عداد الكاميرا. عند عرض هذا الشريط، لم يتطابق الرقم الموجود على عداده مع الموجود على الكاميرا. تقريباً هناك دقيقتان مفقودتان، لم لا تُشغل الشريطي يا ريغي».

شغل أوساني الشريط، وشاهد بوش بداية الشريط حيث ظهرت مجموعة المحققين والمسؤولين عن المعدات التكنولوجية وهم في مرأب مزرعة سانسيت. كان كورفين بالقرب من أوشيا دائماً، وكان هنالك وقت طويل من التسجيل المتواصل مركّز على إظهار المرشح لمنصب النائب العام في المقاطعة في منتصف الصورة. استمر الوضع على حاله في أثناء تتبع المجموعة لويتس باتجاه الغابة حتى توقفهم عند أعلى المنحدر.

بعد ذلك، بدا جلياً حصول انقطاع في التسجيل، يفترض أنه حصل لأن كورفين أطفأ الكاميرا ثم أعاد تشغيلها. لم يكن النقاش الذي دار حول السماح بفك قيود ويتس موجوداً. تم قطع التسجيل من اللحظة التي قالت فيها كيز رايدر إنهم يستطيعون استخدام السلّم الخاص بالأدلة الجنائية حتى عودة كافاريلي مع السلم.

أوقف أوساني الشريط ليتناقشوا بشأنه.

قال بوش: «من المرجح أنه أوقف التسجيل في أثناء انتظارنا السلم، لقد استغرقت العملية عشر دقائق على أكثر تقدير. لكنه على الأغلب لم يوقف التسجيل حتى بدء النقاش الذي حصل بخصوص فك قيود ويتس».

«هل أنت متأكد؟».

«لا، أنا أفترض وحسب. فأنا لم أكن أرقب كورفين، بل ويتس».

«حسناً».

«أنا أعتذر».

«لا تعتذر. أنا لا أريد منك إعطائي أية معلومات غير موجودة».

«هل دعم أيّ من شهود العيان ما قلته الآن؟ هل قالوا إنهم سمعوا النقاش الذي دار بخصوص فك قيوده؟».

«لقد سمعت كافاريلي النقاش، خبيرة الأدلة الجنائية. أما كورفين فقد نفى سماع النقاش في حين قال أوشيا إنّ نقاشاً مثل هذا لم يحصل. لذلك حالياً يوجد لدينا اثنان من قسم شرطة تحقيقات لوس أنجلوس يؤكدان حصول النقاش، واثنان من قسم مكتب المدعي العام ينفيان حدوثه. ولم يسجل حصول ذلك على الشريط. إنها منافسة سخيفة تقليدية».

«وماذا بخصوص موريس سوان؟».

«كان باستطاعته كسر التعادل، بيد أنه يرفض التحدث إلينا. يقول إن رفضه التحدث سيكون في مصلحة موكله».

لم يفاجئ ذلك بوش، لكون ذلك التصريح صادراً عن محامي دفاع.

«هل من تعديل آخر تودّ اطلاعي عليه؟».

«على الأغلب، شغّله يا ريغي».

شغّل أوساني الشريط مجدداً إذ عرض نزولهم على السلم، وبعد ذلك المكان الذي استخدمت فيه كافاريلي المسبار بشكل ممنهج لتحديد مكان الجثة. كانت اللقطة متواصلة. شغل كورفين ببساطة الكاميرا وصور كل شيء. وهو يفكر على الأغلب في أنه سيعدل الشريط لاحقاً في حال دعت الحاجة لاستخدام الشريط في جلسة للمحكمة أو غالباً في وثائقي الحملة الانتخابية.

استمر الشريط، ووثّق عودة المجموعة إلى السلم. صعد كل من رايدر وأوليفاس السلم إلى القمة، وفك بوش قيود ويتس. لكن عند صعود السجين السلم، توقف التسجيل في اللحظة التي وصل فيها إلى الدرجات العليا عندما انحنى أوليفاس للإمساك به.

سأل بوش: «هل هذا كل ما في الشريط؟».

قال راندولف: «هذا كل ما في الشريط».

«أنا أتذكر أنني أخبرت كورفين بترك الكاميرا والصعود على السلم بعد حصول إطلاق النار لمساعدة كيز، وقتها كانت الكاميرا على كتفه. كان يصوّر».

«حسناً. لقد سألناه عن سبب انتهاء التسجيل، وادعى أنه اعتقد أن شريط التسجيل كان على وشك النفاد. أراد أن تبقى لديه مساحة على الشريط؛ لكي يستخدمه عند وصول عمال الحفر واستخراجهم للرفات. لذلك أطفأ الكاميرا عندما كان ويتس يصعد السلم».

«هل يبدو الأمر منطقياً برأيك؟».

«لا أعلم. ما رأيك أنت؟».

«لا. أعتقد أن هذا مجرد هراء. لقد صوّر كل شيء».

«إن ما تقوله هو مجرد رأي».

قال بوش: «على جميع الأحوال، السؤال هو لماذا أوقف التسجيل في تلك اللحظة؟ ما الذي يوجد على الشريط؟».

«أنت من يعرف جواب هذا السؤال. لقد كنت موجوداً».

«لقد أخبرتك بكل ما تذكرته».

«يُفضّل أن تتذكر المزيد. إنّ وضعك الحالي ليس جيداً».

«ما الذي تتحدث عنه؟».

«ما من نقاش على الشريط حول ضرورة فك قيود السجين. إن ما يوجد على الشريط هو قيام أوليفاس بفك قيود ويتس قبل نزوله السلم، وقيامك بفك قيوده قبل صعوده السلم».

أدرك بوش أن راندولف كان محقاً، الشريط يظهر قيام بوش بفك قيود ويتس من دون مناقشة الأمر مع الآخرين.

«أوشيا يحاول الإيقاع بي».

«لا أدري إن كان أحد ما يحاول الإيقاع بأحد آخر. دعني أسألك عن شيء ما. عندما ساءت الأمور هناك، وأمسك ويتس بالمسدس وبدأ بإطلاق النار، هل تتذكر إن رأيت أوشيا في ذلك الوقت؟».

هز بوش رأسه.

«لقد سقطت على الأرض وكان أوليفاس فوقي. كنت قلقاً بشأن مكان وجود ويتس، ولم أنتبه لمكان وجود أوشيا. كل ما أستطيع إخبارك به هو أنه لم يكن في الصورة التي أذكرها. كان في مكان ما خلفي».

«ربما هذا ما صوّره كورفن على الشريط. هروب أوشيا كالجبنان».

إنّ استخدام راندولف لكلمة «جبان» أيقظ شيئاً ما داخل بوش.

لقد تذكر الآن. نادى ويتس مرة واحدة عند قمة المنحدر، كان ذلك الشخص أوشيا على الأرجح، أطلق ويتس كلمة «جبان» عليه. تذكر بوش سماع صوت عدو من خلفه. لقد هرب أوشيا. فكّر بوش في الأمر. أولاً، لم يكن لدى أوشيا أي سلاح ليدافع به عن نفسه أمام الرجل الذي كان سيضعه في السجن إلى الأبد، لذلك فالهروب لن يكون شيئاً غير متوقع أو غير منطقي. سيعتبر دفاعاً عن النفس وليس تصرفاً جباناً، لكن بما أنّ أوشيا كان مرشحاً لمنصب النائب العام في البلاد، فإن هروبه تحت أي ظرف لن يبدو بالأمر الجيد؛ خاصة إذا عرض ذلك الفيديو في أخبار الساعة السادسة.

قال بوش: «إنني أتذكر الآن، أطلق ويتس على أحد ما كلمة «جبان» لأنه هرب. لا بدّ وأنّ ذلك الشخص كان أوشيا».

قال راندولف: «لقد حُلّ اللغز».

استداروا نحو شاشة العرض من جديد.

سأل: «هل يمكننا إرجاع الشريط لمشاهدة الجزء الأخير مرة أخرى؟ أقصد الجزء الذي يتم فيه تعديل الشريط».

أرجع أوساني الشريط، وشاهدوا بصمت حتى اللحظة التي يظهر فيها ويتس غير مقيد بالأصفاد للمرة الثانية.

سأل بوش: «هل بإمكانك إيقاف الشريط قبل الوصول إلى الجزء المعدل؟».

جمّد أوساني الصورة على الشاشة. ظهر ويتس يصعد السلم قاطعاً نصف المسافة، وأوليفاس ينحني محاولاً الإمساك به. انفتحت سترة أوليفاس الواقية بمقدار الزاوية التي انحنى بها. تمكن بوش من رؤية مسدس أوليفاس الموجود على فخذه اليسرى في قرابه، بوضعية الاستعداد لإطلاق النار ليتمكن أوليفاس من سحبه واستخدامه مباشرة.

قال: «هل لاحظت ذلك؟ يبدو أنه ترك زر الأمان مفتوحاً على مسدسه».

حدق أوساني وراندولف إلى الشاشة. يبدو أن زر الأمان كان شيئاً لم يلحظاه من قبل.

قال أوساني: «ربما أراد أن يكون جاهزاً في حال أتى السجين بأية حركة، إنّ هذا ضمن القوانين».

لم يستجب أي من راندولف أو بوش. لو كان هذا ضمن قوانين القسم أم لا، فقد كان الحصول على تفسير لذلك الفضول شيئاً مستحيلاً بما أن أوليفاس قد توفي.

أخيراً قال راندولف: «بإمكانك إطفاؤه يا ريغ».

قال بوش: «لا، هل بإمكانك أن تريني ذلك مرة أخرى. فقط ذلك الجزء عند السلم».

أومأ راندولف لأوساني، الذي أرجع الشريط وأعاد عرض، حاول بوش استخدام الصور التي تُعرض على شاشة العرض لتحفيز ذاكرته ليتذكر ما حصل مع ويتس هناك عند القمة. تذكر أنه نظر إلى الأعلى، ورأى أن أحداً ما قد فتل أوليفاس ليصبح ظهره مواجهاً لمن هم في الأسفل وأنه لم يرَ

ويتس. تذكر الآن تساؤله عن مكان وجود كيز وعن السبب الذي منعها من القيام بأي رد فعل.

حصل إطلاق رصاص، وسقط أوليفاس إلى الخلف نحو أسفل السلم باتجاه بوش. رفع بوش يديه في محاولة لتقليل وقع الاصطدام. هناك على الأرض ومع وجود أوليفاس فوقه، سمع إطلاق المزيد من الرصاص ثم كان هناك صراخ. الصراخ المنسي ضمن تدفق الأدرينالين والذعر. تقدم ويتس إلى الجرف، وأطلق الرصاص عليهم. وصرخ. وصف أوشيا بالجبان لأنه هرب. لكنه قال أكثر من ذلك: «اهرب أيها الجبان! كيف يبدو الآن اتفاقك المليء بالهراء».

لقد نسي بوش ذلك التعليق المستفز في أثناء الارتباك وفوضى إطلاق الرصاص، وفرار المتهم، والجهد لإنقاذ كيز رايدر.

سأل راندولف: «ما الذي قصده بذلك؟ ماذا كان يعنيه ويتس بقوله اتفاقك المليء بالهراء؟ ما الأمر؟».

نظر إليه بوش بعد أن استفاق من استغراقه في أفكاره: «لا شيء، كنت فقط أحاول أن أصب تركيزي على ما حصل خلال اللحظات غير المسجلة على الشريط».

«كأنك تذكرت شيئاً ما».

«لقد تذكرت للتو أنني كنت على وشك أن أُقتل مثل أوليفاس ودولان؛ لقد سقط أوليفاس فوقي. كان بمنزلة درع لي».

أومأ راندولف.

أراد بوش أن يخرج من هناك. أراد أن يبدأ بالعمل على ما اكتشفه الآن، كيف يبدو الآن اتفاقك المليء بالهراء؟ أراد أن يحلل تفاصيل الأمر.

«أيها الملازم، هل لديك أي شيء آخر لأجلي الآن؟».

«ليس الآن».

«سأذهب إذن. اتصل بي إن احتجتني».

«اتصل بي أنت إن تذكرت ما لا تستطيع تذكره الآن».

أعطى بوش نظرةً ذات معنى قبل أن يشيح بنظره بعيداً.

«حسناً».

ترك بوش مكتب فريق إطلاق النار، واتجه نحو مصعد الردهة.

كان يجـدر بـه مغـادرة المبنى حينها، لكنه ضغط زر المصعد إلى الأعلى عوضاً عن ذلك.



21

تذكّر أن ما صاح به ويتس غيّر كل شيء. عنى ذلك لبوش أن شيئاً ما كان يجري هناك في بيتشـوود كانيون، وأن بوش لم يكن يعرف عنه، أول ما فكّر فيه أن عليه مراجعة التفكير وإعادته في كل شيء قبل الإقدام على أية خطوة. لكن وجوده في مكتب فريق إطلاق النار أعطاه سبباً لوجوده في باركر سنتر، فأراد الاستفادة من الأمر على أفضل نحو قبل أن يخرج من هناك.

دخـل الجنـاح 503، حيـث توجد مكاتب وحدة القضايـا غير المحلولة، والتي تقع مقابل الكوة التي يوجد فيها مكتبه. كانت غرفة الفريق فارغة تقريباً. تحقـق مـن مقـر العمل الذي تشـارك به مارسـيا وجاكسـون، ورأى أنهما غير موجودين. اقتضى ذهاب بوش إلى مقر عمله العبور بجانب باب مكتب أبل بـرات المفتـوح، لـذا قرر أن يبادر. حشـر رأسـه عند الباب، ورأى رئيسـه في العمل جالساً عند مكتبه. كان يتناول زبيباً من علبة حمراء صغيرة يبدو وكأنه يُباع للأطفال. بدا متفاجئاً برؤية بوش.

سأله: «ماذا تفعل هنا يا هاري؟».

«استدعاني فريق إطلاق النار لألقي نظرة على شريط مصور أوشيا الذي صورَ في رحلة بيتشوود».

«يظهر فيه إطلاق الرصاص».

«ليس تماماً. يدعي المصور أنه أطفأ الكاميرا».

عقد برات حاجبيه.

«راندولف لا يصدقه».

«من الصعب معرفة ذلك. لقد احتفظ ذلك الرجل بالشريط حتى صباح اليوم. يبدو وكأن تلاعباً حصل بالشريط وسيطلب راندولف إلى قسم التحقيقات الخاصة أن يتحققوا منه. على أية حال، اسمع، بما أنني هنا ظننت أني أستطيع أخذ بعض الملفات والأشياء معي إلى الأرشيف لكي لا تبقى مبعثرة. لدى كيز بعض الملفات أيضاً، سيمضي وقت قبل أن تتمكن من العودة إليها».

«إنها فكرة جيدة».

أومأ بوش.

قال برات وفمه مليء بالزبيب: «لقد علمت للتو من تيم وريك، إنهما سيغادران ميشن الآن. لقد تم التشريح هذا الصباح وأثبتوا على الهوية. إنها ماري غيستو، تم تأكيد الأمر. لقد حصلوا عليها من سجل الأسنان».

أومأ بوش من جديد، واعتبر هذا نهاية الأخبار.

«لقد انتهى البحث عن ماري غيستو».

«أظن الأمر قد انتهى».

«قالا إنك ستتصل بوالديها، أردت أنت أن تفعل هذا».

«أجل، لكنني سأنتظر حتى المساء على الأرجح، عندما يعود دان غيستو إلى المنزل من عمله، سيكون الأمر أفضل حين يكون الوالدان معاً».

«أياً يكن الأمر، أردت أنت أن تتولى الأمر. سنبقي الأمر طيّ الكتمان حالياً، سأتصل بالطبيب الشرعي، وأخبره أن يُبقي الأمر سراً حتى الصباح».

«شكراً. هل أخبرك تيم أو ريك إن عرفا سبب الوفاة؟».

«يبدو أنها تعرضت للخنق باليد، فعظم اللامية مكسور».

لمس مقدمة عنقه يتذكر مكان وجود عظم اللامية الهش. تولى بوش حلّ مئات قضايا القتل عن طريق الخنق خلال عمله، لكنه لم يبالِ بقول أي شيء.

«أعتذر يا هاري، أعرف أنك كنت متعلقاً بهذه القضية، إنني أعرف أنّ الأمر عنى لك الكثير عندما بدأت بالتحقق من الملفات كل بضعة أشهر، استنتجت بأن هذه القضية مهمة بالنسبة إليك».

هزّ بوش رأسه مؤكداً هذا الكلام لنفسه قبل برات. اتجه نحو مكتبه، وهو يفكر في خصوص تأكيد هوية الجثة، متذكراً أنه كان متأكداً قبل ثلاث عشرة سنة من أنهم لن يعثروا على ماري غيستو. لطالما كانت هذه القضية محاطة بالغرابة. بدأ بتجميع الملفات المتعلقة بقضية ويتس. كان سجل جريمة غيستو بحوزة مارسيا وجاكسون، بيد أن الأمر لم يزعج بوش؛ لأنه يملك نسخة عنه في سيارته.

اتجه نحو مكتب شريكته ليجمع ملفات دانيل فيتزباتريك التي كانت بحوزتها، لقد كان المراهن الذي عمل في هوليوود والذي قال ويتس إنه قتله خلال أعمال شغب عام 1992، ثم رأى صندوقين بلاستيكيين على الأرض. فتح أحدهما ووجد أنه يحتوي على سجلات الرهن التي تم استرجاعها من مكتب الرهن المحترق، وتذكر أن رايدر أخبرته عن هذه السجلات. عند فتحه أحد الصندوقين، تسللت إلى أنفه الرائحة العفنة لتلك الوثائق المبللة، فأغلق الصندوق بسرعة. لقد قرر أخذ الصندوقين أيضاً، لكن هذا سيضطره إلى المرور أمام مكتب برات مرتين ليستطيع نقل كل شيء إلى سيارته، وهذا سيعطي رئيسه فرصتين ليشعر بالفضول، ويعرف حقيقة ما كان بوش ينوي فعله.

أوشك بوش على ترك الصندوقين عندما ابتسم له الحظ. نهض برات من خلف مكتبه ونظر نحوه وقال: «أنا لا أعرف من الذي قال إن الزبيب وجبة خفيفة جيدة! ما زلت جائعاً. هل أحضر لك شيئاً من الطابق السفلي يا هاري؟

كعكة محلاة أو شيئاً آخر؟».

«لا، شكراً، لست جائعاً. سآخذ هذه الأغراض وأغادر».

لاحظ بوش أن برات كان يحمل أحد الكتب الإرشادية التي تكون مكدسة على مكتبه عادة. كُتب على الغلاف «جزر الهند الغربية».

سأله بوش: «هل تقوم ببعض الأبحاث؟».

«أجل، أنا أتحقق من بعض الأشياء. هل سمعت بمكان يُدعى نيفيس؟».

«أجل».

كان بوش قد سمع بعدد من الأماكن التي سأله عنها برات في أثناء أبحاثه.

«مكتوب هنا أنه باستطاعتك شراء طاحونة سكر قديمة مع أرض تبلغ مساحتها ثمانية فدادين بأقل من أربعمئة. اللعنة. باستطاعتي شراء أكثر من ذلك إن بعت منزلي فقط».

كان ذلك صحيحاً على الأغلب. لم يقم بوش بزيارة منزل برات، لكنه يعرف أنه يملك منزلاً في وادي سن، كان بيته كبيراً كفاية ليبقي عدة أحصنة في حديقته، لقد عاش في تلك المنطقة حوالى عشرين سنة، وكانت لديه أموال طائلة، وعقارات كثيرة.

لكن كانت هنالك مشكلة واحدة. منذ عدة أسابيع كانت رايدر جالسةً في مكتبها عندما سمعت برات يتحدث على الهاتف، كان يسأل أسئلة بخصوص حضانة الأطفال والملكية الجماعية، فأخبرت بوش بالاتصال، وافترضا أن برات يتحدث مع محامي طلاق.

سأل بوش: «هل تريد صنع السكر؟».

«لا يا رجل. لقد استخدم العقار لهذه الغاية في زمن مضى. عليك فقط شراؤه وإصلاحه، ثم تحويله إلى مكان للنوم وتناول الفطور أو شيء من هذا القبيل».

هزّ بوش رأسه. كان برات يتجه في حديثه نحو جوّ يعرفه بوش ولا يهمه.

قال برات، عندما شعر أن بوش غير مهتم: «على جميع الأحوال، أراك لاحقاً. وبالمناسبة، إن ارتداءك ملابس أنيقة لأجل مقابلة فريق إطلاق النار أمر جيد. أغلب الناس الذين فرض عليهم العمل من المنزل يحضرون إلى هنا مرتدين بنطال جينز وقميصاً، فيبدو شكلهم كالمتهمين لا كالمحققين».

«أجل، لا مشكلة».

غادر برات المكتب، وانتظر بوش ثلاثين ثانية حتى يصل إلى المصعد. ثم وضع كدسة الملفات على أحد صندوقي الأدلة وحملها معه. تمكن من أخذها إلى السيارة والعودة قبل أن يعود برات من الكافتيريا. ثم أخذ الصندوق الثاني وغادر. لم يسأله أحد عما كان يفعله، وإلى أين كان يأخذ هذه الأغراض.

بعد أن خرج من كوة الدفع الخاصة بركن السيارات، تحقق بوش من ساعته، ورأى أن لديه حوالي الساعة من وقت الفراغ قبل أن يلتقي ريتشل على الغداء. لم يكن هناك وقت كافٍ للعودة إلى المنزل؛ لوضع المستندات والعودة من جديد، إضافة إلى أن ذلك سيكون مجرد إضاعة للوقت وهدراً لوقود السيارة. فكّر في إلغاء موعد الغداء ليتمكن من العودة مباشرة إلى المنزل ومن مراجعة السجلات، ثم قرر العدول عن ذلك لأنه يعلم أن ريتشل ستملك بعض الأحكام الجيدة، ويمكن أن يكون لديها بعض الأفكار حول ما كان يعنيه ويتس عندما قال ما قاله في أثناء إطلاق النار.

يمكنه أيضاً أن يذهب إلى المطعم باكراً وأن يبدأ بالمراجعة في أثناء انتظاره لريتشل عند الطاولة. لكنه يعلم أن ذلك قد يسبب مشكلة إن ألقى أحد الزبائن أو النُدل نظرة على بعض الصور الموجودة في ملف الجريمة.

كانت المكتبة الرئيسية للمدينة في الحي نفسه الذي يقع فيه المطعم، فقرر أن يذهب إلى هناك. بإمكانه إنجاز بعض العمل على الملفات في إحدى الحجرات الخاصة، ثم يلتقي ريتشل في المطعم في الوقت المحدد.

بعد أن ركن السيارة في المرأب الموجود تحت المكتبة، حمل ملفي

الجريمة الخاصين بقضيتي غيستو وفيتزباتريك معه إلى المصعد. عندما أصبح داخل حرم المكتبة الواسعة، وجد حجرة مفتوحة في غرفة مراجع، جلس ليعمل على مراجعة المستندات التي أحضرها معه. وبما أنه بدأ بقراءة ملفات غيستو في غرفة رايدر في المستشفى، قرر أن يكمل القراءة وأن يُنهي مراجعته.

في أثناء تصفحه أوراق المستندات والتقارير المرتبة في الملف، لم يصل إلى التحقيق المرتب حسب تسلسل الأحداث زمنياً حتى نهاية الملف. قرأ الاستمارة رقم 51 بشكل عرضي، لكنه لم يصادف شيئاً بخصوص الخطوات التي اتبعها التحقيق، أو عمن حقق معهم، أو عن الاتصالات التي تلقوها أكثر إفادة الآن من الوقت الذي تم إدراج هذه المعلومات فيه.

فجأة ركّز باحثاً عما لم يره في سجل التحقيق. قلب الأوراق إلى الخلف حتى وصل إلى الاستمارة 51 بتاريخ 29 أيلول 1993، وبحث عن سجل الاتصال الذي تلقاه جيري إدغار من روبرت ساكسون.

لم يكن هناك.

انحنى بوش نحو الأوراق ليقرأ الوثيقة بتمعن.

لم يكن الأمر منطقياً.

كان سجل الاتصال موجوداً في ملف الجريمة الأصلي. كان اسم روبرت ساكسون هو الاسم المستعار لراينارد ويتس. وكان تاريخ سجل الاتصال يعود إلى 29 أيلول 1993، ووقت الاتصال السادسة وأربعين دقيقة مساءً.

عثر أوليفاس على ذلك خلال مراجعته للقضية، ورأى بوش ذلك بشكل واضح في مكتب أوشيا في اليوم التالي. لقد عاين الأمر، وهو يعلم أن ذلك تأكيد على خطأ ارتكبه ويتس ليبقيه في السجن ثلاث عشرة سنة أخرى بعيداً عن حريته في ممارسة القتل. لكن سجل الاتصال ذاك لم يكن موجوداً في نسخة ملف الجريمة التي كانت بحوزة بوش.

ما هذا بحق الجحيم؟ لم يتمكن بوش من استيعاب الأمر. لقد نسخ

تلك النسخة من سجل التحقيق منذ أربع سنوات، عندما قرر أن يتقاعد. نسخ ملف الجريمة سـراً من بين حفنة من القضايا المفتوحة؛ وكان ضميره يؤنبه؛ لأنه قام بذلك. تلك كانت قضايا تقاعده. كان يخطط للعمل عليها وحده في أوقات فراغه، وأن يتمكن من حلها قبل أن يذهب في رحلته إلى المكسيك، ويجلس على الشاطئ وبيده سنارة صيد، وبالأخرى زجاجة بيرة.

لكـن الأمـر لـم يجرِ كما خطط له. اكتشـف بوش أن من الأفضل له حل القضايا وهو على رأس عمله ثم قرر العودة إلى العمل.

بعـد أن عُيـن هـو ورايدر معاً في وحدة القضايا غير المحلولة، كان ملف جريمة غيستو هو أحد أول ملفات القضايا الذي أخذاه من الأرشيف وعملا عليـه. كان ذلـك الملـف، هـو ملف السـجلات المتجدد، حيـث يُجدد ملف التحقيق في كل مرة قام هو، أو أحد ما، بالعمل عليه. ما كان يوجد أمامه هو نسخة كانت موجودة على رف في خزانته لم يتم تجديدها منذ أربع سنوات.

بالرغم من ذلك، كيف يمكن وجود هذه المدونة المسجلة في الاستمارة 51 عام 1993، في حين لا توجد في النسخة الأخرى؟ كانت هناك إجابة منطقية واحدة فقط. لقد جرى التلاعب بالسـجل الرسـمي للتحقيق. فالاستمارة التي يوجد فيها اسم روبرت ساكسون أضيفت إلى ملف الجريمة بعد أن أخذ بوش نسخته من الملف.

بيد أن ذلك ترك ثغرة مدتها أربع سنوات، تم إضافة المعلومات الخاطئة فيهـا، بيـد أن المنطـق دفـع بوش للاقتنـاع بأن التلاعب قد تم ضمن فترة أيام، لا سنوات.

منذ أيام قليلة اتصل به أوليفاس، وهو يبحث عن ملف الجريمة. أصبح الملف بحوزة أوليفاس وكان هو الشخص الذي اكتشف قيد روبرت ساكسون. لقد كان أوليفاس مَن سلّط الأضواء عليه.

قلّب بوش صفحات السجل، كانت الصفحات المتضمنة لتواريخ التحقيق

الأولي جميعها مليئة بترميزات زمنية محددة. كانت الصفحة المكتوب عليها الثاني والعشرون من أيلول الوحيدة التي يوجد فيها مساحة فارغة في الأسفل. هـذا سـمح لأوليفـاس بإزالـة الصفحة من الملف، وإضافة قيد ساكسـون، ثم إعادة الصفحة إلى مكانها، ممهداً الطريق لاكتشافه المزعوم بخصوص العلاقة بين ويتس وغيستو.

في العام 1993 طبع بوش وإدغار الاستمارة 51 على آلة طباعة في غرفة فريق هوليوود. ولكن الآن تطبع التقارير بواسـطة الحواسـيب، بيد أن هنالك العديد من آلات الطباعة الموجودة في أغلب غرف فرق أفراد الشرطة القدامى – مثل بوش – الذين لم يكن باستطاعتهم التعامل مع الحواسيب.

شعر بوش بمزيج من الراحة والغضب في داخله. كان الذنب الذي شعر به بخصوص الخطأ المزعوم الذي ارتكبه مع إدغار قد بدأ بالتلاشي. لم يكن من لوم يلقى عليهما، وأراد أن يخبر إدغار بأسرع وقت ممكن. لكن بوش لم يكن مقتنعاً بذلك بشكل كامل – ليس بعد – بسبب الغضب المتزايد الذي كان يشـعر به لكونه ضحية أوليفاس. نهض من مكانه وسـار مبتعداً عن الحجرة. خرج من غرفة المراجع واتجه نحو قاعة المكتبة الرئيسية، حيث وجدت لوحة فسيفسائية موضوعة عالياً على الحائط، رسمت عليها قصة إنشاء المدينة.

شعر بوش برغبة في الصراخ، ليفرغ غضبه الجامح، لكنه بقي صامتاً. سار حارس أمن بسـرعة عبر ردهات المبنى الكهفي، ربما كان في طريقه ليمسـك بسـارق كتب أو أحد المتعرين بين الكومات المكدسـة. راقبه بوش وهو في طريقه، ثم عاد إلى ممارسة عمله. عندما عاد إلى الحجرة، حاول التفكير في خصوص ما قد حدث.

لقد تلاعب أوليفاس بسجل الجريمة، أضاف سطرين إلى السجل جعلا بـوش يظـن أنـه ارتكب خطأً فادحاً في المراحل الأولى للتحقيق. كان فحوى السـطرين أن روبرت ساكسـون قد اتصل للإبلاغ عن رؤيته ماري غيسـتو في

مايفير في ظهيرة اليوم الذي اختفت فيه. هذا كل شيء. لم يكن فحوى الاتصال مهماً لأوليفاس. بل كان المتصل.

أراد أوليفاس إدراج راينارد ويتس في سجل الجريمة. لماذا؟ لجعل بوش يشعر بالذنب مما سيعطي أوليفاس الأفضلية والتحكم بالتحقيق الحالي؟ لم يكن ذلك منطقياً بالنسبة إلى بوش، فالأفضلية والتحكم كانا بيد أوليفاس بالأصل. لقد كان المحقق الرئيسي في قضية ويتس، ولم يكن لحقيقة أن القضية تخص بوش أن تُغير شيئاً. صحيح أن بوش كان مشاركاً في القضية، لكنه لم يكن صانع القرار. فالقرار كان بيد أوليفاس، ولذلك لم يكن إدراج اسم ويتس ضرورياً لتحقيق ذلك.

لا بد من وجود سبب آخر.

حلل بوش الأمور لفترة، لكن التحليل الوحيد الضعيف الذي توصل إليه هو حاجة أوليفاس لصنع علاقة بين ويتس وغيستو، عن طريق وضع الاسم المستعار للقاتل في السجل، كان يصنع علاقة بين راينارد ويتس وماري غيستو تعود لثلاثة عشر عاماً مضت.

لكن ويتس كان على وشك الاعتراف بقتله غيستو. وبالتالي ما من علاقة أمتن من اعترافه. بل كان سيأخذ السلطات إلى موقع الجثة. بعد ذلك ستكون المعلومة الموجودة في السجل ثانوية. حسناً، لماذا وضعت في السجل إذن؟

في النهاية، شعر بوش بالحيرة بسبب المخاطرات التي أقدم عليها أوليفاس؛ لقد تلاعب بسجلات رسمية لتحقيق خاص بجريمة قتل من دون كسبه شيئاً يُذكر. كان يخاطر بكشف بوش لتلك الخدعة ومواجهته له. لقد خاطر بجعل محامٍ ذكي مثل موريس سوان قادراً على كشف تلك الخدعة في أول يوم للمحاكمة. والأهم أنه قام بكل ذلك من دون أن يكون بحاجة إليه، وهو يعلم أن ويتس على علاقة واضحة بالجريمة بعد اعترافه.

لكن أوليفاس ميت الآن، ومواجهته ليست ممكنة. لا أحد يعرف السبب.

ربما باستثناء راينارد ويتس.

«كيف يبدو الآن اتفاقك المليء بالهراء؟».

وربما ريك أوشيا أيضاً.

فكّر بوش بكل شيء، وتوصل إلى استنتاج في تلك اللحظة. عرف بوش فجأة السبب الذي دفع أوليفاس إلى المخاطرة بربط راينارد ويتس بسجل جريمة ماري غيستو. بدا الأمر له واضحاً وخالياً من الشكوك. راينارد ويتس لم يقتل ماري غيستو.

نهض وبدأ يجمع الملفات.

اتجه نحو مخرج القاعة الرئيسة بسرعة وهو يحمل الملفات بكلتا يديه. سمع صدى خطواته في القاعة الكبيرة، وكأنه صوت حشود تطارده. نظر خلفه لكنه لم يرَ أحداً.

22

أثناء وجوده في المكتبة، فقد بوش إحساسه بالوقت، كان متأخراً، وكانت ريتشل تنتظره، عندما رافق النادل بوش إلى الطاولة كانت تحمل قائمة كبيرة من صفحة واحدة تحجب وجهها الذي بدت عليه معالم الانزعاج.

قال بوش وهو يجلس: «أنا آسف».

أجابته: «لا بأس، لكنني طلبت لنفسي، لم أكن واثقة إن كنت ستأتي أم لا».

أعطته القائمة، وسلّمها فوراً إلى النادل، وقال: «سأطلب مثلها، بالإضافة إلى المياه».

شرب من الكأس الذي سُكب له في الوقت الذي ابتعد فيه النادل، ابتسمت ريتشل بوجهه، ولم تكن ابتسامتها لطيفة.

«لن يعجبك الطبق الذي طلبته، من الأفضل أن تنادي النادل مجدداً».

«لماذا؟ أنا أحبّ المأكولات البحريّة».

«لأنني طلبت الساشيمي، لقد أخبرتني في تلك الليلة أنك تحب المأكولات البحرية المطهوة».

لوهلة انصدم مما أخبرته إياه، لكنه قرر أنه يستحق أن يدفع ثمن وصوله متأخراً.

فقال متجاهلاً الأمر: «كل الطعام سيذهب إلى المكان نفسه، لكن لماذا يسمّون هذا المكان ووتر غريل إذا لم يشووا الطعام».

«سؤال وجيه».

«انسي الأمر، نحن بحاجة لنتحدث، أنا بحاجة إلى مساعدتك ريتشل».

«مساعدتي بماذا؟ ما الخطب؟».

«لا أعتقد أن راينارد ويتس قتل ماري غيستو».

«ما الذي تعنيه؟ لقد قادك إلى رفاتها، أتقول إنها لم تكن ماري غيستو».

«لا، فقد أُثبتت هويتها، وبالتأكيد هي من كانت مدفونة في ذلك القبر».

«وويتس هو من قادك إليها، أليس كذلك؟».

«أجل».

«ويتس هو الذي اعترف بقتلها، صحيح؟».

«أجل».

«هل أكد الطب الشرعي أن سبب الوفاة يتوافق مع هذا الاعتراف؟».

«نعم، مما سمعته، كان متوافقاً مع الاعتراف».

«ما تقوله يا هاري غير منطقي، فمع كل ذلك، كيف لا يكون هو القاتل».

«لأن شيئاً ما يحدث ولا نعرف ما هو، يبدو أن علاقة من نوع ما جمعت بين أوليفاس وأوشيا، لست متأكداً من ماهيتها، ولكن كل شيء يعود إلى القرف في بيتشوود كانيون».

حرّكت يديها كما عند الإشارة إلى وضع شيء ما في مكان محدد.

«لماذا لا تعود إلى البداية، أخبرني بالحقائق، لا داعي للنظريات والتخمينات. قل لي ما عندك».

أخبرها بكلّ شيء، بدءا من عبث أوليفاس بكتاب القتل، وانتهاء بتفاصيل ما حدث عندما بدأ ويتس يتسلق السلم في بيتشوود كانيون، وأخبرها بما صرخ به ويتس في وجه أوشيا، وما تم تحريره من فيديو الرحلة الميدانية،

استغرق الأمر منه خمس عشرة دقيقة وخلال ذلك الوقت قُدم الغداء.

قال بوش لنفسه: «بالطبع جاء الطعام بسرعة، فهم لا يطهونه!».

شعر أنه محظوظ لأنه الشخص الذي يتكلم، فقد أعطاه ذلك عذراً حتى لا يأكل السمك النيء الذي وُضع أمامه. بحلول الوقت الذي انتهى فيه من سرد القصة، كان بإمكانه ملاحظة أن عقل ريتشل ذهب بعيداً في تحليل كلّ شيء.

قالت: «وضع ويتس في كتاب القتل لا معنى له، إن ذلك يربطه بالقضية، نعم، لكنه مرتبط بالفعل من خلال اعترافه واصطحابك إلى القبر، فلماذا تهتم بكتاب القتل؟».

انحنى بوش عبر الطاولة للرد: «شيئان: أحدهما أن أوليفاس يعتقد أنه يحتاج إلى بيع الاعتراف، ولم يكن لديه أي فكرة إن كنت سأتمكن من الوقوف على الثغرات التي فيه، لذلك أراد ضمانة، فقد وضع ويتس في ملف، ووضعني في حالة وجود شرط مسبق لتصديق الاعتراف».

«حسناً، والشيء الثاني؟».

قال: «هنا تكمن الصعوبة، كان وضع ويتس في الكتاب طريقة لإشراكي، ولكنه أيضاً بطريقة ما وسيلة لإبعادي».

نظرت إليه، ولكنها لم تستوعب ما قاله: «من الأفضل أن تفسّر ذلك».

«هذا هو المكان الذي ننتقل فيه إلى الحقائق المعروفة ونتحدث عما تعنيه، تخمين النظرية، أياً يكن ما تريدين تسميته، وضع أوليفاس هذا الخيط في التسلسل الزمني، ثم ألقى به في وجهي، فقد علم إن رأيته وصدقته، فعندها سأعتقد أنني وشريكي أخفقنا بشكل مروع في العام 1993، وأنني سأعتقد أن الناس ماتوا بسبب خطأنا، وأن ذنب كل النساء اللواتي قُتلن منذ ذلك الحين سيكون على عاتقي».

«حسناً».

«وسيربطني مع ويتس على مستوى عاطفي من الكراهية الخالصة. نعم، لقد سعيت وراء الرجل الذي قتل ماري غيستو لمدة ثلاثة عشر عاماً، ولكن إضافة النساء الأخريات ووضعهن على عاتقي سيجعل الأمور على حافة الهاوية، وعندما أصبح في النهاية وجهاً لوجه مع الرجل، فإن ذلك سيشتت انتباهي».

«عن ماذا؟».

«عن حقيقة أن ويتس لم يقتلها، إنه يعترف بقتلها بالرغم من أنه لم يفعل، لقد أبرم صفقة ما مع أوليفاس، وربما مع أوشيا ليتحمل نتيجة ما حدث، لأنه كان بالفعل متجهاً نحو السقوط دفاعاً عن الآخرين، وأنا لم أتغلب على كرهي لدرجة أن عيني لم تكونا على الجائزة، لم أبدِ اهتماماً بالتفاصيل، يا ريتشل، كل ما أردته هو القفز عبر الطاولة وخنق الرجل».

«ألم تنسَ شيئاً؟».

«ماذا؟».

استندت إلى الطاولة، وأبقت صوتها منخفضاً حتى لا تزعج الزبائن الآخرين وقالت: «لقد قادك إلى رفاتها، إن لم يكن القاتل كيف عرف مكان القبر في الغابة؟ كيف قادك إليها مباشرة؟».

أومأ بوش برأسه، لقد كانت نقطة جيدة، ولكن سبق له أن فكّر بها.

«ربما أخبره أوليفاس بمكان القبر وهو في زنزانته، يمكن أن تكون خدعة هانسيل وغريتيل. لقد تم تعليم المسار بطريقة لا يلاحظ فيها سوى العلامات. بعد الظهر، سأعود إلى بيتشوود، أعتقد أنني سأجد العلامات هذه المرة».

اقترب بوش، وأخذ طبقها الفارغ، واستبدله بطبقه الذي لم يمسه، فلم تعترض.

قالت: «تقول إن الرحلة الميدانية كانت بمثابة خطة لإقناعك، لقد أُخبر ويتس بالمعلومات الأساسية عن مقتل ماري غيستو، واعترف بما طلب منه،

ثـم قـادك بسـعادة مثـل ذات الرداء الأحمر عبـر الغابة إلى المكان الذي دُفنت فيه».

أومأ برأسـه: «نعم، هذا ما أقوله، عند تلخيص كل شـيء إلى هذا الحدّ، يبدو الأمر بعيد المنال بعض الشيء، أعرف. ولكن...».

«بل أكثر من بعض الشيء».

«ماذا؟».

«أكثـر مـن مجـرد شـيء بعيـد المنال. أولاً، وقبل كل شـيء، كيف عرف أوليفاس بالتفاصيل ليزود بها ويتس؟ وكيف عرف أين دُفنت حتى يتمكن من تحديد مسار ليتبعه ويتس؟ هل تقول إن أوليفاس قتل ماري غيستو».

هزّ بوش رأسه نافياً بشكل قاطع، اعتقد أنها كانت تتخطى المنطق بمنطق محامـي شـيطانها، وهـذا مـا أزعجـه. قال: «لا، أنا لا أقـول ذلك، بل أقول إن القاتل مرّ عليه، هو وأوشيا، لقد أتى إليهما القاتل الحقيقي وأبرم صفقة ما».

«هاري، هذا يبدو فقط...»، لم تنتهِ، دفعت الساشيمي على طبقها بواسطة عيـدان تنـاول الطعـام، بالرغـم من أنهـا أكلت بعضاً منه، فاسـتغلّ النادل هذه اللحظة للاقتراب من الطاولة.

وقال لها بصوت مرتجف: «ألم يعجبكِ الساشيمي؟».

«لا، أنا...». توقفت عندما أدركت أن لديها ما يقرب من قطعة كاملة في الطبق، ثم أكملت: «يبدو أنني لم أكن جائعة جداً».

قـال بـوش مبتسـماً: «إنهـا لا تعـرف ما الذي فوّتته على نفسـها، أظن أنه كان رائعاً».

أخذ النادل الطبقين عن الطاولة، وقال إنه سيعود بقوائم الحلوى.

قالت والينغ بصوت ساخر: «أظن أنه كان رائعاً، أيها الأحمق!».

«أنا آسف».

أحضـر النـادل قوائم الحلـوى، وأعادها كلاهما، واكتفيـا بطلب القهوة،

ظلت والينغ هادئة بعد ذلك، وقرر بوش انتظارها في الخارج.

أخيراً سألته: «لماذا الآن؟».

هزّ بوش رأسه وقال: «لا أعرف بالضبط».

«متى كانت آخر مرة سحبتَ فيها القضية وعملت عليها بنشاط؟».

«قبل حوالى خمسة أشهر، كان الفيديو الأخير الذي عرضته عليكِ تلك الليلة، تلك هي المرة الأخيرة التي عملت فيها. كنت على وشك القيام بتشغيله مرة أخرى».

«ماذا فعلت غير استدعاء غارلاند مرة أخرى؟».

«كل شيء، تحدثت إلى الجميع، طرقت الأبواب نفسها مرة أخرى، وفي النهاية أحضرت غارلاند».

«تعتقد أن غارلاند هو الذي ذهب إلى أوليفاس؟».

«إلى أوليفاس وربما إلى أوشيا لعقد صفقة ما، عليه الاستعانة بشخص يملك سلطة، الكثير من المال والسلطة، وغارلاند يتمتع بهما».

جاء النادل مع قهوتهما والفاتورة، فوضع بوش بطاقة ائتمان عليها، ولكن النادل كان قد غادر.

سألته: «هل تريد أن نتقاسم الفاتورة؟ فأنت لم تأكل».

«لا بأس، فسماع ما كنتِ تريدين قوله يجعله يستحق ذلك».

«أراهن أنك تقول ذلك لكلّ الإناث».

«فقط لعميلات الفيدرالية».

هزّت رأسها، ورأى الشّك يتسلل إلى عينيها.

«ماذا؟».

«لا أعرف، إنه فقط...».

«فقط ماذا؟».

«ماذا لو نظرت إلى الأمر من وجهة نظر ويتس».

«ألا وهي؟».

«إنها حبكة طويلة، يا هاري، إنها مثل تلك المؤامرات الضخمة، تأخذ كل الحقائق بعد انتهائها، وتحركها لتناسب بعض النظريات غير المنطقية، لم تمت مارلين مونرو بجرعة زائدة، بل استخدم آل كينيدي الرعاع لقتلها، مثل هذا».

«فماذا عن وجهة نظر ويتس؟».

«أنا أقول فقط، لماذا يفعل ذلك؟ لماذا يعترف بجريمة لم يرتكبها؟».

أتى بوشِ بإشارة رافضة بيديه، كما لو كان يدفع شيئاً ما بعيداً.

«هذا سهل، يا ريتشل، سيفعل ذلك لأنه لا يملك ما يخسره. لقد كان بالفعل يسقط مثل إيكو بارك باغمان، فإذا ذهب إلى المحكمة، فسيحصل على شفاعة يسوع، تماماً مثلما ذكّره أوليفاس هناك في الأمس، لذا كانت فرصته الوحيدة في الحياة هي الاعتراف بجرائمه، وإذا كان الأمر كذلك، ولنقل إن المحقق والمدعي العام يريدانه أن يضيف جريمة قتل أخرى بشكل جيد، فماذا سيقول ويتس عن ذلك؟ لا صفقة؟ لا تخدعي نفسكِ، فلديهم النفوذ، وإذا أخبروا ويتس بالقفز، كان ليومئ برأسه ويقول: على من؟».

أومأت برأسها.

أضاف: «هناك شيء آخر، كان يعلم بأمر الرحلة الميدانية، وأُراهن أن ذلك أعطاه الأمل، فقد علم أنه قد يُصاب أثناء فراره، وبعد أن أخبروه أنه سيكون من يقودنا عبر الغابة، أصبحت الحبكة أكبر قليلاً، ولا شك أن تعاونه أصبح أفضل، ربما كان يسعى للوصول إلى الرحلة الميدانية».

أومأت مرة أخرى، ولم يستطع معرفة إن تمكن من إقناعها، صمتا لفترة طويلة. جاء النادل، وأخذ البطاقة الائتمانية، وانتهى الغداء.

سألته: «حسناً، ما الذي ستفعله؟».

«كما قلت لكِ، المحطة التالية هي بيتشوود كانيون، وبعد ذلك، سأجد الرجل الذي يمكنه شرح كل شيء».

«تقصد أوشيا؟ لن يتحدث إليك على الإطلاق».

«أعرف، لهذا السبب لن أتحدث إليه. ليس الآن، على الأقل».

«ستجد ويتس؟».

أدرك الشك في صوتها.

«هذا صحيح».

«لقد غادر منذ فترة طويلة، يا هاري، هل تعتقد أنه سيبقى هنا؟ لقد قتل شرطيين، إن متوسط عمره المتوقع في لوس أنجلوس هو صفر، وتعتقد أنه سيبقى هنا حيث كل شخص يحمل سلاحاً وشارة في هذه المقاطعة يبحث عنه ولديه الحق بقتله».

أومأ برأسه ببطء، وقال باقتناع: «إنه هنا، كل ما قلتِه صحيح، إلا أنكِ نسيتِ شيئاً واحداً، لقد حصل على النفوذ الآن، فعندما هرب، أصبحت له اليد العليا، وإذا كان ذكياً، ويبدو أنه ذكي، فسيستخدمه، سيبقى وسيستغل أوشيا إلى أقصى حدّ ممكن».

«هل تعني الابتزاز؟».

«أياً يكن، ويتس يملك الحقيقة، فهو يعرف ما حدث، إذا أمكنه جعل الأمر سهل التصديق بأنه يشكل خطراً على أوشيا وآلته الانتخابية بأكملها، وإن تمكن من الاتصال بأوشيا، فيمكنه الآن جعل المرشح يقفز».

أومأت برأسها، وقالت: «أنت تثير نقطة جيدة بشأن النفوذ، ماذا لو أن هذه المؤامرة الكبرى حصلت وفقاً لما هو محدد لها؟ كما تعلم، أخذ ويتس تحمل اللوم على عاتقه، وسقط من أجل غيستو وجميع الآخرين، وهو الآن يتجه إلى خليج بيليكان أو سان كوينتين ليتابع حياته، ثم سيجعل المتآمرون هذا الرجل جالساً في زنزانة ولديه كل الأجوبة والنفوذ، إنه لا يزال يشكّل خطراً على أوشيا وآلته السياسية بأكملها، لماذا يضع النائب العام المستقبلي لمقاطعة لوس أنجلوس نفسه في هذا الوضع».

أضاف النادل بطاقة الائتمان والفاتورة النهائية، وأضاف بوش إكرامية ووقع عليها، كان أغلى غداء لم يتناوله على الإطلاق.

عندما انتهى من كتابة اسمه، نظر إلى ريتشل وقال: «سؤال جيد يا ريتشل، لا أعرف الإجابة الدقيقة عليه، لكنني أفترض أن أوشيا أو أوليفاس أو شخص ما لديه خطة لمرحلة النهاية، وربما لهذا السبب قرر ويتس الهرب».

عبست وقالت: «كيف يمكنك افتراض ذلك؟».

«ليس بعد».

«حسناً، حظاً سعيداً، أعتقد أنك ستحتاج إليه».

«شكراً يا ريتشل».

وقفا.



سألته: «هل طلبت عامل المرأب؟».

«لا، لقد ركنت سيارتي في مرأب المكتبة».

عنى هذا أنهما سيغادران المطعم من بابين مختلفين.

سألها: «هل سأراك الليلة؟».

«إذا لم أنشغل لفترة طويلة، فهناك قضية أمامنا آتية من مقر واشنطن، ماذا لو اتصلتُ بك؟».

قال: «لا بأس»، وسار معها إلى الباب الذي يؤدي إلى المرأب حيث ينتظر عامل المرأب، عانقها هناك وقال: وداعاً.

23

في طريق الخروج من وسط مدينة، ذهب بوش عبر شارع هيل إلى أن وصل إلى وادي تشافيز واستدار يساراً، وسرعان ما أصبح في جادة سانسيت، وقاد عبرها إلى إيكو بارك. لم يتوقع أن يرى راينارد ويتس يعبر الطريق عند الإشارة أو يخرج من عيادة طبيب ما، أو من أحد المكاتب الضخمة في الشارع، لكن بوش كان يهرب من غرائزه في ما يخص هذه القضية. أخبروه أن إيكو بارك لا تزال ضمن القضية، وكلما قاد سيارته، شعر أكثر بالحيّ وأنه من الأفضل أن يهتم ببحثه. في حال وُجدت الغرائز أم لا، كان متأكداً من شيء واحد، أنه تم القبض على ويتس في الأصل أثناء توجهه إلى مكان معين في إيكو بارك، وسيجد بوش هذا المكان.

ركن سيارته في منطقة ممنوع ركن السيارات فيها، بالقرب من شارع كوينتيرو، وسار باتجاه مطعم شواء بيسكادو موجادو، وطلب طبق كامارونيسا لا ديابلا، وأظهر صورة لويتس للرجل الذي أخذ طلباته وللزبائن الذين ينتظرون في الطابور، وحصل على هزة الرأس المعتادة من الجميع، والتي تعني أنهم لم يروه، وانتهى الحديث الإسباني بينهم. أخذ بوش طبق الروبيان إلى إحدى الطاولات، وتناول طعامه بسرعة.

من إيكو بارك، قاد سيارته إلى المنزل لتغيير بذلته، حيث ارتدى بنطال

جينز وسترة، ثم قاد سيارته إلى بيتشوود كانيون، وشق طريقه إلى أعلى التلة، كان مرأب السيارات أسفل مزرعة سانسيت فارغاً، وتساءل بوش إن كان كل نشاط واهتمام وسائل الإعلام من اليوم السابق قد أبقى راكبي الخيل بعيداً. خرج من سيارته، وتوجه إلى صندوقها، فأخرج حبلاً ملفوفاً بطول ثلاثين قدماً، واتخذ المسار نفسه الذي اتخذه خلف ويتس في اليوم السابق.

لقد كان على بعد خطوات قليلة فقط من الطريق، عندما بدأ هاتفه الخلوي بالاهتزاز. توقف وأخرجه من جيب بنطاله الجينز الأزرق اللون، ورأى أن المتصل هو جيري إدغار، فقد سبق لبوش أن ترك له رسالة أثناء قيادته إلى المنزل.

«كيف حال كيز؟».

«إنها أفضل، يجب أن تذهب لعيادتها، يا رجل، تجاوز كل ما عليكما أن تتجاوزاه، أنت حتى لم تتصل بالأمس».

«لا تقلق، سأفعل ذلك، في الواقع، كنت أفكر في الخروج باكراً اليوم وعيادتها، هل ستكون هناك؟».

«ربما، اتصل بي عندما تقرر الذهاب، وسأحاول ملاقاتك هناك، على أي حال، ليس هذا هو سبب اتصالي بك، فهناك شيئان أردت أن أخبرك بهما. أولاً، لقد أكد الطب الشرعي هوية الرفات، إنها فعلاً رفات ماري غيستو».

صمت إدغار للحظة قبل أن يرد.

«هل تحدثت إلى والديها؟».

«لا، سأنتظر حتى المساء، حتى يعود دان من عمله».

«هذا ما كنت لأفعله، ماذا لديك أيضاً يا هاري؟ هناك رجل في الغرفة هنا، وأنا على وشك أن أدخل وأسحقه بسبب جريمة اغتصاب نعمل عليها الآن».

«آسف للمقاطعة، أعتقد أنك اتصلت بي».

«لقد فعلت ذلك يا رجل، لكنني كنت لأعاود الاتصال بك بسرعة في

حال كان الأمر مهماً».

«إنه أمر مهم، اعتقدت أنك تريد أن تعرف ذلك، ما دوّن في الاستمارة 51 كان نتيجة اتصال، وأعتقد أنه عندما سيظهر كل شيء للعلن سنفهم بوضوح».

هذه المرة لم يكن هناك تردد في إجابة شريكه القديم.

«ما الذي تقوله؟ أتقول إن ويتس لم يتصل بنا في ذلك الوقت».

«صحيح».

«ولكنه دوّن في الاستمارة؟».

«هناك شخص ما أضافه مؤخراً، شخص ما يحاول التلاعب بي».

«تباً لذلك!».

كان باستطاعة بوش الإحساس بالغضب والارتياح في صوت إدغار.

«هاري لم أنم منذ أن اتصلت بي وأخبرتني، إنهم لا يتلاعبون بك وحدك يا رجل».

«هذا ما توصلت إليه، لهذا السبب اتصلت، لم أجد تفسيراً، ولكن هذا ما يبدو عليه الأمر، عندما تكتمل الصورة لديّ سأخبرك، الآن عد إلى المقابلة، واقضِ على ذلك الرجل».

«أسعدني ما أخبرتني به يا هاري، سأذهب إلى الغرفة، وأسحق هذا الأحمق».

«يسعدني ما أسمعه، اتصل بي عندما تذهب لعيادة كيز».

«حسناً، سأفعل».

بدا بوش واثقاً أن إدغار لن يزور كيز، خصوصاً وأنه منهمك في قضية طارئة كما قال.

بعد انتهاء المكالمة، أعاد هاري الهاتف إلى جيبه، نظر حوله، مستطلعاً المكان حوله، جالت عيناه في الأرجاء، من الأرض إلى السماء فوق رأسه، لم يرَ أي علامة، وظن أنه لن يكون هناك حاجة لخدعة طريق هانسيل وغريتيل،

فويتس سـلك مسـاراً محدداً وواضحاً، وإن كان هناك علامات، فسـتكون في الجزء السفلي من المنحدر الطيني، وفوراً توجه إلى هناك.

فـي الجـزء العلوي من الجـرف، لف الحبل حول جذع البلوط الأبيض، وبواسـطته تمكـن مـن النـزول، ترك الحبل، وتفحّـص المنطقة مرة أخرى من الأرض إلى السماء.

لم يرَ شـيئاً يُميز بسـهولة الطريق إلى موقع القبر، حيث عُثر على ماري غيستو، سار نحو القبر، بحثاً عن نقوش على جذوع الأشجار، أو شرائط على الفروع، أو أي شيء ساعد ويتس في سلوك الدرب الذي سلكه.

وصـل بـوش إلـى القبر من دون أن يرى إشـارة واحدة إلى طريق محدد بعلامـات، فشـعر بالإحبـاط، حيث النقص في النتائـج والدلائل يتعارض مع النظريـة التـي عرضهـا على ريتشـل والينغ. لكن بـوش كان متأكداً مما توصل إليه من استنتاج، ورفض تصديق أنه لم يكن هناك طريق محدد. اعتقد أن أي علامات، يعتقد بوجودها، ربما طمسـت بعد أن داس عليها جيش المحققين والفنيين الذين نزلوا إلى الغابة بالأمس.

رفض الاستسـلام، وشـق طريقه مرة أخرى نحو المنحدر، ثم اسـتدار ونظر ناحية القبر، وحاول أن يضع نفسه مكان ويتس، فهو لم يسبق له أن أتى إلى هنا، ومع ذلك سلك الاتجاه الصحيح بسهولة، وهذا ما شاهده الجميع.

كيف استطاع القيام بذلك؟ وقف بوش، وفكّر وهو ينظر إلى الغابة نحو القبر، لم يتحرك طيلة خمس دقائق، بعدها بدأت الأمور تتضح له، ففي وسط المسـافة التي تفصله عن القبر، هناك شـجرة كينا باسـقة، شـقت على مسـتوى الأرض، حيث انفرج جذعان بارتفاع خمسين قدماً على الأقل من خلال غطاء الأشـجار الأخرى. وفي مكان الشـق، وعلى ارتفاع عشـرة أقدام من مسـتوى الأرض، سـقط فرع واسـتقرّ أفقياً بين الجذعين، حيث شـكّل الفرع السـاقط والجذعـان حـرف A مقلـوب يمكـن التعرف إليه بوضـوح، ويمكن ملاحظته

بسرعة من قبل أي شخص يمسح الغابة، ويبحث عنه بالتحديد.

توجه بوش نحو شجرة الكينا، متيقناً أنه عثر على العلامة الأولى التي اتبعها ويتس، وعندما وصل إلى الموقع، نظر مرة أخرى في اتجاه القبر، وبحث ببطء حتى عثر على شذوذ آخر واضح وفريد في المنطقة المجاورة، فمشى نحوه، لقد كانت شجرة بلوط صغيرة من كاليفورنيا، ما لفت انتباهه إليها من مسافة بعيدة هو أن توازنها الطبيعي كان يعاني من خطب ما، فقد فقدت الانتشار المتماثل لأغصانها بسبب فقدان أحد الأغصان السفلى.

سار بوش نحوها، ونظر إلى كسر نتوء على الجذع حيث تم إرفاق طرف يبلغ سمكه أربع بوصات لأعلى بحوالى ثماني أقدام، ومن خلال الإمساك بفرع سفلي وسحب نفسه نحو الشجرة، كان قادراً على فحص الكسر أكثر عن كثب، ووجد أنه لم يكن كسراً طبيعياً. أظهر النتوء شقاً ناعماً من خلال النصف العلوي من الفرع، فقد نشر شخص ما الجزء العلوي من الفرع وسحبه لكسره، لم يكن بوش خبيراً بالأشجار، ولكن النشر والقطع بدوا حديثين، فلبّ الخشب المكشوف فاتح اللون، وليس هناك ما يدل على إعادة النمو أو التعافي الطبيعي.

جثا بوش على الأرض، ونظر حوله إلى الأغصان، ولم يعثر على الطرف الساقط في أي مكان، فقد سُحب بعيداً حتى لا يُلاحظ ويثير الشكوك، بالنسبة إليه كان هناك دليل آخر على أن خدعة هانسيل وغريتيل قد تُركت ليتبعها ويتس، فالتفت ونظر في اتجاه نهاية الغابة، والذي يبعد أقل من عشرين ياردة عن القبر، وبسهولة وجد العلامة الأخيرة.

فعلى قمة شجرة البلوط التي ظللت القبر هناك عشّ يشبه منزل طائر كبير أو بومة أو صقر، توجه نحوه، ونظر إلى الأعلى، لقد قال ويتس، أنه وضع علامة على النقطة التي أزالها فريق الأدلة الجنائية، وبالنظر إلى الجزء العلوي من الشجرة، لم يستطع بوش رؤية العش من الأسفل مباشرة، لقد

خطط أوليفاس بشكل جيد لذلك، لقد استخدم ثلاث علامات يمكن التعرف إليها فقط من مسافة بعيدة، لا شيء من شأنه أن يلفت انتباه أولئك الذين يتبعون ويتس، ولكن ثلاث علامات يمكن أن تقوده بسهولة إلى موقع القبر، فعندما نظر إلى القبر المفتوح عند قدميه، تذكر أنه لاحظ اضطرابا في التربة في اليوم السابق، وقد عزا ذلك إلى أن أحد الحيوانات قد نبش في التراب، والآن يظن أن الاضطراب كان المقصود منه تحديد موقع القبر، لقد أتى أوليفاس قبلهم، وميّز الطريق وحدد مكان القبر، إما لأنه أُخبر بمكانه أو لأن القاتل الحقيقي قاده إليه.

حدق بوش إلى القبر، وفكّر لثوان بالسيناريو قبل أن يسمع أصواتاً، إنها أصوات رجلين يتحدثان، وبدا أنهما يقتربان، استطاع بوش سماعهما يتحركان عبر الأغصان، وكانت أقدامهما تدوس في الوحل وعلى الأوراق المتساقطة. إنهما قادمان من الجهة نفسها التي أتى منها، أسرع بالاختباء خلف جذع شجرة البلوط، وانتظر، وسرعان ما استطاع أن يعرف أن الرجلين قد وصلا إلى الموقع.

قال الصوت الأول: «هنا، لقد كانت هنا منذ ثلاثة عشر عاماً».

«لا بدّ وأنك تمزح. تباً، هذا مرعب».

لم يخاطر بوش بإلقاء نظرة عليهما كي لا يكشف نفسه، بغض النظر عمن كانا - إعلاميين، أو رجلي شرطة أو حتى سائحين - لم يرد أن يراه أحد هنا.

للحظات تحرك الرجلان في المكان ذهاباً وإياباً وهما يتحدثان، ومن حسن حظ هاري أنهما لم يقتربا من جذع البلوط حيث يختبئ، أخيراً سمع بوش أحدهما يقول: «حسناً، دعنا نخرج من هنا، وننجز ما أتينا من أجله». انطلق الرجلان في الاتجاه الذي أتيا منه.

نظر بوش من خلف الشجرة، وألقى نظرة خاطفة عليهما قبل أن يختفيا بين الأغصان، رأى أوساني ورجلاً آخر ظن أنه من فريق إطلاق النار، وبعد

منحهما وقتاً كافياً للمغادرة، تحرك بوش حول الشجرة وعبر موقع القبر، اتخذ مكاناً خلف شجرة الكينا، وراقب عودة الرجلين إلى الوراء بسبب الجرف الذي خلّفه الانزلاق الطيني، أحدث أوساني وشريكه جلبة عالية وهما يمشيان عبر الأغصان بحيث كان من السهل جداً على بوش أن يشق طريقه نحو الجرف أيضاً، مستغلاً الجلبة التي أحدثاها وصل إلى الكينا التي كان عليها علامة ويتس الأولى، وشاهد الرجلين يستعدان لأخذ القياسات من أسفل الجرف إلى الأعلى، كان هناك سلم الآن، وضع في المكان الذي وضع فيه السلم بالأمس، أدرك بوش أن الرجلين يعدلان التقرير الرسمي، ويأخذان قياسات المسافة التي نُسيت أو اعتبرت غير ضرورية بالأمس، ولكن اليوم، وفي ضوء التداعيات السياسية، أصبح كل شيء ضرورياً.

صعد أوساني السلم إلى القمة بينما بقي شريكه في الأسفل، ثم أخذ شريطاً من حزامه وسحب عدة أطوال، ممراً النهاية إلى شريكه. حين كان أوساني يأخذ القياسات، كان شريكه يدوّنها في دفتر ملاحظات. بدا الأمر لبوش كما لو أنهما يقيسان أطوالاً مختلفة من البقعة على الأرض في المكان الذي كان فيه في اليوم السابق إلى المواقع التي كان فيها ويتس وأوليفاس ورايدر. لم يكن لدى بوش فكرة عن أهمية مثل هذه القياسات بالنسبة إلى التحقيق.

بدأ هاتف بوش يهتز في جيبه، فسحبه بسرعة، وأغلقه، وعندما انطفأت الشاشة، رأى أن الرقم الوارد يبدأ بـ 485، فأدرك أنها مكالمة من باركر سنتر.

بعد ثوانٍ عدة، سمع بوش رنين هاتف خلوي في الموقع حيث كان يعمل أوساني والرجل الآخر. نظر بوش من خلف الشجرة، ورأى أوساني يخرج هاتفه من حزامه، واستمع إلى المتصل، ثم ألقى نظرة شاملة حول الغابة، ودار 360 درجة، فتوارى بوش عن الأنظار.

قال أوساني: «لا، أيها الملازم، لا نراه. السيارة في المرأب، لكننا لا

نراه. لا نرى أحداً هنا».

استمع أوساني إلى المزيد من الكلمات، وقال نعم عدة مرات، عندما انتهت المكالمة، أغلق هاتفه وأعاده إلى حزامه، عاد إلى العمل مع شريط القياس، وفي غضون دقيقة أو نحو ذلك، كان لدى رجلي فريق إطلاق النار ما يحتاجان إليه، صعد شريك أوساني السلم ثم سحبه وشريكه، في تلك اللحظة لاحظ أوساني أن الحبل يلتف حول جذع شجرة البلوط الأبيض على حافة الجرف، فوضع السلم على الأرض وذهب إلى الشجرة، سحب الحبل من حول الجذع، ولفه، في أثناء ذلك جال بعينيه في أرجاء الغابة. تراجع بوش خلف أحد جذعي شجرة الكينا، وبعد بضع دقائق ذهبا، توجها إلى مرأب السيارات وهما يصدران صوتاً عالياً بسبب خوضهما في الوحل، حيث كانا يحملان السلم بينهما. ذهب بوش إلى الجرف، ولكنه انتظر حتى لم يعد بإمكانه سماع جلبة رجلي فريق إطلاق النار، ثم استخدم الجذور كمقابض للتسلق، وعندما وصل إلى مرأب السيارات، لم يكن هناك أي أثر لأوساني وشريكه. أعاد بوش تشغيل هاتفه، وانتظر حتى يُقلع، ليرى إن ترك له المتصل من مركز باركر رسالة، وقبل أن يتمكن من الاستماع، بدأ الهاتف بالاهتزاز في يده، وتعرف إلى الرقم باعتباره أحد الخطوط من وحدة القضايا غير المحلولة، وتلقى المكالمة.

«أنا بوش».

«هاري، أين أنت؟». إنه أبل برات، بدا من صوته وكأن الأمر طارئ وملح.

«لماذا؟».

«أين أنت؟».

شعر بوش أن برات يعرف مكانه بالضبط.

«أنا في بيتشوود كانيون، ما الذي يحدث؟».

كانت هناك لحظة صمت قبل أن يردّ برات، واستبدل نبرة صوته العاجلة بأخرى متذمرة.

«ما يحدث هو أنني تلقيت للتو مكالمة من الملازم راندولف من فريق إطلاق النار. يقول إن هناك سيارة موستانغ مسجلة باسمك مركونة في قطعة أرض هناك. أخبرته أن هذا غريب حقاً، لأن هاري بوش في الخدمة المنزلية، ومن المفترض أن يبقى على بعد مليون ميل من التحقيق في بيتشوود كانيون».

فكّر بوش بسرعة، وقال ما ظنه مخرجاً: «أنا لا أحقق بأي شيء. لقد فقدت قطعة التحدي النقدية الخاصة بي هنا أمس، أنا فقط أبحث عنها».

«ماذا؟».

«قطعة التحدي الخاصة بي، لا بدّ أنها سقطت من جيبي عندما كنت أنحني نحو شيء أسفل المنحدر، وعندما وصلت إلى المنزل الليلة الماضية لم تكن في جيبي».

أثناء تحدثه، مدّ بوش يده إلى جيبه، وسحب القطعة النقدية التي كان يدّعي فقدانها. كانت عملة معدنية ثقيلة، بحجم قرص كازينو تقريباً، ظهر على أحد وجهيها شارة المحقق الذهبي، وعلى الجانب الآخر صورة كاريكاتورية لمحقق - بذلة وقبعة ومسدس وذقن مبالغ فيها على خلفية علم أميركي. كانت تعرف باسم قطعة التحدي، وكان قد حملها من تمارين النخبة والوحدات العسكرية المتخصصة، فعند القبول في الوحدة، يُمنح الجندي قطعة التحدي، ويُتوقَع منه أن يحملها دائماً، في أي وقت أو مكان يمكن لعضو الوحدة أن يطلب رؤية القطعة، وغالباً ما يحدث هذا في بار أو مقصف، فإذا نسي المحقق حمل القطعة، فسيدفع الحساب. يعود هذا التقليد لعدة سنوات وقد حصل بوش على عملته المعدنية عندما عاد من التقاعد.

قال برات بغضب: «اللعنة على القطعة يا هاري، يمكنك استبدالها بعشرة

دولارات، ابتعد عن التحقيق، عد إلى منزلك، وابق هناك حتى أخبرك، هل هذا واضح؟».

«نعم، أفهمك تماماً».

«علاوة على ذلك، تباً للأمر، فلو فقدت قطعتك المعدنية، لكان فريق الأدلة الجنائية قد اكتشفها بالفعل، فلقد ذهبوا إلى الموقع مع جهاز كشف عن المعادن للبحث عن عيارات نارية».

أومأ بوش برأسه: «نعم، لقد نسيت ذلك».

«ماذا نسيت يا هاري! أتتلاعب بي؟».

«لا، يا سيدي، صدقني لقد نسيت، وبما أنني أشعر بالملل قررت المجيء والبحث عنها، رأيت رجلي راندولف، وقررت إبقاء رأسي منخفضاً، لم أعتقد أنهما سيبلغان عن سيارتي».

«حسناً، لقد فعلا، تلقيت المكالمة، لا أحب الأفعال السلبية مثل هذا، يا هاري، أنت تعرف ذلك».

«حسناً، سأذهب إلى المنزل حالاً».

«جيد، ابقَ هناك».

أنهى برات المكالمة من دون أن ينتظر ردّ بوش. عندها أغلق بوش هاتفه، وقلّب القطعة المعدنية في الهواء، وأمسك بها في راحة يده، حيث كان جانب الشارة إلى الأعلى، ثم وضعها في جيبه، وذهب إلى سيارته.

24

شـيء ما جعل بوش لا يعود إلى منزله، فبعد مغادرته بيتشـوود كانيون، توقف في سانت جو للاطمئنان على كيز رايدر؛ لقد غيروا مكانها مرة أخرى، وهي الآن خارج وحدة العناية المشـددة في قسـم المرضى العاديين. لم يكن لديها غرفة خاصة، ولكن السرير الآخر في الغرفة كان فارغاً، وغالباً ما كانوا يتركون سريراً فارغاً إذا كان في الغرفة أحد من أفراد الشرطة.

لا تزال تعاني من صعوبة في التحدث، ولـم يكن انزعاج الاكتئاب الذي أظهرته في ذلك الصباح قد تلاشى. لم يبقَ بوش طويلاً، فقد نقل لها تمنيات إدغـار بالشـفاء، ثـم غادر عائداً إلى المنزل وفقـاً للتعليمات. نقل الصندوقين الكرتون والملفات التي كان قد جمعها سابقاً من وحدة القضايا غير المحلولة. وضع الصندوقين على الأرض في غرفة الطعام، ونشر الملفات على الطاولة. كانـت كثيـرة، وكان يعـرف أنه من المحتمل أن يشـغل نفسـه لبضعة أيام على الأقـل بمـا جلبـه مـن المكتب. ذهب إلى السـتريو وشـغله، وأدرك أنه شـغّل مقطوعـة كولترانـي ومونـك مـن قاعـة كارنيجـي، حيـث كان المشـغل يعمل بوضعيـة الخلـط. كانـت الأغنية الأولى التي ظهرت بعنوان «الدليل»، وهذا ما اعتبـره بـوش طالعـاً جيـداً. عندما عاد إلى الطاولـة للبدء كان عليه إجراء جرد لما لديه بالضبط حتى يتمكن من تحديد كيفية التعامل مع مراجعته للمادة.

أولاً، وقبل كل شيء كان هناك نسخة من سجل التحقيق في القضية الحالية التي تم ملاحقة راينارد ويتس فيها، وقد سلمه إياها أوليفاس، ولكن بوش ورايدر لم يدرساها عن كثب لأن مهامهما وأولوياتهما كانت قضيتي فيتزباتريك وغيستو. وعلى الطاولة، كان لدى بوش أيضاً كتاب القتل الخاص بفيتزباتريك، فقد سحبته رايدر من الأرشيف بالإضافة إلى نسخته السرية من كتاب القتل الخاص بغيستو، الذي أكمل مراجعته.

أخيراً، كان هناك صندوقان بلاستيكيان على الأرض يحتويان على سجلات رهن، أُنقذت من متجر فيتزباتريك، ثم غمرت بمياه خراطيم رجال الإطفاء خلال أعمال الشغب في العام 1992.

كان هناك درج صغير في جانب طاولة غرفة الطعام، اكتشف بوش أنه صمم للأواني الفضية، ولكن بما أنه استخدم الطاولة في كثير من الأحيان للعمل عليها بدلاً من تناول الطعام، فقد احتوى الدرج على مجموعة متنوعة من الأقلام والأوراق القانونية، سحب قلماً وورقة، فهو بحاجة إلى تدوين الجوانب المهمة من التحقيق الحالي. بعد عشرين دقيقة وثلاث صفحات ممزقة ومجعدة، ملأت أفكاره الحرة أقل من نصف صفحة:

القبض
إيكو بارك

الهروب (رد لاين)
من هو ويتس؟ أين القلعة؟ (الوجهة:
إيكو بارك)
خدعة بيتشوود كانيون، اعتراف كاذب
من المستفيد؟ ولماذا الآن؟

درس بوش الملاحظات للحظات، وكان يعلم أن آخر سؤالين كتبهما، هما في الواقع نقطة البداية. فإذا سارت الأمور حسب الخطة، فمن المستفيد

من اعتراف ويتس الكاذب؟ إنه ويتس، حيث يمكن قول ذلك، من خلال تجنب عقوبة الإعدام. لكن المستفيد الحقيقي كان القاتل الحقيقي. كان من الممكن إغلاق القضية، وإيقاف كل التحقيقات، وسيهرب القاتل الحقيقي من العدالة.

نظر بوش إلى السؤالين مرة أخرى: من المستفيد؟ ولماذا الآن؟ نظر إليهما بعناية، ثم عكس ترتيبهما ونظر مرة أخرى، وتوصل إلى استنتاج واحد. خلقت تحقيقاته المستمرة في قضية ماري غيستو حاجة إلى القيام بشيء ما الآن، ظن أنه طرق بشدة على باب شخص ما، وأن خطة بيتشوود كانيون بأكملها، قد نشأت بسبب الضغط الذي استمر في ممارسته على القضية. أدى هذا الاستنتاج إلى الإجابة عن السؤال الآخر في أسفل الورقة، من المستفيد؟ كتب بوش:

أنتوني غارلاند - هانكوك بارك

طيلة 13 عاماً، أخبرته فطرته أن غارلاند هو الشخص الوحيد، ولكن باستثناء فطرته لم يكن هناك دليل يربط غارلاند مباشرة بجريمة القتل، لم يتم إخبار بوش حتى الآن بالأدلة، وإن وجدت، فقد تم تطويرها أثناء نبش الرفات وفحصه، لكنه شكك أنه بعد ثلاثة عشر عاماً لن يكون هناك أيُّ شيء قابل للاستخدام - فلا الدي أن أيه ولا التحاليل الجنائية يمكنها أن تربط القاتل بالجثة، كان غارلاند مشتبهاً به تحت عنوان نظرية «استبدال الضحية».

أي أن غضبه من المرأة التي أسقطته، دفعه إلى قتل امرأة ذّكرته بها. قد يدعوها أطباء النفس بنظرية المحاولة الطويلة، لكن بوش نقلها الآن إلى الأمام والوسط. اعتقد أن غارلاند كان ابن توماس ريكس غارلاند، وهو بارون نفط ثري من هانكوك بارك.

كان أوشيا في معركة انتخابية حامية الوطيس، وكان المال هو البنزين الذي أبقى على محرك الحملة قيد العمل. لم يكن مستغرباً أن يتم اتباع نهج هادئ لتوماس ريكس، فعن طريق إبرام صفقة وتنفيذ خطة، يحصل أوشيا على المال الذي يحتاج إليه للفوز بالانتخابات، ويحصل أوليفاس على الموافقة

ليصبح رئيس المحققين في مكتب أوشيا، ويتحمّل ويتس ذنب جريمة غيستو بينما يهرب غارلاند من العدالة.

قيل إن لوس أنجلوس كانت مكاناً مشمساً للأشخاص المشبوهين، وقد عرف بوش ذلك أفضل من الجميع. لم يتردد في الاعتقاد أن أوليفاس كان جزءاً من مخطط كهذا، ولم تجعله فكرة أن أوشيا، المدعي العام المحترف، الذي يبيع روحه من أجل الوصول للأعلى، يتوقف لفترة طويلة. «اهرب أيها الجبان! كيف يبدو الآن اتفاقك المليء بالهراء».

فتح هاتفه واتصل بكيشا الصحفية في التايمز، نظر إلى ساعته بعد عدة رنات، ورأى أنها تجاوزت الخامسة بدقائق، أدرك أنها ربما تكون مشغولة بالعمل، وقد تتجاهل مكالماته، ترك رسالة مستعجلة، يطلب منها الاتصال مرة أخرى، ولأن الوقت كان متأخراً جداً، قرر أنه يستحق الحصول على بيرة. ذهب إلى المطبخ، وأخرج قنينة أنكور ستيم. بدا سعيداً، فقد انتشى في آخر مرة اشترى فيها البيرة. أخذ قنينة، ووضعها على الطاولة، وبدأ يراقب ساعة الذروة على الطريق السريع أدناه، تباطأت حركة المرور لدرجة كبيرة، وبدأ الصوت المستمر لأبواق السيارات من جميع الأنواع، كان الصوت بعيداً بما يكفي لكي لا يؤثر عليه.

شعر بوش بالسعادة، لأنه لم يكن جزءاً من الزحام في الأسفل، رن هاتفه، فسحبه من جيبه، إنها كيشا.

«آسفة، لقد كنت أدقق مقال الغد مع الكاتب».

«آمل أنكِ كتبتِ اسمي بشكل جيد».

«في الواقع، ليس هناك من ذكر لاسمك في المقال، يا هاري، مفاجأة».

«يسعدني سماع هذا».

«ما الذي تستطيع أن تفعله من أجلي؟».

«آه، كنت سأطلب منكِ أن تفعلي شيئاً من أجلي».

«بالطبع، ما الأمر؟».

أنتِ مراسلة سياسية الآن، أليس كذلك؟ هل هذا يعني أنكِ تستطيعين النظر إلى مساهمات الحملات الانتخابية؟».

«نعم أنا أفعل ذلك، أنا أراجع كل إيداع من قبل كل مرشح من المرشحين، لماذا؟».

دخل وكتم صوت الستريو وقال: «ما سأخبرك به ليس للنشر، يا كيشا. أودّ أن أعرف من كان يدعم حملة ريك أوشيا».

«أوشيا؟ لماذا؟».

«سأخبرك عندما أستطيع، أنا فقط بحاجة إلى المعلومات الآن».

«لماذا تفعل بي هذا دائماً يا هاري؟».

كانت محقة، لقد حدث مثل هذا الموقف عدة مرات في الماضي، لكن بوش لم يكذب عندما قال إنه سيخبرها عندما يستطيع إخبارها، لم يخدعها ولا مرة، لذلك كانت احتجاجاتها عبارة عن مزاح، فهي تفعل ما يطلبه منها، وكان هذا جزءاً من المزاح بينهما أيضاً.

قال وهو يقوم بدوره المعتاد في المحادثة بينهما: «أنتِ تعرفين لماذا، فقط ساعديني، وسيكون هناك شيء لك عندما يحين الوقت المناسب».

«يوماً ما أريد أنا أن أقرر متى يحين الوقت، انتظر».

وضعت الهاتف جانباً، وغادرت لدقيقة، وبينما كان بوش ينتظر، وقف عند الوثائق المبعثرة على طاولة غرفة الطعام. كان يلف ويدور حول هذه الزاوية بخصوص أوشيا وغارلاند. علم أنه لا يمكن الاقتراب منهما في الوقت الحاضر، فقد كانا بحماية المال والقانون والقواعد التي تخصّ الأدلة. علم أيضاً أن زاوية التحقيق الصحيحة كانت بالذهاب إلى راينارد ويتس، وكانت وظيفته العثور عليه، وفتح القضية.

قالت كيشا بعد عودتها إلى الخط: «حسناً، لديّ أحدث إضبارة، ما الذي

تريد معرفته؟».

«كم هي حديثة المعلومات التي بحوزتك؟».

«تم إعداد هذا الملف الأسبوع الماضي، الجمعة».

«من هم المساهمون الرئيسيون لديه؟».

«لا يوجد أحد مهم حقاً، إذا كان هذا ما تقصده، فهو في الغالب يدير حملة على مستوى القاعدة الشعبية، ومعظم مساهميه زملاء محامون، جميعهم تقريباً».

فكّر بوش في شركة سينشري سيتي للمحاماة التي أدارت بعض الأمور لعائلة غارلاند والتي حصلت على أوامر المحكمة التي تمنع بوش من استجواب أنتوني غارلاند بخصوص ماري غيستو من دون حضور محام. كان رئيس الشركة يُدعى سيسيل دوبس.

«هل أحد هؤلاء المحامين هو سيسيل دوبس؟».

«أم... نعم، سيسيل دوبس، عنوان سينشري سيتي، ساهم بألف».

تذكر بوش المحامي في مجموعته من مقابلات الفيديو المسجلة مع أنتوني غارلاند.

«وماذا عن دنيس فرانكس؟».

«فرانكس، نعم، ساهم كثيرون من تلك الشركة».

«ما الذي تعنيه؟».

«حسناً، وفقاً لقانون الانتخابات، فأنت تعطي عنوان منزلك وعملك عندما تقدم مساهمة ما، ولدى دوبس وفرانكس عنوان العمل في سينشري سيتي. دعنا نرَ، تسعة، عشرة، أحد عشر شخصاً آخرون أعطوا العنوان نفسه، كلّ شخص منهم قدم ألفاً أيضاً، ربما جميع المحامين في الشركة نفسها».

«إذن ثلاثة عشر ألف دولار من هناك، أليس كذلك؟».

«هذا من الشركة، نعم».

فكّر بوش إن كان عليه أن يسأل على وجه التحديد إن كان اسم غارلاند على قائمة المساهمين، ولم يكن يريدها أن تجري مكالمات هاتفية أو أن تتطفّل على تحقيقه.

«لا مساهمات من الشركات الكبيرة؟».

«لا شيء مهم، لماذا لا تخبرني عما تبحث عنه، يا هاري؟ ثق بي».

قرر أن يخبرها بالأمر.

«يجب عليكِ أن تبقي الأمر سراً إلى أن أُخبركِ، لا مكالمات هاتفية، ولا استفسارات، يجب أن تتكتمي على الأمر، حسناً؟».

«حسناً، حتى تخبرني».

«هل هناك شخص باسم غارلاند، توماس ريكس غارلاند، أنتوني غارلاند، هناك؟».

«أمم، لا. أليس أنتوني غارلاند هو الفتى الذي كنت تبحث عنه ذات مرة بخصوص ماري غيستو؟».

شتم بوش بصوت عالٍ تقريباً، كان يأمل ألا تتذكر، فقبل عقد من الزمن، عندما كانت مراسلة لدى الشرطة، صادفت طلب مذكرة بحث قدمه في محاولة للبحث عن منزل أنتوني غارلاند. رُفض الطلب لانتفاء سبب مقنع، ولكن الملف كان ذا رقم عام. وفي ذلك الوقت، قامت كيشا، الصحفية الدؤوبة، بتمشيط روتيني من خلال أوامر التفتيش في المحكمة، وكان بوش قد تحدث معها عن كتابة مقال تذكر فيه أن سليل عائلة النفط المحلية مشتبه فيه في قتل غيستو، وها هي تتذكر الأمر بعد عقد من الزمن.

أجابها: «لا يمكنكِ أن تفعلي أي شيء بخصوص هذه المعلومة، يا كيشا».

«ما الذي تفعله؟ اعترف راينارد ويتس بقتل غيستو، أتقول إن هذا هراء؟».

«أنا لا أقول شيئاً، كنت ببساطة أشعر بالفضول حول شيء معين، الآن لا يمكنكِ فعل أي شيء بهذا، لدينا اتفاق، وعليك التزام الصمت حتى أُخبركِ».

«أنت لست رئيسي، يا هاري، كيف تتحدث معي وكأنك رئيسي؟».

«أنـا آسـف، أنـا لا أريـدكِ أن تتحمسـي، ويجن جنونـك بخصوص هذا الأمـر. يمكـن أن يكون ما سـأعثر عليـه مؤذياً، لدينا اتفاق، أليس كذلك؟ لقد قلتِ للتو إنه يمكنني الوثوق بكِ».

مر وقت طويل قبل أن تجيب: «نعم، لدينا اتفاق، ونعم، يمكنك الوثوق بـي، ولكـن إذا كان هـذا الأمـر سـيذهب حيـث أعتقـد أنك ذاهـب، فأنا أريد تحديثـات وتقاريـر. لـن أجلـس منتظـرة أن أسـمع منك بعـد أن تحصل على الحزمة الكاملة مجتمعة. إذا لـم أسمع منك أخباراً، يا هاري، فسأشعر بالتوتر، وعندما أشعر بالتوتر أفعل بعض الأشياء المجنونة، وأقوم ببعض المكالمات الهاتفية المجنونة».

هزّ بوش رأسه. ما كان يجدر به الاتصال بها.

قال: «أنا أفهم، يا كيشا، ستسمعين عما قريب أخباراً مني».

أنهى المكالمة متسائلاً عن الجحيم الذي أطلقه للتو على الأرض، ومتى سـيعاود مهاجمتـه وثـق بكيشـا، ولكـن إلى الحـدّ الذي يمكـن أن يثق به بأيّ مراسل آخر، أنهى قنينة البيرة، وذهب إلى المطبخ لجلب أخرى، وبمجرد أن مدّ يده إلى الأعلى، رنّ هاتفه، إنها كيشا راسل مرة أخرى.

«هـاري، هـل سـمعت عـن جي أو! للصناعـات؟ كانت ملكـه، جي أو! للصناعـات هـي عنـوان الملكية الحالي لشـركة بدأت قبل ثمانين عاماً باسـم صناعات غارلاند النفطية، لدى الشركة شعار جي أو! وهو عبارة عن عجلات رملية مائلة إلى الأمام لتبدو كما لو كانت سيارة مسرعة».

أجاب هو: «ماذا بها؟».

«يقع مقرها الرئيسي في وسط أركو بلازا، تمكنتُ من إحصاء اثني عشر موظفاً في جي أو! ساهم كل واحد منهم بألف دولار في حملة أوشيا، كيف ذلك؟».

«لا بأس يا كيشا، شكراً لأنك عاودت الاتصال».

«هل تلقى أوشيا نقوداً لإلصاق التهمة بويتس؟».

صرخ بوش في الهاتف: «لا، يا كيشا، لم يكن هذا ما حدث وهذا ليس ما أبحث عنه. إذا أجريتِ أي مكالمات في هذا الصدد، فستعرّضين ما أقوم به للخطر، وقد تعرّضين نفسك والآخرين للخطر، هل يمكنك الآن نسيان الأمر حتى أتمكن من إخباركِ بالضبط بما يحدث ومتى يمكنكِ البوح به؟».

مجدداً، ترددت قبل أن تجيب. وفي هذا الفضاء من الصمت، بدأ بوش يتساءل هل بإمكانه الوثوق بها؟ ربما غيّر انتقالها من الشرطة إلى السياسة شيئاً فيها، ربما، كما هو الحال مع معظم الذين عملوا في عالم السياسة. فقد تراجع إحساسها بالنزاهة نتيجة التعرض لأقدم مهنة في العالم: العهر السياسي.

«حسناً، يا هاري، فهمت، كنت أحاول المساعدة فحسب، لكن تذكر ما قلته، أريد أن أسمع منك عما قريب».

«ستسمعين يا كيشا، تصبحين على خير».

أغلق الهاتف، وحاول التخلص من مخاوفه بشأن المراسلة، وفكّر بما حصل عليه من معلومات منها. فبين جي أو! للصناعات وشركة سيسيل دوبس للمحاماة، تلقى أوشيا ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألفاً في مساهمات الحملة من الأشخاص الذين يمكن ربطهم بشكل مباشر بعائلة غارلاند. لقد انتشرت للعلن وهي قانونية، ولكن مع ذلك، كان مؤشراً قوياً على أن بوش يسلك المسار الصحيح.

شعر بانقباض في أحشائه، وكان لديه شيء للعمل عليه الآن؛ عليه فقط أن يجد الزاوية الصحيحة لكي يعمل من خلالها. جلس إلى الطاولة في غرفة الطعام، ونظر إلى مجموعة تقارير وسجلات الشرطة المبعثرة أمامه، والتقط الملف الذي يحمل الخلفية الخاصة بويتس وبدأ القراءة.

25

من وجهة نظر قانونية، اشتُبه برايناردويتس صدفة، وعندما فُتشت عربته في إيكو بارك، قبض قسم شرطة لوس أنجلوس على قاتل لم تكن الإدارة تبحث عنه. في الواقع، كان ويتس قاتلاً لا يبحث عنه أي قسم أو وكالة، لم يكن هناك ملف خاص به في أي درج أو جهاز كمبيوتر في أي مكان، ولم يكن هناك ملف تعريف لمكتب التحقيقات الفدرالي أو موجز للإشارة إليه. كان لديهم قاتل وكان عليهم البدء من الصفر معه.

قدّم ذلك زاوية جديدة تماماً للتحقيق مع المحقق فريدي أوليفاس وشريكه تيد كولبيرت، لقد جاءت القضية إليهما بزخم كبير، وهذا دفعهما ببساطة إليها. كان كل شيء يتعلق بالمضي قدماً، نحو الملاحقة القضائية، وكان هناك القليل من الوقت أو الميل إلى التراجع. قُبض على ويتس لحيازة أكياس تحتوي على أشلاء امرأتين، لقد كان غبياً، وهذا حال دون البحث عن حقيقة الشخص المحتجز، وما الذي أتى بعربته إلى ذلك الشارع في ذلك الوقت.

لم يساعد ملف بوش في هذه القضية إلا قليلاً، حيث تضمن الملف سجلات أعمال التحقيق المتعلقة بمحاولات التعرف إلى الضحايا، وجمع الأدلة المادية معاً للمحاكمة الوشيكة، كانت معلومات الخلفية في الملف

ببساطة عبارة عن بيانات أساسية عن ويتس إما قدّمها المشتبه به نفسه أو تم اختيارها من قبل أوليفاس وكولبيرت أثناء عمليات البحث الروتينية على الكمبيوتر، وكانت النتيجة الأساسية أنهما لم يعرفا الكثير عن الرجل الذي كانا يحاكمانه، ولكن ما عرفاه كان كافياً.

أكمل بوش قراءة الملف في عشرين دقيقة، وعندما انتهى، كان لديه أقل من نصف صفحة من الملاحظات على شكل خريطة. قام ببناء جدول زمني قصير يرسم اعتقالات المشتبه به، ودخوله إلى القسم، واستخدامه اسمي راينارد ويتس وروبرت ساكسون.

30/ 4/ 92 - مقتل دانيال فيتزباتريك هوليوود.
18/ 5/ 92 - راينارد ويتس، تاريخ الولادة 11/ 3/ 71. إصدار دي أل هوليوود
2/ 01/ 93 - روبرت ساكسون، تاريخ الولادة 11/ 3/ 71، عبر دي إل. بصمة إصبع
9/ 09/ 93 - خطف ماري غيستو، هوليوود
5/ 11/ 06 - راينارد ويتس، دوب 11/ 3/ 71، تم اعتقاله في 187 إيكو بارك.

درس بوش الجدول الزمني، ووجد شيئين جديرين بالملاحظة، من المفترض أن ويتس لم يحصل على رخصة قيادة حتى أصبح في العشرين من عمره، وبغض النظر عن الاسم الذي استخدمه، كان دائماً ما يعطي يوم الميلاد والشهر نفسيهما، في إحدى المرات قال إنه وُلد في العام 1975 في محاولة لجعلهم يعتبرونه من الأحداث، في أوقات أخرى قال إنه وُلد عام 1971، وكان بوش يعرف أن هذه ممارسة يستخدمها الأشخاص الذين يبدلون الهويات، والاسم، ولكنهم يحتفظون ببعض التفاصيل لتجنب الخلط أو نسيان المعلومات الأساسية خاصة إذا طلبها شرطي.

عرف بوش من عمليات البحث في السجلات في وقت سابق من الأسبوع أنه لا يوجد سجل ولادة لراينارد ويتس أو روبرت ساكسون مع تاريخ الميلاد المقابل 11/ 03 في مقاطعة لوس أنجلوس، وكان الاستنتاج الذي توصل إليه هو وكيز رايدر أن كلا الاسمين كانا زائفين، ولكن بوش يظن الآن أن تاريخ الميلاد 11/ 03/ 71 ربما لم يكن زائفاً، ربما ويتس، أو مهما يكن اسمه، قد احتفظ بتاريخ ميلاده الحقيقي عندما غيّر اسمه.

نظر بوش إلى الفترة الزمنية القريبة جداً بين تاريخ مقتل فيتزباتريك وتاريخ إصدار رخصة قيادة ويتس، إنه أقل من شهر، وأضاف إلى حقيقة أنه وفقاً للسجلات لم يتقدم ويتس بطلب للحصول على رخصة قيادة حتى أصبح في العشرين من عمره، اعتقد أنه من غير المحتمل أن ينتظر فتى نشأ في لوس أنجلوس حتى يبلغ العشرين من عمره للحصول على رخصة القيادة الخاصة به. كان هناك مؤشر آخر على أن راينارد لم يكن اسمه، بدأ بوش يشعر بذلك، مثل راكب الأمواج في انتظار الموج قبل أن يبدأ في التجذيف، شعر بموجاته قادمة، وكان يعتقد أن ما ينظر إليه هو ولادة هوية جديدة، فبعد ثمانية عشر يوماً من مقتل دانيال فيتزباتريك بسبب أعمال الشغب، دخل الرجل الذي قتله إلى مكتب قسم المركبات في هوليوود، وتقدم بطلب للحصول على رخصة قيادة، أعطى 3 تشرين الثاني عام 1971، بمثابة تاريخ ميلاد واسم راينارد ويتس، كان سيتعين عليه تقديم شهادة ميلاد، لكن ذلك لم يكن أمراً يصعب تدبره إذا كان يعرف الأشخاص المناسبين.

في هوليوود، وفي لوس أنجلوس، كان الحصول على شهادة ميلاد زائفة، مهمة سهلة وغير خطرة تقريباً. يعتقد بوش أن هناك ترابطاً بين مقتل فيتزباتريك وتغيير الهوية، ترابط السبب والنتيجة، فشيء ما بخصوص جريمة القتل جعل القاتل يغير هويته، وهذا ينفي الاعتراف الذي تقدم به راينارد قبل يومين، والذي وصف قتل دانييل فيتزباتريك بطريقة القتل المثيرة؛ كانت فرصة

لإشباع الخيال منذ مدة طويلة. وذهب بعيداً في اعتقاده بتصوير فيتزباتريك بمثابة ضحية اختيرت عشوائياً؛ تم اختياره ببساطة لأنه كان هناك.

لكن، إذا كان هذا هو الحال بالفعل، وإذا لم يكن للقاتل صلة سابقة بالضحية، فلماذا تصرف القاتل على الفور ليمنح نفسه هوية جديدة؟ ففي غضون ثمانية عشر يوماً، حصل القاتل على شهادة ميلاد مزورة، وحصل على رخصة قيادة جديدة، عندها وُلد راينارد ويتس.

يعلم بوش أن هناك تناقضاً في ما كان يفكر فيه، إذا كان قتل فيتزباتريك قد حدث كما اعترف ويتس، فليس هناك من سبب يجعله يسعى إلى هوية جديدة بسرعة، لكن الحقائق؛ الجدول الزمني لجريمة لقتل، وإصدار رخصة القيادة يتناقض مع هذا، وهذا ما جعل بوش يستنتج بوضوح، أن هناك ترابطاً، وأن فيتزباتريك لم يكن ضحية عشوائية، في الواقع، يمكن ربطه بطريقة ما بقاتله، ولهذا السبب غيّر قاتله اسمه.

نهض بوش، وأخذ القنينة الفارغة إلى المطبخ، وقرر أن احتساء قنينتين كافٍ، فقد كان بحاجة إلى البقاء يقظاً ومتنبهاً. عاد إلى الستريو وشغّل تحفة تدعى «نوع من موسيقى البلوز»، لم تفشل هذه الموسيقى أبداً في إعطائه الطاقة، كانت أغنية أول بلوز الأغنية الأولى التي شُغلت من قبل خالط الموسيقى، وكان الأمر أشبه بالتعامل مع لعبة ورق على طاولة مع خمسة وعشرين دولاراً، فقد كانت المفضلة لديه وتركها قيد التشغيل.

بالعودة إلى الطاولة، فتح الملف الخاص بجريمة قتل فيتزباتريك وبدأ في القراءة. سبق لكيز رايدر أن اطلعت على الملف في وقت سابق، لكنها ببساطة كانت تراجع تحضيراً لأخذ اعتراف ويتس، لم تكن تبحث عن الرابط الخفي الذي كان بوش يسعى إليه الآن. أجرى التحقيق في وفاة فيتزباتريك اثنان من المحققين اللذين عينا مؤقتاً في فرقة العمل الخاصة بجرائم الشغب، وكان عملهما في أفضل الأحوال سطحياً، وسعيا وراء عدد قليل من الأدلة،

لأنه لم يكن هناك الكثير ليبحثوا عنه في المقام الأول، وبسبب تجاوز الأمور الجوهرية، التي كانت مخفية بشكل عبثيّ جميع القضايا المرتبطة بأعمال الشغب، كانت جميع أعمال العنف المرتبطة بالأيام الثلاثة من الاضطرابات واسعة النطاق شبه عشوائية، حيث سُرق الناس، واغتُصبوا، وقتُلوا بشكل عشوائي ومن دون سابق تعمد. لم يُعثر على شهود للهجوم على فيتزباتريك، ولم يُعثر على أدلة جنائية باستثناء علبة السائل خفيفة الوزن، والتي مُسحت البصمات عنها، ودمرت جميع مستندات المتجر بالنار أو بالماء، وما بقي وُضع في صندوقين بلاستيكيتين نُسي أمرهما. تم التعامل مع القضية كطريق مسدود النهاية منذ لحظة ولادتها، حيث يُتمت وأُرشفت. كان ملف جريمة القتل رقيقاً للغاية لدرجة أن بوش أنهى قراءته من بدايته إلى نهايته في أقل من عشرين دقيقة، ولم يكن لديه أي ملاحظات، ولم يحصل على أي أفكار، ولم يرَ أي روابط، وشعر بالمد ينحسر. كانت رحلته على الموجة متجهة نحو نهاية مسدودة.

فكّر في إحضار قنينة بيرة أخرى، وتأجيل إلقاء نظرة أخرى على الملف إلى اليوم التالي، ولكن الباب الأمامي فُتح، ودخلت ريتشل والينغ، وهي تحمل علبتين من مطعم تشاينيز فرندز، كدّس بوش التقارير على طاولة غرفة الطعام حتى يفسح مجالاً لتناول الطعام، أحضرت ريتشل أطباقاً من المطبخ، وفتحت علبتي الكرتون، وأخرج بوش آخر قنينتي بيرة من الثلاجة، تحدثا لبعض الوقت، قبل أن يخبرها بما قام به وما عرفه. ومن خلال تعليقاتها تبيّن له أنها لم تقتنع بوصفه للطريق الذي وجده في بيتشوود كانيون، ولكن عندما أظهر لها الجدول الزمني الذي عمل عليه، اقتنعت باستنتاجاته حول تغيير القاتل لهويته بعد مقتل فيتزباتريك، ووافقته أنه في حين لم يكن لديهم اسم القاتل الحقيقي، كان لديهم تاريخ ميلاده الحقيقي. نظر بوش إلى صندوقي البلاستيك على الأرض، وقال: «لهذا أعتقد أن الأمر يستحق المحاولة».

انحنت إلى جانبها حتى تتمكن من رؤية ما كان ينظر إليه.

«ما هذان الصندوقان؟».

«قسائم رهن في الغالب، وكلّ السجلات التي تم إنقاذها بعد الحريق في العام 1992، كانت مبللة. وضعوها في هذين الصندوقين ونسوا أمرها، ولم يطّلع أحد عليها على الإطلاق».

«هل هذا ما سنقوم به الليلة، يا هاري».

نظر إليها وابتسم، وأومأ برأسه.

بعد أن انتهيا من تناول الطعام، قررا أن يأخذ كل منهما صندوقاً، واقترح بوش أن يخرجهما إلى الشرفة بسبب الرائحة الكريهة التي ستنبعث من الصندوقين بمجرد فتحهما، ووافقت ريتشل على الفور. جمع بوش علبتي الطعام، ثم جلب صندوقين كرتونيين فارغين من مرأب السيارة، وجلسا على كراسي الشرفة، وبدأا العمل، كان ملصقاً على الجزء العلوي من الصندوق الذي اختاره بوش بطاقة مكتوب عليها 3 2 5 وفقا لخزانة الملفات الرئيسية، خلع بوش الجزء العلوي واستخدمه في محاولة للتخلص من الأبخرة التي خرجت، يحتوي الصندوق في الغالب على قصاصات الرهن الوردية وبطاقات 3 2 5 التي وضعت بشكل عشوائي في الحاوية كما لو تم استخدام المجرفة. لم يكن هناك شيء مرتب أو مُنظّم بشأن السجلات، وكانت الأضرار الناجمة عن المياه كبيرة، فقد تداخلت معظم القصاصات بعضها ببعض، وكان الحبر على الأوراق الأخرى ملطخاً وغير قابل للقراءة. نظر بوش إلى ريتشل ورآها تعاني مع المشكلة نفسها.

قالت: «هذا سيئ يا هاري».

«أعرف، افعلي ما بوسعكِ، قد يكون هذا أملنا الأخير».

لم يكن هناك طريقة للبدء، ولكن بوش سحب ببساطة مجموعة من القصاصات، ورفعها إلى حضنه، وبدأ يتفحصها، محاولاً تحديد اسم وعنوان

وتاريخ ميلاد كل عميل كان قد رهن شيئاً لدى فيتزباتريك، في كلّ مرة نظر فيها إلى قصاصة، كان يشير بقلم رصاص أحمر أحضره من درج طاولة غرفة الطعام عند الزاوية العليا للقصاصة ويسقطها في صندوق الكرتون على الجانب الآخر من كرسيه، أمضيا نصف ساعة بثبات، يعملان من دون أن يتكلما. عندما سمع بوش الهاتف يرن في المطبخ، فكّر أن لا يرد على الاتصال، ولكنه علم أنها قد تكون مكالمة من هونغ كونغ، فنهض.

قالت والينغ: «لم أكن أعلم أن لديك خطاً أرضياً».

«كثيرون لا يعلمون».

أمسك بالهاتف عند الرنة الثامنة، لم تكن ابنته بل أبل برات.

قال: «إني أطمأن عليك، إذا اتصلت بك على هاتف المنزل فهذا دليل على أنك في المنزل».

«ماذا؟ هل أنا تحت الإقامة الجبرية الآن؟».

«لا يا هاري، أنا فقط قلق عليك، هذا كل ما في الأمر».

«لن يكون هناك رد فعل سلبي مني، حسناً؟ لكن الخدمة المنزلية لا تعني أنني يجب أن أبقى في المنزل أربعاً وعشرين ساعة، لقد راجعت النقابة بخصوص ذلك».

«أعلم، أعلم، لكن هذا يعني أنك لا تشارك في أي تحقيق متعلق بالوظيفة».

«حسناً».

«ما الذي تفعله؟».

«أنا جالس في الشرفة مع صديقة، نشرب البيرة ونستمتع بهواء الليل العليل، هل هذا مناسب لك يا سيدي؟».

«هل أعرفها؟».

«أشك في ذلك، إنها لا تحب الشرطة».

ضحك برات، وبدا أن بوش أغاظه أخيراً بما كان يفعله.

«حسناً، سأدعك تعود إليها، فلتستمتع جيداً، يا هاري».

«سأفعل إذا استطعت البقاء بعيداً عن الهاتف».

«سأتصل غداً».

«سأكون هنا».

«وأنا سأكون هنا، ليلة سعيدة».

أنهى المكالمة، وبحث في الثلاجة عن قنينة بيرة مخفية أو مفقودة، ولكنه عاد إلى الشرفة خالي الوفاض، وكانت ريتشل تنتظره بابتسامة على وجهها وبطاقة ملطخة بالماء مكتوب عليها 3 2 5 في يدها مرفقة بمشبك على ورق الرهن الوردي اللون.

قالت: «لقد فهمت».

سلمته البطاقة فتراجع بوش إلى داخل المنزل، حيث الإضاءة أفضل، وقرأ البطاقة أولاً. لقد كُتبت بالحبر الأزرق الذي لطخته المياه جزئيا ولكن لا يزال مقروءا.

العميل غير راض 02/ 12/ 92،

اشتكى العميل من بيع العقار قبل انقضاء تسعين يوماً وهي مدة الرهن، تم إظهار وثيقة الرهن وتصحيحها، واشتكى العميل أن التسعين يوماً لا ينبغي أن تتضمن عطلات نهاية الأسبوع والأعياد، وأغلق الباب بعنف وشتم.

دي جي أف

قسيمة الرهن الوردية المرفقة ببطاقة الشكوى تحمل اسم روبرت فوكسورث، تاريخ الولادة 11/ 03/ 71 وعنوان في فاونتن هوليوود، العنصر المرهون في 8 تشرين الأول عام 1991 أدرج بمثابة «ميدالية إرث»، أُعطي فوكسورث 80 دولاراً مقابل العنصر المرهون. كان هناك مربع بصمات

الأصابـع فـي الزاويـة اليمنى السـفلية من القسـيمة، وكان بإمـكان بوش رؤية حواف بصمة الإصبع، ولكن الحبر تآكل أو تسرّب من الورق بسبب الرطوبة الموجودة في علبة التخزين.

قالـت ريتشـل: «تاريـخ الـولادة متطابـق، بالإضافة إلى أن الاسـم يرتبط بمستويين».

«ما الذي تعنينه؟».

«حسـناً، لقد أخذ اسـم روبرت في المقدمة عندما اسـتخدم اسـم روبرت ساكسون، وأخذ كلمة فوكس في فوكسورث إلى الأمام عندما استخدم راينارد، ربما كان هذا هو مصدر راينارد بأكمله، اسمه الحقيقي هو فوكسورث، ربما أخبره والداه عندما كان طفلاً قصصاً عن ثعلب يدعى راينارد».

كـرر بـوش: «إذا كان اسـمه الحقيقـي هو فوكسـورث، فربما وجدنا للتو اسماً مستعاراً آخر له».

«ربما».

هـزّ بـوش رأسـه، كان يشـعر بالإثارة تتزايد، كانت محقـة. أخيراً، أصبح لديهم زاوية جديدة للمتابعة منها، ثم أخرج بوش هاتفه: «سأستفسر عن الاسم وأرى ما سيحدث».

اتصل بالمركز الرئيسـي، وطلب من مشـغل الخدمة البحث عن الاسـم وتاريـخ الميـلاد الـذي وجـداه علـى قسـيمة الرهن، كانت الإجابة: لا سـجل لرخصة قيادة حالياً. شكر عامل الهاتف، وأنهى المكالمة.

قال: «لا شيء، ولا حتى رخصة قيادة».

قالت ريتشل: «لكن هذا جيد، ألا ترى؟ قد يكون روبرت فوكسورث على وشـك أن يبلغ الخامسـة والثلاثين الآن، إذا لم يكن هناك تاريخ أو ترخيص حالي، فهذا تأكيد إضافي على أنه لم يعد موجوداً، وأنه إما ميت وإما أصبح شخصاً آخر».

«راينارد ويتس».

أومأت برأسها.

قال بوش: «أعتقد أنني كنت آمل الحصول على رخصة قيادة مع عنوان إيكو بارك، أعتقد أن هذا كثير للغاية لكي أطلبه».

«ربما لا، هل هناك طريقة في هذه الولاية للتحقق من رخص القيادة البالية؟ روبرت فوكسورث، إذا كان هذا اسمه الحقيقي، ربما حصل على رخصة عندما بلغ السادسة عشرة في العام 1987، وعندما استبدل هويته، انتهت صلاحيتها».

أخذ بوش ذلك بعين الاعتبار، وهو يعلم أن الدولة لم تبدأ بطلب بصمة الإبهام من السائقين للحصول على رخصة قبل بداية التسعينيات، وهذا يعني أنه كان باستطاعة فوكسورث الحصول على رخصة قيادة في أواخر الثمانينيات ولن تكون هناك طريقة لربطه بهويته الجديدة المتمثلة براينارد ويتس.

«في الصباح، يمكنني التحقق من ذلك في دائرة المركبات، لا يمكننا أن نحصل على شيء من خلال إجراء الاتصالات الليلة».

قالت: «هناك شيء آخر يمكنك التحقق منه غداً، هل تتذكر ملف التعريف السريع والمتسخ الذي قمت به الليلة الماضية؟ لقد قلت إن هذه الجرائم المبكرة لم تكن عبارة عن شذوذ، فلقد بُني عليها».

فهم بوش.

«إصلاحيات الأحداث».

أومأت برأسها.

«قد تجد سجلاً في إصلاحيات الأحداث عن روبرت فوكسورث مرة أخرى، إذا كان هذا اسمه الحقيقي، فلن تستطيع الوصول إليه من خلال عامل الاتصالات أيضاً».

لقد كانت محقة، فقد منع قانون الولاية من تعقب الجاني من سجلات

الأحداث إلى مرحلة البلوغ، وربما ظهر الاسم عندما اتصل بوش بمشغل الاتصالات للتحقق منه، ولكن هذا لا يعني أنه كان نظيفاً تماماً، كما هو الحال مع معلومات رخصة القيادة، كان على بوش الانتظار حتى الصباح، لكي يتمكن من الدخول إلى سجلات الأحداث في قسم المراقبة.

لكن بمجرد أن تلاشت آماله، رماها مرة أخرى بعيداً.

قال: «انتظري دقيقة، هذا لن يفلح، فلو أعطى بصمته باسم راينارد ويتس كانت البصمتان متطابقتين، ولن يعرفوا البصمات المأخوذة من روبرت فوكسورث من الأحداث، قد لا يكون سجله متاحاً، ولكن البصمات تبقى في النظام».

«ربما، وربما لا، نظامان منفصلان، بيروقراطيتان منفصلتان، لا يتقاطع النظامان دائماً».

كان هذا صحيحاً، ولكنه أمِل بالحصول على تطابق. لقد قلل بوش الآن البحث من زاوية الأحداث بشكل كبير، فمن المرجّح أن روبرت فوكسورث لم يكن في نظام الأحداث أبداً. يعتقد بوش أن الاسم مجرد هوية مزيفة أخرى من سلسلة هويات مزيفة.

حاولت ريتشل تغيير الموضوع.

سألته: «ما رأيك في ميدالية الإرث التي رهنها؟».

«لا يوجد لديّ أدنى فكرة عنها».

«إن رغبته في استعادتها أمر مثير للاهتمام، يجعلني أعتقد أنه لم يسرقها، ربما كانت تخصّ أحد أقربائه وكان بحاجة إلى استعادته».

«ذلك يفسّر ما قام به على ما أعتقد».

أومأت برأسها.

تثاءب بوش، وأدرك فجأة مدى تعبه، فقد ركض طوال اليوم ساعياً للوصول إلى هذا الاسم، وكانت الشكوك رفيقة يومه. كانت القضية تثير

الصخب في دماغه، ويبدو أن ريتشل لاحظت ما يعاني منه.

«هاري، ما رأيك أن نتوقف عن العمل، بعد ما أحرزناه من تقدم، خصوصاً أنه لا يزال عندنا بيرة».

قال بوش: «لا أعرف إن كنا أحرزنا تقدماً، ولا مانع من البيرة، ولكن يبقى أمامنا مشكلة».

«ما هي؟».

«لا يوجد بيرة».

«هاري، لقد دعوت فتاة لتقوم بعملك القذر وتساعدك على حلّ القضية، ولم توفر لها سوى زجاجة بيرة واحدة، ما بك؟ ماذا بشأن النبيذ، هل لديك القليل منه؟».

هزّ بوش رأسه بحزن.

«لكن يمكنني الذهاب إلى المتجر».

«هذا جيد، وأنا يمكنني التوجه إلى غرفة النوم، سأنتظرك هناك».

«حسناً، لن أتأخر».

«اجلب لي نبيذاً أحمر».

«حسناً».

أسرع بوش في الخروج من المنزل، فقد سبق له أن ركن سيارته بجانب الرصيف حتى تتمكن ريتشل من استخدام مرأب السيارة عندما تأتي.

عندما خرج من الباب الأمامي، لاحظ سيارة مركونة إلى جانب الرصيف المقابل على بعد منزلين، لفتت السيارة الفضية رباعية الدفع انتباهه، لأنها كانت متوقفة في منطقة حمراء. لم يكن مسموحاً ركن السيارات على طول هذا الرصيف، لأنه قريب جداً من المنعطف التالي، حيث يمكن أن تأتي سيارة من المنعطف وتصطدم بسهولة مع أي سيارة متوقفة هناك.

عندما نظر بوش إلى الشارع، انطلقت السيارة الرياضية، فجأة من دون

تشغيل أضواءها، وأسرعت نحو المنعطف ثم اختفت، ركض بوش إلى سيارته، وقفز داخلها وتبع السيارة شمالاً، قادها بأسرع ما يمكن دون تخطي حدود السلامة، في غضون دقيقتين أصبح بالقرب من التقاطع بجوار سوق مولهولاند، ولم يكن هناك أي علامة على السيارة رباعية الدفع، يمكنها أن تكون قد سلكت أياً من الشوارع الثلاثة المتفرعة من التقاطع.

«سحقاً».

بقي بوش في سيارته لوقت طويل عند التقاطع، فكّر في ما شاهده للتو وما قد يعنيه، قرر أنه إما لا يعني شيئاً أو يعني أن شخصاً ما كان يراقبه ويراقب منزله، لكن في الوقت الحالي، لم يكن باستطاعته القيام بأي شيء. أهمل الأمر، ثم استدار يساراً، وقاد عبر شارع مولهولاند بسرعة آمنة باتجاه كاوينغا، فهو يعرف أن هناك متجراً لبيع الخمور بالقرب من لانكيرشيم. توجه إلى هناك، ونظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، فرأى مقطورة كانت خلفه طوال الطريق.

26

في صباح اليوم التالي، ارتدى بوش بذلة قبل أن يخرج، علم أنها ستعطيه هالة من السلطة والثقة أثناء التعامل مع الموظفين الحكوميين. وعندما أشارت الساعة إلى التاسعة والدقيقة العشرين، كان قد حصل على مبتغاه، فقد أصدرت أرشيفات دائرة المركبات رخصة قيادة باسم روبرت فوكسورث في 3 تشرين الثاني 1987، وهو اليوم الذي بلغ فيه السادسة عشرة، وكان مؤهلاً للقيادة، ولم يتم تجديد الرخصة مطلقاً في كاليفورنيا، ولكن لم يكن هناك سجل لدى قسم المركبات بأن حاملها قد توفي، وهذا يعني أن فوكسورث إما انتقل إلى ولاية أخرى ومنح هناك رخصة، أو قرر أنه لم يعد يريد القيادة، أو غيّر هويته.

راهن بوش على خيار ثالث، وكان العنوان على الرخصة هو الخيط، فقد أُدرج عنوان إقامة فوكسورث بإدارة مقاطعة لوس أنجلوس لخدمات الأطفال والأُسر، 3075 جادة ويلشير، لوس أنجلوس. في العام 1987 كان في جناح للأحداث في المقاطعة، ربما لأنه لم يكن لديه والدان أو اعتبرا غير صالحين لتربيته لذلك أُخذ منهما. إن تعيين مركز رعاية الأطفال بمثابة عنوان له يعني أنه إما كان يعيش في إحدى قاعات الشباب بالقسم، أو تم وضعه في برنامج الحضانة، وكان بوش يعرف هذا لأنه كان لديه أيضاً مثل هذا العنوان في رخصة قيادته الأولى.

عندما خرج بوش من مكاتب دائرة المركبات في شارع سبرينغ، شعر بدفقة متجددة من الطاقة، فقد اخترق ما بدا أنه طريق مسدود في الليلة السابقة، وحوّله إلى دليل قوي. بينما كان يتجه إلى سيارته، اهتز هاتفه الخلوي، فأجاب عليه من دون أن يخطو خطوة واحدة أو ينظر إلى الشاشة، على أمل أن تكون ريتشل فيخبرها بالأخبار الجيدة.

«أين أنت يا هاري؟ لم يجب أحد على الخط الأرضي؟».

كان أبل برات، وكان بوش قد سئم من تفحصّه المستمر له.

«أنا في طريقي لزيارة كيز، هل هذا يناسبك؟».

«بالتأكيد، يا هاري، ولكن كان يفترض بك أن تعلمني بالأمر».

«مرة واحدة في اليوم، حتى أن الساعة لم تبلغ العاشرة بعد».

«أريد أن أسمع منك أخباراً كلّ صباح».

«كما تريد غداً السبت أتريدني أن أتصل؟ وماذا بشأن الأحد؟».

«لا تبالغ، أنا فقط أحاول الاعتناء بك، كما تعلم».

«بالتأكيد، يا سيدي، قل ما تريد».

«هل سمعت آخر الأخبار؟ لقد علمت بها للتو». توقف بوش في طريقه. «لقد عثروا على ويتس».

«لا بدّ وأنك تمزح، أتمنى ذلك فعلاً، وماذا بعد ذلك؟».

«الجميع يتداولون الأخبار، اختطف فتاة الليلة الماضية، سُحبت إلى عربة في شارع هوليوود، للقسم كاميرات جديدة في هذا الشارع، والتقطت إحدى الكاميرات جزءاً من عملية الاختطاف. لم أره بعد، لكنهم يقولون إنه ويتس، لقد غيّر شكله فقد حلق شعر رأسه. يقولون إنه هو، هناك مؤتمر صحفي في الحادية عشرة وسيعرضون الشريط».

شعر بوش بخفقان خفيف في صدره، لقد كان محقاً بخصوص عدم مغادرة ويتس للمدينة، ولكنه الآن يتمنى أن يكون مخطئاً، فما أن فكر على

هذا النحو، حتى اعتقد أن راينارد ويتس هو القاتل، ولا يهم إذا كان روبرت فوكسورث حقاً، فقد عرف بوش أنه سيفكر فيه دائماً على أنه ويتس.

سأله: «هل حصلوا على لوحة العربة؟».

«لا، لقد كانت مغطاة، فكلّ ما عرفوه هو أنها عربة بيضاء بسيطة، مثل العربة الأخرى التي استخدمها سابقا ولكنها أقدم. يجب أن أذهب، كنت أريد الاطمئنان عليك. آمل أن يكون هذا آخر يوم أتفقدك به عبر الهاتف، وتنتهي فترة التفقد وتعود إلى الوحدة».

«نعم، سيكون ذلك جيداً، لكن انتظر.. قال ويتس خلال اعترافه، أنه امتلك عربة مختلفة في التسعينيات، ربما يجدر بفريق العمل أن يطلب النظر في سجلات قسم المركبات القديمة تحت اسمه، فقد يحوي السجل على لوحة للعربة ما يسهل الوصول إليها».

«ذلك يستحقّ المحاولة، سأخبرهم».

«حسناً».

«ابقَ على مقربة من المنزل، يا هاري، وأبلغ كيز تحياتي».

«حسناً».

أغلق بوش الهاتف، كان سعيداً لأنه تمكن من اختلاق قصة كيز على الفور في موقف كهذا، لكنه يعلم أيضاً أنه أصبح كاذباً جيداً مع برات، وهذا لم يجعله سعيداً.

صعد بوش إلى سيارته واتجه نحو شارع ويلشير، زاد اتصال برات من حماسه، لقد اختطف ويتس فتاة أخرى، ولكن لم يكن هناك شيء في الملفات يشير إلى أنه قتل ضحاياه على الفور، وهذا يعني أن الضحية الأخيرة ربما لا تزال على قيد الحياة. أدرك بوش أن وصوله إلى ويتس ربما ينقذ الفتاة.

كانت مكاتب خدمات الأطفال والأسر مزدحمة وصاخبة، لقد انتظر في مكتب التسجيل لمدة خمس عشرة دقيقة قبل أن يلفت انتباه الموظفة، وبعد

أخـذ معلومـات بـوش وكتابتهـا في الحاسـوب، أخبرته أن هنـاك بالفعل ملفاً من الأحداث يتعلق بروبرت فوكسورث مواليد 11/ 03/ 71، ولكن لكي يراه، سيحتاج إلى أمر محكمة يتيح له البحث في السجلات. ابتسم بوش لتوّه، كان متحمسـاً جـداً لحقيقـة أن الملف لا يزال موجـوداً، فلم يعتد يحتاج أن يتلهى إلا بأمر واحد، شكرها وأخبرها أنه سيعود بأمر من المحكمة.

عـاد بـوش إلـى ضوء الشـمس، وعـرف أنه كان أمام مفتـرق طرق الآن، فتجنبه قول الحقيقة بشأن مكانه أثناء المكالمات الهاتفية مع أبل برات شيء، والتقدم بطلب للحصول على مذكرة بحث في سجلات مركز رعاية الأطفال والأسر دون موافقة الإدارة وبالأخص موافقة المشرف شيء آخر، قد يجعله خـارج الخدمـة تمامـاً. كان سـيجري تحقيقـاً مزوراً، ويهاجم مـن دون تردد. وتوصـل إلـى خيـار مـن اثنين؛ إما إبلاغ راندولف فـي مكتب خدمات الرقابة الداخلية أو فرقة ملاحقة الهاربين ويدعهم يتدبرون الأمر، أو يذهب إلى النهاية في طريق الخداع ويتحمل العواقب الوخيمة التي قد تترتب على ذلك.

منذ عودته من التقاعد، شعر بوش بأنه أقل التزاماً بقواعد القسم وأنظمته، لقد خرج بالفعل من الباب مرة، وعرف أنه إذا حدث شـيء وأدى لتكرار ما حصل، فالمرة الثانية سـتكون أسـهل، لم يرد للأمور أن تصل إلى هذا الحدّ. ولكن إن توجب عليه التقدم فالصعب يصبح سـهلاً في سـبيل تحقيق الهدف المنشـود. أمسـك بهاتفه، وأجرى المكالمة الوحيدة التي يعرف أنها قد تنقذه مـن الاختيـار بين خيارين سـيئين. ردّت ريتشـل والينغ علـى هاتفها بعد الرنة الثانية.

سألها: «ما الذي يحدث هناك في العمليات؟».

«أوه، دائمـاً لدينـا مـا يشـغلنا، كيف انتقل الخبر إلى وسـط المدينة؟ هل سمعت أن ويتس اختطف امرأة أخرى الليلة الماضية».

كان لديها عادة طرح أكثر من سؤال في وقت واحد، خاصة عندما تكون

متحمسة. أخبرها بوش أنه سمع عن الاختطاف، ثم أطلعها على ما قام به منذ الصباح».

فسألته: «حسناً، ما الذي ستقوم به؟».

«حسنا، أفكر في معرفة إن كان مكتب التحقيقات الفدرالي مهتماً بالانضمام إلى القضية».

«ما هي القضية التي ستحملها إلى أعتاب مكتب التحقيقات الفيدرالي؟».

«كما تعلمين، فساد المسؤولين الحكوميين، وانتهاكات تمويل الحملات، والاختطاف، وغيرها من الأشياء المعتادة».

حافظت على اتزانها وقالت: «لا أعرف، يا هاري، ستفتح باباً وحده الله يعلم إلى أين سيؤدي».

«ولكن لديّ شخص من الداخل، شخص سيراقب من أجلي ويحمي القضية».

«مخطئ، ربما لن يسمحوا لي بالاقتراب منها، إنها ليست مجموعتي وهناك تضارب في المصالح».

«ما التضارب؟ لقد عملنا معاً في السابق».

«أنا فقط أقول لك: سيتم التعامل مع الأمر».

«أحتاج إلى مذكرة بحث، أقبل بمقايضة المذكرة بخدمتي، ربما لن أتمكن من العودة للعمل مرة أخرى، وأعلم أنها ستكون القشة الأخيرة التي ستقصم ظهر البعير مع برات، هذا مؤكد، ولكن إذا قلت إنني استدعيت من مكتب التحقيقات الفدرالي، ربما سأجد سنداً قانونياً ومخرجاً. كل ما أريده هو النظر إلى ملف مركز رعاية الأطفال الخاص بفوكسورث، أعتقد أنه سيقودنا إلى إيكو بارك».

بدت ساكنة لبرهة قبل أن تجيبه: «أين أنت الآن؟».

«لا أزال في مركز رعاية الأطفال والأسر».

«اذهب وتناول فطيرة أو ما شابه، سأكون هناك في أقرب وقت ممكن».

«هل أنتِ متأكدة؟».

«لا، ولكن هذا ما سنفعله».

أنهت المكالمة، فأغلق بوش هاتفه، وتلفت حوله، وبدلاً من شراء الفطيرة، ذهب إلى كشك الجرائد، واشترى الطبعة الصباحية من جريدة التايمز. جلس على مقعد في الحديقة التي تمتد على طول الواجهة الأمامية لمبنى رعاية الأطفال، ونظر إلى الجريدة بحثاً عن مقالات بشأن التحقيقات المتعلقة برراينارد ويتس وبيتشوود كانيون، لم يكن هناك مقال عن الاختطاف، لأنه حصل في وقت متأخر من الليل، وبعد فوات الموعد النهائي لإضافة أي مقال إلى الطبعة الصباحية، وانتقلت تغطية قضية ويتس من الصفحة الأولى إلى القسم المحلي، ولكنها لا تزال تغطية موسعة. تناولت القضية ثلاثة مقالات، وتناول المقال الأبرز فشل عمليات البحث ذات النطاق الوطني على القاتل المتسلسل الهارب، وبفعل مستجدات الليل بدت كل المعلومات الواردة في المقال عديمة الجدوى، لم يعد هناك بحث على الصعيد الوطني، فويتس هنا في المدينة.

وقد حُدِث المقال بشريطين جانبيين، تناول أحدهما تفاصيل عملية فرار ويتس وما رافقها من إطلاق نار، وكان الثاني تحديثاً سياسياً. أما المقال الأخير فكان بقلم كيشا راسل. طالع بوش المقال بسرعة ليرى إن أوردت فيه أي معلومات تناقشا بشأنها حول تمويل حملة ريك أوشيا، ومن حسن حظه أنه لم يجد شيئاً، وهذا ما عزز ثقته بها.

أنهى بوش قراءة المقالات، ولم تظهر أي إشارة من ريتشل، فانتقل إلى أقسام أخرى من الجريدة، حيث قرأ عشرات الأحداث الرياضية التي لا تهمه، بالإضافة إلى مراجعات بشأن الأفلام التي لن يشاهدها أبداً، وعندما لم يبقَ لديه شيء ليقرأه، وضع الجريدة جانباً، وتمشى أمام المبنى. شعر بالقلق،

وخاف أن يفقد طرف الخيط الذي حصل عليه من اكتشافات الصباح.

أخرج هاتفه ليعاود الاتصال بها، ولكنه قرر بدلاً من ذلك الاتصال بمستشفى سانت جو، والتحقق من حالة كيز رايدر، فحول اتصاله إلى مركز التمريض في الطابق الثالث، ثم حولت مكالمة إلى وضعية الانتظار، بينما كان ينتظر أن يُتاح له الاتصال. رأى ريتشل وهي تركن سيارة فيدرالية، أغلق الهاتف، وعبر الرصيف، ووصل إليها وهي تهم بالخروج من السيارة.

قال لها بنبرة مرحبة: «ما الخطة؟».

«على الأقل اسألني عن حالي، أو اشكرني على الحضور؟».

«شكرا لحضوركِ، ما الخطة؟»

توجها إلى المبنى.

«الخطة هي الخطة الفيدرالية، أدخل وأُثير شبح الإرهاب فيعطيني الرجل المسؤول الملف».

توقف بوش وقال: «أتسمين هذه خطة؟».

«لقد سارت بشكل جيد بالنسبة إلينا لأكثر من خمسين سنة».

لم تتوقف، وكان عليه الإسراع للحاق بها.

«كيف تعرفين أنه رجل مسؤول؟».

«إن الأمر يسير على هذا النحو دوماً، بأي طريق؟».

وأشار مباشرة إلى الأمام في الرواق الرئيسي، ولكن ريتشل لم تخطُ أي خطوة.

«لم أنتظر أربعين دقيقة من أجل هذا يا ريتشل».

«ألديك فكرة أفضل؟».

«كان لديّ فكرة أفضل، مذكرة تفتيش فيدرالية، أتذكرين؟».

«ما من شيء مبتكر في فكرتك يا بوش. سبق لي أن أعلمتك، أنا أفتح هذا الباب وأنت تنتظر، هذا أفضل، سواء في الداخل أم في الخارج، فإذا

أحضرت لك الملف، لا يعود للطريقة التي أحضره بها أهمية».

كانت تسبقه بخطوتين الآن، تتحرك بقوة دفع فدرالية، وبدأ بوش بالاقتناع سراً، عبرت من خلال الأبواب المزدوجة تحت اللافتة المدون عليها «سجلات» مظهرة سلطة قيادية لا يمكن التشكيك بها.

كانت موظفة السجلات التي تعامل بوش معها تتحدث مع مواطن آخر عند النافذة، صعدت والينغ إلى اليمين ولم تنتظر دعوة للتحدث، سحبت شارتها من جيب سترتها بحركة واحدة سلسة.

«مكتب التحقيقات الفدرالي، أنا بحاجة لرؤية مديركِ بخصوص مسألة ملحة».

نظرت إليها الموظفة بوجه غير متأثر.

«سأكون معكِ حالما أنتهي...».

«أنتِ معي الآن، عزيزتي، اذهبي واحضري رئيسك أو سأذهب إليه، هذا أمر عاجل إنها قضية حياة أو موت».

بدا على وجه الموظفة ما يشير إلى أنها لم تواجه مثل هذه الفظاظة من قبل، من دون كلمة للمواطن أمامها أو أي شخص آخر ابتعدت عن المنضدة، وسارت إلى باب خلف صفّ من الحجرات، انتظرا لأقل من دقيقة، وخرجت الموظفة من الباب، تلاها رجل يرتدي قميصاً أبيض قصير الكمين وربطة عنق كستنائية، جاء مباشرة إلى ريتشل والينغ.

«أنا السيد أوزبورن، كيف يمكنني مساعدتك؟».

«نحن بحاجة للدخول إلى مكتبك، سيدي، هذه المسألة في غاية السرية».

«من هنا، رجاءً».

أشار إلى باب متأرجح في الطرف الآخر، سار بوش ووالينغ إليه وتبعهما أوزبورن إلى مكتبه، سمحت له ريتشل بإلقاء نظرة على أوراق شارتها مرة أخرى بعد أن جلس خلف مكتب مزين بذكريات دودجيرز التي يتراكم عليها

الغبار، كان هناك شطيرة ملفوفة من سابواي فرونت أند سنتر على مكتبه.

«ما الأمر...».

«سيد أوزبورن، أنا أعمل في وحدة الاستخبارات التكتيكية هنا في لوس أنجلوس، أنا متأكدة من أنك تفهم ما يعنيه هذا، وهذا المحقق هاري بوش من قسم شرطة لوس أنجلوس، نحن نعمل على تحقيق مشترك في غاية الأهمية. لقد علمت من الموظفة أن هناك ملفاً يتعلق بشخص اسمه روبرت فوكسورث، تاريخ الميلاد الحادي عشر / الشهر الثالث / عام واحد وسبعين، من المهم للغاية السماح لنا بمراجعة هذا الملف على الفور».

أومأ أوزبورن برأسه، لكن ما قاله لم يتناسب مع هذه الإيماءة.

«أفهم، ولكن هنا في مركز رعاية الأطفال نعمل بموجب قوانين دقيقة للغاية، وقوانين الدولة تحمي الأطفال، وسجلات رعاية الأحداث لدينا ليست مفتوحة للجمهور من دون أمر من المحكمة، إن يداي...».

«سيدي، روبرت فوكسورث لم يعد حدثاً، يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً، وقد يحتوي الملف على معلومات ستقودنا إلى احتواء تهديد خطير للغاية لهذه المدينة، وسينقذ الأرواح بلا شك».

«أعرف، ولكن عليك أن تفهمي أننا لسنا...».

«أفهم، وأفهم تماماً أنه إذا لم نرَ الملف الآن، فقد نتحدث عن خسارة أرواح، ولا أظن أنك يا سيد أوزبورن تريد أن تعاني مع تأنيب الضمير، ولا نحن أيضاً، لهذا نحن في الفريق نفسه، سأعقد صفقة معك، يا سيدي، سنراجع الملف هنا في مكتبك وتحت مراقبتك، وفي هذه الأثناء، سأتصل بالهاتف، وأوجه أحد أعضاء فريقي في الموقع التكتيكي لإعداد أمر تفتيش، سأحرص على توقيعه من قبل قاضٍ وتقديمه لك قبل نهاية العمل اليوم».

«حسناً... عليّ الاتصال لإحضاره إلى هنا من الأرشيف».

«هل الأرشيف في هذا المبنى؟».

«نعم، بالأسفل».

«إذا، رجاء اتصل بقسم الأرشيف، واطلب الحصول على الملف، الوقت يداهمنا يا سيدي».

«انتظرا هنا، سأتابع الموضوع شخصياً».

«شكراً سيد أوزبورن».

غادر الرجل المكتب، وجلس بوش ووالينغ على الكرسيين أمام مكتبه، وارتسمت ابتسامة على شفتي ريتشل، وقالت: «الآن دعنا نأمل ألا يغير رأيه».

أجاب: «أنتِ جيدة للغاية، أنا أخبر ابنتي أنها تستطيع أن تقنع الحمار الوحشي من الخطوط الذي عليه، ولكنكِ تستطيعين إقناع النمر».

«إذا حصلت على هذا، فأنت مدين لي بغداء آخر في مطعم ووتر غريل».

«حسناً، ولكن لن نطلب الساشيمي».

انتظرا عودة أوزبورن قرابة خمس عشرة دقيقة، عاد حاملاً ملفاً بسماكة نصف بوصة تقريباً، أعطاه إلى والينغ، التي أخذت الملف أثناء وقوفها، وأشارت إلى بوش الذي وقف بدوره.

قالت: «سنعيده إليك في أقرب وقت ممكن، شكراً لك، يا سيد أوزبورن».

«انتظري دقيقة! قلتِ إنك ستطلعين عليه هنا».

كانت ريتشل تتجه نحو باب المكتب، مستجمعة ذلك الزخم مرة أخرى: «لم يعد هناك وقت، سيد أوزبورن، علينا أن نتحرك، سيكون الملف لديك بحلول صباح الغد».

عبرت الباب، وتبعها بوش، وأغلقه خلفه فكتم كلمات أوزبورن الأخيرة: «ماذا عن أمر المحكمة...».

عندما مرا خلف الموظفة، طلبت منها والينغ أن تبتعد، وظلت ريتشل متقدمة خطوتين على بوش أثناء خروجهما إلى الرواق، أعجبه المشي خلفها، وبدا مندهشاً من الطريقة التي تدبرت فيها الأمر، فقد شعر بروحها القيادية.

«هل يوجد مقهى ستاربكس هنا حيث يمكننا الجلوس وإلقاء نظرة على الملف؟ أودّ أن أنظر قبل أن أعود».

«هناك دائماً ستاربكس».

سارا شرقاً على الرصيف حتى وصلا إلى مطعم صغير فيه منضدة داخلية صغيرة مع مقاعد، بدا مناسباً، لذلك توقفا عن البحث عن ستاربكس ودخلا. فتحت ريتشل الملف بينما طلب بوش كوبي قهوة من الرجل وراء المنضدة، وبحلول الوقت الذي وضعت فيه القهوة على المنضدة ودفع ثمنها، كانت قد انتهت من مراجعة الصفحة الأولى، جلسا جنباً إلى جنب، ومررت له كل صفحة انتهت من مراجعتها. عملا بصمت، ولم يرتشف أي منهما رشفة من كوبه، فهما لم يشترياها ليحتسياها، بل للحصول على حيز يتيح لهما العمل.

كانت الوثيقة الأولى في الملف نسخة من وثيقة ولادة فوكسورث؛ وُلد في مستشفى كوينز أوف أنجل، وفي خانة الأم دوّن روزماري فوكسورث، مواليد 6/ 21/ 54، فيلادلفيا، بنسلفانيا، ودوّن في خانة الأب مجهول، كان عنوان الأم شقة في هوليوود، تذكر بوش أن العنوان يقع في وسط ما يُطلق عليه الآن مركز كوداك، وهو جزء من خطة التجديد في هوليوود. كل شيء الآن يتلألأ مع السجاد الأحمر والزجاج، ولكن في العام 1971 كان حياً يجوبه المشردون. ودوّن في شهادة الولادة اسم الطبيب الذي أنجب الطفل والموظف الاجتماعي في المستشفى المرتبطين بالقضية. فكّر بوش وحاول فهم ما يحصل. كانت روزماري فوكسورث تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً عندما أنجبت ابنها، والأب مجهول، وذكر الأخصائي الاجتماعي يعني أن المقاطعة كانت تراقب عن كثب عملية الولادة، ولم يكن عنوان المنزل يبشر بالخير لبداية سعيدة للطفل روبرت.

كل هذا جعل الصورة تزداد وضوحاً في ذهن بوش، خمّن أن روزماري فوكسورث كانت هاربة من فيلادلفيا، وأنها توجهت إلى هوليوود، وتشاركت

شقة مع أناس آخرين مثلها، ربما عملت في الشوارع المجاورة كبائعة هوى، وربما تعاطت المخدرات، وأنجبت الصبي ثم تدخلت سلطات المقاطعة في النهاية، وأخذته.

مع تمرير ريتشل مزيداً من الوثائق، ثبتت القصة الحزينة؛ فقد انتُزعت حضانة روبرت فوكسورث من والدته في سن الثانية، وأدخل في نظام مركز رعاية الأطفال والأُسر. وعلى مدى السنوات الست عشرة التالية من حياته تنقل مراراً وتكراراً بين بيوت الرعاية والأحداث. أشار بوش إلى أنه من بين المرافق التي قضى فيها بعض الوقت كان منزل ماكلارين في المونتي للأحداث، وهو مكان أمضى فيه بوش نفسه سنوات عدة عندما كان طفلاً.

كان الملف مليئاً بالتقييمات النفسية التي تُجرى سنوياً أو عند عودة فوكسورث المتكررة من دور الرعاية، بشكل عام، رسم الملف رحلة حياة مدمرة، حزينة، لقد كانت قصة طفل انتزع من أمه، وأسيئت معاملته من المؤسسة التي أخذته. تنقّل فوكسورث من مكان إلى آخر، ولم يكن لديه منزل أو عائلة حقيقية، وربما لم يعرف أبداً شعور أن يكون المرء مرغوباً أو محبوباً.

أيقظت قراءة هذه الصفحات ذكريات لدى بوش، فقبل عقدين من رحلة فوكسورث عبر النظام، رسم بوش طريقه الخاص، ونجا مع مجموعته الخاصة من الندوب، لكن الندوب لم تكن كبيرة مقارنة بندوب فوكسورث. كانت الوثيقة التالية نسخة من شهادة وفاة روزماري فوكسورث؛ توفيت في 5 مارس/ آذار عام 1986، بسبب مضاعفات ناجمة عن تعاطي المخدرات والتهاب الكبد الوبائي، وقد توفيت في جناح السجن في المركز الطبي، وكان روبرت فوكسورث وقتها في الرابعة عشرة تقريباً.

قالت ريتشل فجأة: «ها هي، ها هي».

«ماذا؟».

«كانـت أطـول مـدة إقامـة له فـي منزل رعاية في إيكو بـارك، أما من أقام معهما فهما؟ هارلان وجانيت ساكسون».

«ما العنوان؟».

«سبعة وعشرون فيغيروا، كان هناك منذ 83 إلى 87، أي ما يقرب من أربع سنوات إجمالاً. لا بد أنه أحبهما، وأعتقد أنهما أحباه».

انحنى بوش لينظر إلى الوثيقة أمامها.

قال: «لقد كان في فيغيروا تيراس، على بعد مبنيين فقط من هناك، عندما ضبط مع الجثتين، لو تبعاه لمدة دقيقة واحدة أخرى، لحصلا على المكان!».

«إذا كان هذا هو المكان الذي سيذهب إليه».

«يجب أن يكون هو».

سـلمته الصفحـة، وانتقلـت إلى الصفحـة التالية، لكن بوش وقف وابتعد عـن المنضـدة، قـرأ بمـا فيـه الكفاية حالياً، كان يبحث عـن الرابط بإيكو بارك وحصل عليه. أصبح مستعداً لتنحية الملف جانباً، واستعد لخطوته التالية.

«هـاري، هـذه التقاريـر الصغيرة منذ أيام مراهقته تشـير إلى بعض الأمور المرضيّة المقرفة هنا».

«مثل ماذا؟».

«الكثيـر مـن الغضـب تجـاه النسـاء، الشـابات الفاسـقات، العاهـرات، متعاطيات المخدرات، هل تعرف ما هو الوضع النفسي هنا؟ أتعلم ما أعتقد أنه انتهى به الأمر؟».

«لا ولا ماذا؟».

«لقـد كان يقتـل والدتـه مـراراً وتكـراراً، كل هـؤلاء النسـاء والفتيـات المفقودات الذين علقوا بيديه؟ مثل مَن كانت معه ليلة أمس؟ بالنسبة إليه كنّ مثـل والدتـه، أراد قتلهـا لأنهـا تخلت عنه، وربما قتلهن قبل أن يفعلن الشـيء نفسه ويجلبن طفلاً مثله إلى العالم».

أومأ بوش برأسه.

«هذا استنتاج رائع لحالته النفسية، إذا كان لدينا الوقت، فمن المحتمل أن نجد ذكريات والدته، لكنها لم تتخل عنه، لقد أخذوه منها».

هزّت رأسها.

قالت: «لا يهم، فنمط حياتها أدى إلى سلبه منها، لم يكن أمام السلطات من خيار سوى التدخل وإبعاده عنها. المخدرات، والدعارة، وغير ذلك.. لقد تخلت عنه عندما كانت أماً غير صالحة، تخلت عنه إلى هذه المؤسسة المعيبة للغاية حيث حُبس حتى أصبح كبيراً بما يكفي لاختيار طريقه بنفسه، في تفكيره اللاواعي هذا يعتبر هجراناً».

أومأ بوش ببطء، أدرك أنها محقة، ولكن الوضع برمته جعله غير مرتاح، شعر أن الأمر شخصي للغاية بالنسبة إليه، وأن طريق ويتس مشابه لطريقه الخاص، باستثناء منعطف ما هنا أو هناك، كانت رحلتا حياة بوش وفوكسورث متشابهتين، فقد حكم على فوكسورث قتل والدته مراراً وتكراراً. وقد قال طبيب نفسي في قسم الشرطة لبوش ذات مرة أنه محكوم عليه أن يحلّ جريمة قتل والدته مراراً وتكراراً.

«ما بك؟».

نظر إليها بوش، لم يخبر ريتشل بتاريخه البائس بعد، ولم يكن يريد أن تمارس مهاراتها في تحليل الشخصيات عليه.

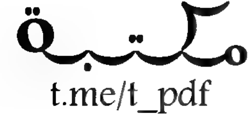
قال: «لا شيء، إنني أفكر فقط».

«يبدو أنك رأيت شبحاً، يا بوش».

هزّ كتفيه، وأغلقت والينغ الملف على المنضدة، ورفعت أخيراً كوب قهوتها لترتشف منه. وسألته: «إذاً ما العمل الآن؟».

نظر بوش إليها مطولاً قبل أن يجيب.

قال: «إيكو بارك».



«وماذا عن فريق الدعم؟».

«سأقوم بالتفحص أولاً، ثم استدعي فريق الدعم».

أومأت برأسها.

«سأرافقك».

القِسْمُ الرَّابِع

الكلب الذي تغذيه

27

استقل ووالينغ سيارته الموستانغ، لأنها ستمنحهما مقداراً ضئيلاً من التغطية مقارنة بالسيارة الفيدرالية، التي تشير بشكل صارخ إلى أن ركابها أفراد يطبقون القانون. قاد إلى إيكو بارك، لكنهما لم يقتربا من منزل ساكسون في زقاق فيغيروا 710.

كانت هناك مشكلة، فالزقاق عبارة عن شارع ضيق يمتد على طول مجمع قبالة نهاية فيغيروا تيراس، ويلتف الشارع على طول التلال أسفل وادي تشافيز، لا يمكن القيادة هناك بالسيارة الفدرالية من دون لفت الانتباه، حتى في الموستانغ، فإذا كان ويتس هناك وينتظر أفراد حفظ النظام، فستكون لديه ميزة رؤيتها أولاً، أوقف بوش السيارة عند تقاطع بودري وفيغيروا تيراس، ونقر بأصابعه على عجلة القيادة.

قال: «لقد اختار مكاناً جيداً لقلعته السرية، لا يمكننا الاقتراب منه من دون أن نُكشف، خاصة في وضح النهار».

أومأت ريتشل برأسها.

«بُنيت قلاع العصور الوسطى على قمم التلال للسبب نفسه».

نظر بوش إلى يساره، باتجاه وسط المدينة، وشاهد المباني الشاهقة التي ترتفع فوق أسطح المنازل في فيغيروا تيراس. كان المقر الرئيسي لإدارة المياه

والطاقة أحد أقرب المباني إليه وأطولها، وكان عبر الطريق السريع مباشرة.

قال: «لديّ فكرة».

خرجا من الحي، وعادا إلى وسط المدينة، دخل بوش مرأب الإدارة، وركن سيارته في أحد الأماكن المخصصة للزائرين، وفتح صندوق السيارة، وبحث عن أدوات المراقبة التي يحتفظ بها دائماً في السيارة، وأخرج منظاراً وكاميرا مراقبة وكيس نوم ملفوفاً.

سألت والينغ: «ما الذي ستلتقط صوراً له؟».

«لا شيء، ولكن لديها عدسة طويلة، وقد ترغبين في النظر عبرها أثناء استخدام المنظار».

«وكيس النوم؟».

«قد نكون مستلقين على السطح، لا أريد أن تلطخي بذلتك الفيدرالية الفاخرة».

«لا تقلق بشأني، اقلق على نفسك».

«أنا قلق على الفتاة التي اختطفها ويتس، دعينا نذهب».

توجها عبر أرض المرأب نحو المصاعد.

سألته أثناء صعودهما: «هل لاحظت أنك ما زلت تناديه باسم ويتس، بالرغم من أننا متأكدون الآن أن اسمه فوكسورث؟».

«نعم، لقد لاحظت، أعتقد لأنه عندما كنا وجهاً لوجه كان ويتس، وعندما بدأ بإطلاق النار، كان ويتس، إنه عالق نوعاً ما في رأسي».

أومأت برأسها، ولم تقل شيئاً آخر بخصوص ذلك، بالرغم من أنه خمن أن لديها وجهة نظر نفسية بخصوص الأمر.

عندما وصلا إلى الردهة، ذهب بوش إلى مكتب الاستعلامات، وأظهر شارته وأوراق اعتماده، وطلب مقابلة مشرف أمني، أخبر الرجل عند المكتب أن الأمر عاجل، وفي أقل من دقيقتين، جاء رجل، أسود طويل يرتدي بنطالاً

رمادياً وسترة بحرية فوق قميصه الأبيض وربطة عنق، من الباب باتجاههم مباشرة، هذه المرة أظهر كل من بوش ووالينغ شارتيهما وبدا الرجل معجبا بوضوح بالترادفية بينهما.

قال وهو يقرأ بطاقة بوش: «هيرونيموس، هل ينادونك هاري؟».

«صحيح».

مدّ الرجل يده وابتسم.

«أنا غيسون إدغار، أعتقد أنك وابن عمي كنتما شريكين ذات مرة».

ابتسم بوش، ليس فقط بسبب الصدفة، بل لأنه عرف أن ذلك يعني تعاون الرجل معه. وضع كيس النوم تحت ذراعه الأخرى وصافح يده.

«هذا صحيح، أخبرني أن لديه ابن عم في إدارة المياه والطاقة، لقد اعتدت أن تعطيه معلومات الفوترة عندما كنا بحاجة إليها، تشرفنا».

«وأنا أيضاً يا رجل، ماذا لدينا هنا؟ إذا كان مكتب التحقيقات الفدرالي مرتبطاً بالأمر، فهل نتحدث عن وضع إرهابي؟».

رفعت راشيل يدها في لفتة مهدئة.

قالت: «ليس تماماً».

«غيسون، نحن نبحث فقط عن مكان يمكننا فيه النظر إلى حيّ عبر الطريق السريع في إيكو بارك، هناك منزل نحن مهتمون به، ولا يمكننا الاقتراب منه دون أن يُكشف أمرنا، أتفهم ما أعنيه؟ كنا نفكر أنه ربما من أحد المكاتب هنا أو من السطح يمكننا الحصول على زاوية رؤية لنراقب ما يحدث هناك».

قال إدغار: «لديّ المكان المناسب، اتبعاني».

قادهما إلى المصاعد، واضطر إلى استخدام مفتاح لإضاءة زر الطابق الخامس عشر، وفي الطريق إلى الأعلى، شرح أن المبنى قيد الصيانة والتجديد طابقاً تلو الآخر، وفي الوقت الحالي انتقل العمل إلى الطابق الخامس عشر، كانت الأرضية محطّمة وفارغة، في انتظار أن يأتي المقاول لإعادة البناء وفقاً

لخطة التجديد.

قال: «يمكنكما اعتبار الطابق بأكمله تحت تصرفكما، اختر الزاوية التي تريدها من أجل ن.م».

أومأ بوش برأسه. كان ن. م هو اختصار لنقطة المراقبة، أخبره ذلك شيئاً عن غيسون إدغار.

سأله: «أين خدمت بالجيش؟».

«مشاة البحرية، عاصفة الصحراء، الملاجئ، لهذا السبب لم أنضم إلى قسم الشرطة، فلقد اكتفيت من المناطق الحربية، دوام هذه الوظيفة بين التاسعة والخامسة، ضغط منخفض ومثيرة للاهتمام بما يكفي، إذا كنت تعرف ما أعنيه».

لم يعرف بوش، إلا أنه أومأ برأسه على أي حال.

فُتحت أبواب المصعد، وخرجوا إلى أرضية كانت مفتوحة على مصراعيها محاطة بالزجاج الخارجي، قادهما إدغار نحو الجدار الزجاجي الذي يطل على إيكو بارك.

سأل إدغار بينما كانوا يقتربون: «ما هي القضية، على أي حال؟».

عرف بوش أن الأمر سيصل إلى هذا السؤال، وكان مستعدا للإجابة: «هناك مكان في الأسفل نعتقد أنه يستخدم بمثابة منزل آمن للهاربين، نريد معرفة إن كنا نستطيع رؤية شيء، هل تفهمني؟».

«بالتأكيد أفهمك».

قالت والينغ: «هناك شيء آخر يمكنك القيام به لمساعدتنا».

التفت إليها بوش مع إدغار، وقد شعر بالحيرة مما ستطلبه.

قال إدغار: «ما الذي تحتاجان إليه؟».

«هل يمكنك البحث عن العنوان من خلال حاسوبك وإخبارنا باسم الشخص الذي يدفع مقابل الخدمات؟».

«ليست مشكلة، دعني أعرف المكان الذي ستختارانه».

أومأ بوش رأسه إلى ريتشل، لقد كانت خطوة جيدة، لن يقتصر الأمر على إبعاد إدغار الفضولي من الطريق لبعض الوقت فحسب، بل يمكنه أيضاً أن يزودهما ببعض المعلومات القيمة حول المنزل في زقاق فيغيروا، عند الجدار الزجاجي الممتد من الأرض حتى السقف على الجانب الشمالي من المبنى، نظر بوش ووالينغ إلى الأسفل عبر الطريق السريع 101 في إيكو بارك، وكانا أبعد عن حي التلال مما كان يعتقد بوش، ولكنهما لا يزالان في نقطة جيدة. أشار إلى العلامات الجغرافية لريتشل.

قال: «هناك فيغ تيراس، تلك المنازل الثلاثة فوقها على المنعطف تقع في زقاق فيغ».

أومأت برأسها.

كان زقاق فيغيروا لين يحتوي على المنازل الثلاثة فقط، من هذا الارتفاع والمسافة بدا وكأنه فكرة ثانوية، اكتشاف متعهد البناء أنه يستطيع أن يكدّس ثلاثة منازل أخرى على جانب التل بعد أن تم وضع شبكة الشوارع الرئيسية بالفعل.

سألته: «أي واحد هو 710؟».

«سؤال وجيه».

أفلت بوش كيس النوم ورفع المنظار، درس المنازل الثلاثة، بحثاً عن عنوان، أخيراً ركّز على سلّة قمامة سوداء توجد أمام المنزل في المنتصف، رأى أرقاماً بيضاء كبيرة رسمها شخص ما 712 على العلبة في محاولة لحمايتها من السرقة، عرف بوش أن أرقام العناوين ستتزايد تصاعدياً مع امتداد الشارع بعيدا عن وسط المدينة.

قال: «على اليمين 710».

قالت: «لقد رأيته».

سأل إدغار: «إذن هذا هو العنوان؟ 710 زقاق فيغ؟».

قال بوش: «زقاق فيغيروا».

«حسناً، دعني أذهب لأرى ما يمكنني العثور عليه، إذا جاء أي شخص إلى هنا وسأل عما تفعلاه، أخبراه أن يتصل بي على 338، هذا رقمي».

«شكراً يا غيسون، لقد فهمت الأمر».

بدأ إدغار بالسير نحو المصاعد، فكّر بوش في شيء وناداه من بعيد.

«غيسون، هذا الزجاج عليه فيلم، أليس كذلك؟ لا أحد يستطيع أن يرانا ونحن ننظر، أليس كذلك؟».

«نعم، لا توجد مشكلة، يمكنك الوقوف هناك عارياً ولن يراك أحد من الخارج، ولكن لا تحاول ذلك في الليل، لأن الأمر مختلف، فالضوء الداخلي يغير الأشياء ويمكن رؤيتك في الحال».

أومأ بوش برأسه.

«شكراً».

«عندما أعود، سأحضر كرسيين».

«سيكون ذلك جيداً».

بعد أن اختفى إدغار في المصعد، قالت والينغ: «جيد، على الأقل سنكون قادرين على الجلوس عراة أمام النافذة».

ابتسم بوش.

قال: «بدا وكأنه يعرف كل ذلك عن خبرة».

«أتمنى ألا يكون كذلك».

رفع بوش المنظار ونظر إلى المنزل ذي العنوان 710 في زقاق فيغ. كان ذا تصميم مشابه للاثنين الآخرين في الشارع، بني عالياً على جانب التل على بعد خطوات تؤدي إلى مرأب أمام شارع حيث يوجد جسر أسفل المنزل بين المرأب والشارع، كان له سقف قرميدي أحمر وزخارف إسبانية، ولكن في

حيـن تـم طـلاء المنازل الأخرى في الشـارع بعناية ورعايـة، بدا 710 متهالكاً، وكان طلاؤه الوردي باهتاً، واجتاحت الأعشاب الممر بين المرأب والمنزل، لم ترفع سارية العلم التي تقف عند زاوية الشرفة الأمامية أي علم. ضبط بوش تركيز المنظار ونقله من نافذة إلى أخرى، بحثاً عن مؤشرات وجود أحد، على أمل أن يحالفه الحظ، ويرى ويتس نفسه ينظر إلى الخلف.

بجانبه سمع والينغ تنقر لأخذ بعض الصور، كانت تستخدم الكاميرا: «لا أعتقد أن هناك أي فيلم في هذه الكاميرا، إنها ليست رقمية».

«كل شيء على ما يرام، إنها فقط العادة، ولا أتوقع أن يكون لدى ديناصور مثلك كاميرا رقمية».

من خلف المنظار، ابتسم بوش، حاول التفكير في الرد ولكن ركّز انتباهه مرة أخرى على المنزل، كان من النمط الذي تشيع مشاهدته في الأحياء القديمة فـي تـلال المدينـة، بينما مع البناء الأحدث فإن الأرض تملي تصميم الطريق. كانت المنازل على الجانب المائل من فيغيروا لين من تصميم أكثر إخضاعاً، وعلى مستوى الشارع، حفرت الأرض من أجل المرأب، ثم فوق ذلك، كانت التلال مدرّجة وبُني منزل صغير من طابق واحد، وتم الحفر والبناء في الجبال والتلال في جميع أنحاء المدينة بهذه الطريقة في الأربعينيات والخمسينيات، حيث امتدت المدينة من خلال الشقق ونمت التلال مثل المد المتصاعد.

لاحـظ بـوش فـي أعلـى الـدرج الممتد من جانـب المرأب إلى الشـرفة الأمامية أن هناك منصة معدنية صغيرة، فحص السلالم مرة أخرى ورأى سكك التوجيه المعدنية.

قـال: «هنـاك مصعـد علـى الدرج، أيا كان مـن يعيش هناك الآن فهو على كرسيّ مدولب».

لـم يـرَ أي حركـة خلـف أي نافـذة يمكـن رؤيتهـا مـن زاويتهما. أسـقط تركيـزه إلـى المـرأب، كان يضم باب مدخل للمشـاة وأبـواب مرأب مزدوجة

طُليت باللون الوردي قبل وقت طويل. الطلاء، أو ما بقي منه، كان رمادياً الآن والخشب متشققاً في العديد من الأماكن نتيجة التعرض المباشر لأشعة الشمس بعد الظهر، وبدا أحد أبواب المرأب كما لو أنه أُغلق بزاوية غير متساوية على الرصيف، ولم يعد يعمل بعد الآن، وكان باب مدخل المشاة يحتوي على نافذة، ولكن الظل كان ممتداً نحو الأسفل خلفه، وعبر اللوحة العلوية لكل باب من أبواب المرأب كان هناك صف من النوافذ المربعة الصغيرة، لكنها تعرضت لضوء الشمس المباشر، ومنع الانعكاس المبهر بوش من الرؤية. سمع بوش صوت المصعد، ووضع المنظار للمرة الأولى، ودقق خلفه فرأى غيسون إدغار يحمل كرسيين ويتقدم نحوهما.

قال بوش: «ممتاز».

أخذ أحد الكرسيين ووضعه بالقرب من الزجاج حتى يتمكن من الجلوس عليه إلى الخلف ودعم مرفقيه على ظهر المقعد، وضعية مراقبة كلاسيكية. وضعت ريتشل كرسيها حتى تتمكن من الجلوس بشكل طبيعي عليه.

سألته: «هل سنحت لك فرصة التحقق من السجلات يا غيسون؟».

قال إدغار: «لقد فعلت ذلك، فخدمات هذا العنوان تُدفع من قبل جانيت ساكسون منذ 21 عاماً».

«شكراً لك».

«لا مشكلة، أعتقد أن ذلك كل ما تحتاجه مني الآن؟».

نظر بوش إلى إدغار.

«لقد ساعدتنا كثيراً، ونحن نقدر ذلك، وربما سنبقى قليلاً ثم نغادر، هل تريد أن نعلمك أو ننزل هذين الكرسيين إلى مكان ما؟».

«آه، فقط أخبر الرجل في الردهة عندما تخرج، سيرسل رسالة لي، أما الكرسيان فدعهما هنا، يمكنني تدبر ذلك».

«سأفعل، شكراً».

«حظاً سعيداً، آمل أن تجد الرجل المطلوب».

صافحهما إدغار وعاد إلى المصعد، وعاد بوش ووالينغ لمشاهدة المنزل في فيغيروا لين. سأل بوش ريتشل إذا كانت ترغب بأخذ مكانه فنفت. سألها إذا كانت تفضل استخدام المنظار، فقالت إنها ستبقى مع الكاميرا، فعدستها الطويلة سمحت لها بالفعل بصورة أقرب من المنظار.

مرّت عشرون دقيقة، ولم يُلاحظ أيّ تحرك في المنزل، أمضى بوش الوقت في التحرك ذهاباً وإياباً بين المنزل والمرأب ولكنه كان الآن يدرّب تركيزه على الأحراش الكثيفة على خط الحافة أعلاه، بحثا عن مكان مراقبة محتمل آخر والذي قد يتيح لهما رؤية أقرب، تحدثت والينغ بحماسة.

«هاري، المرأب».

انخفض بوش، وركز رؤيته نحو المرأب، اختفت الشمس خلف سحابة، وسقط الوهج عن خط النوافذ عبر اللوحة العلوية لكل باب من أبواب المرأب، رأى بوش ما اكتشفته ريتشل، من خلال نوافذ باب المرأب، يمكنه رؤية الجزء الخلفي من سيارة فان بيضاء.

قالت والينغ: «سمعت أن عربة بيضاء استُخدمت في الاختطاف الليلة الماضية».

«هذا ما سمعته أيضاً، لقد ذُكرت في التقرير».

كان متحمساً، عربة فان بيضاء في منزل عاش فيه راينارد ويتس.

صرخ قائلاً: «هذا كل ما في الأمر، يجب أن يكون هناك مع الفتاة، ريتشل، يجب أن نذهب!».

نهضا وأسرعا إلى المصعد.

28

تجادلا بشأن إحضار الدعم أثناء خروجهما من مرأب إدارة المياه والطاقة، فأيدت واليـنغ الفكرة، وعارضها بوش.

قال: «انظري، كل ما لدينا هو عربة بيضاء، قد تكون في ذلك المنزل، وقد لا تكـون، إذا اقتحمنـا المـكان مـع القوات، فقد نفقـده، لذا كل ما أريد القيام بـه هـو التحقـق منـه عن قرب، يمكننا طلب الدعم عندما نصل إلى هناك، هذا إذا احتجنا إليه».

لـم يكـن لديه شـك بـأن وجهة نظره منطقية، وبدورها لم تشـك بمنطقية وجهة نظرها.

سـألته: «وإن كان هنـاك؟ عندهـا نكـون قـد ذهبنا بأقدامنـا إلى كمين. يا هـاري، نحتـاج إلـى فريـق واحـد علـى الأقل مـن الدعم للقيام بذلك بشـكل صحيح وآمن».

«سنتصل بهم عندما نصل إلى هناك».

«عندها نكون قد تأخرنا. أعرف ما الذي تسعى إليه؛ تُريد الحصول على الرجل لنفسك، وأنت مستعد للمخاطرة بتلك الفتاة وبنا للحصول عليه».

«إلى أين تريدينني أن أقلك يا ريتشل؟».

«لا أريدك أن تقلّني إلى أي مكان يا هاري».

«جيّد، فأنا أودّ أن تكوني معي».

أنهيا النقاش، واتخذا القرار. كان شـارع فيغيروا خلف مبنى إدارة المياه والطاقة، سلك بوش الطريق شرقاً أسفل الطريق السريع 101، عند تقاطعه مع سانسـت، ثم توجه شـمالاً أسـفل الطريق السريع 110، بعدها انتقلا من شارع فيغيروا إلى فيغيروا تيراس، وتوجها إلى حيث انحرف الشارع إلى قمة التل. ركن بوش السيارة عند الرصيف.

قال: «سنمشي، ثم سنبقى بالقرب من خط المرأب حتى نصل إلى 710، إذا بقينا على مقربة من بعض، فلن يتمكن من رؤيتنا من المنزل».

«وإن لم يكن في المنزل، بل كان ينتظرنا في المرأب؟».

«عندها سنتعامل معه، نمشط المرأب أولاً ثم نصعد الدرج إلى المنزل».

«المنازل على حافة التل، ولا نزال بحاجة إلى عبور الشارع».

نظر إليها من فوق سطح السيارة عندما ترجلا منها.

«ريتشل، هل أنتِ معي أم لا؟».

«قلت لك، أنا معك».

«حسناً، لنتقدم».

بـدأ بـوش يتسـلل إلى الرصيـف المؤدي إلى أعلى التل، سـحب هاتفه، وأطفأه حتى لا يهتز أثناء التسلل إلى المنزل، شعر بضيق في التنفس في الوقت الذي وصل فيه إلى القمة، وكانت راشـيل خلفه مباشـرة، ولم تظهر المسـتوى نفسـه من اسـتنفاد الأكسـجين. مرت سـنوات على آخر مرة دخّن فيها بوش، ولكن الضرر الذي حدث طيلة خمس وعشـرين سـنة من التدخين لا يمكن التخلص منه بمجرد التوقف عن التدخين، فآثاره ستبقى، كانا يركزان نظراتهما على المنزل الوردي في نهاية الشـارع، عندما وصلا إلى القمة، واضطرا إلى العبور إلى المرائب التي تصطف على الجانب الشـرقي من الشـارع، وسـارا نحوه. أمسـك بوش بذراع ريتشـل بشـكل عرضي وهمس في أذنها قائلاً: «أنا

أستخدمك لأحجب وجهي، لقد سبق له أن رآني أما أنت فلا».

فقالت عندما عبرا: «هذا لا يهم، إذا رآنا، توقع أنه سيعرف ما الذي يحدث».

تجاهل التحذير، وتابع تقدمه أمام المرائب، التي بنيت مباشرة على طول خط الرصيف، وصلا إلى 710 بسرعة. توجّه بوش إلى زجاج إحدى النوافذ التي تعلو أحد الأبواب، ووضع يديه على الزجاج المتسخ، ونظر إلى الداخل، فرأى خلف النافذة عربة فان وأكواماً من الصناديق والبراميل وغيرها من النفايات، إلا أنه لم يرَ حركةً ولم يسمع صوتاً، وكان الباب عند الجدار الخلفي للمرأب مغلقاً، فتقدم إلى باب المشاة في المرأب وفحص المقبض.

همس قائلاً: «إنه مغلق».

تراجع ونظر إلى باب تُسحب درفتاه، وقفت ريتشل بالقرب من الدرفة البعيدة، وقرّبت أذنها منه محاولة الإصغاء إلى أي أصوات في الداخل. نظرت إلى بوش وهزت رأسها، لا شيء. نظر إلى الأسفل، ورأى أن هناك مقبضاً على كل درفة من درفتي الباب، ولكن لا يوجد قفل خارجي. دنا من الدرفة القريبة، وانحنى، وحاول سحبها ليفتح الباب، تحركت بوصة ثم توقفت، كان الباب مغلقاً من الداخل، حاول سحب الدرفة الثانية ولم تختلف النتيجة، فقد تحركت الدرفة لبوصة قبل أن تتوقف، ومن خلال الحركة الطفيفة لكل درفة استنتج بوش أن الباب مغلق من الداخل بواسطة قفل.

وقف ونظر إلى راشيل، وهز رأسه وأشار إلى أعلى، وهذا يعني أن الوقت حان للصعود إلى المنزل، انتقلا إلى الدرج الإسمنتي، وبدأا الصعود بهدوء. تقدم بوش وتوقف على بعد أربع خطوات من الأعلى، انحنى وحاول أن يحبس أنفاسه، نظر إلى ريتشل، وعلم أنهما كانا يشقان طريقهما بحذر، لم يكن هناك طريقة للاقتراب من المنزل سوى الذهاب مباشرة إلى الباب الأمامي، استدار وتفحّص النوافذ واحدة تلو الأخرى، فلم يرَ حركة، ولكن

خُيل إليه أنه سمع صوت تلفاز أو مذياع من الداخل، فسحب مسدسه وصعد الدرجات الأخيرة، وأمسك السلاح إلى جانبه عندما عبر بهدوء من الباحة نحو الباب الأمامي.

يعلم بوش أن أمر التفتيش لم يكن محلّ خلاف هنا، فويتس اختطف فتاة، وبما أن الموضوع كان موضوع حياة أم موت فليس من الضروري استصدار مذكرة بحث، لذا لم يطرقا الباب وفقاً لأصول اللياقة، بل وضع بوش يده على المقبض وفتله. انفتح الباب، فدفعه ببطء، ولاحظ وجود منحدر بارتفاع بوصتين على العتبة يتيح عبور كرسي مدولب، وعندما فُتح الباب أصبح صوت المذياع أعلى، إنها محطة إنجيلية، والصوت المنبعث من المذياع يعود لرجل يتحدث عن الفَرَج الوشيك.

دخلا المنزل، إلى اليمين انفتح البهو على غرفة جلوس وخلفها مساحة مخصصة لتناول الطعام، تفصلها عن المطبخ قنطرة، أما الممر إلى اليسار فيقود إلى سائر أرجاء المنزل. أشار إلى اليمين من دون أن ينظر إلى ريتشيل، وهذا يعني أنها ستذهب بهذا الطريق بينما يتحرك هو إلى الأمام ويفحص المطبخ قبل أن يتجه نحو الممر إلى اليسار.

عندما وصل إلى القنطرة، نظر إلى ريتشل، ورآها تتحرك نحو غرفة الجلوس، وقد شهرت مسدسها، بدا له المطبخ نظيفاً ومرتباً، ولم يرَ أي طبق في حوض غسل الأطباق، كان المذياع على منضدة صغيرة، وكان المتحدث يخبر مستمعيه أن أولئك الذين لا يؤمنون سيُتركون وحدهم.

فصلت قنطرة أخرى المطبخ عن منطقة تناول الطعام. أطلت ريتشل من خلالها، ورفعت مسدسها إلى الأعلى عندما رأت بوش، وهزت رأسها، إشارة إلى أنها لم تعثر على شيء.

استدار بوش، وعاد عبر الممر إلى مدخل المنزل، لكي يتجه نحو الممر المؤدي إلى غرف النوم وبقية المنزل، وعندما استدار نحو الرواق بدا مذهولاً

لرؤية امرأة عجوز تجلس على كرسيّ مدولب عند أول الممر، تضع في حضنها مسدساً طويل الفوهة، بدا وكأنه ثقيل جداً لتحمله بيديها الواهنتين.

سألتْ: «من هناك؟».

كان رأسها مفتولاً بزاوية معينة، بالرغم من أن عينيها كانتا مفتوحتين، إلا أنهمّا ركزتا على الأرض بدلاً من أن تركزا على بوش، وكانت أذنها هي التي تواجهه، وعلم حينها أنها ضريرة، رفع مسدسه وصوّبه نحوها.

«سيدة ساكسون؟ على رسلك، اسمي هاري بوش، أنا أبحث عن روبرت».

بدت الحيرة على ملامحها.

«مَن؟».

«روبرت فوكسورث، أهو هنا؟».

«لقد أتيت إلى المكان الخاطئ، وكيف تجرأت ودخلت من دون أن تطرق الباب».

«أنا...».

«بوبي يستخدم المرأب، لا أسمح له باستخدام المنزل، فالمواد الكيميائية التي يستخدمها كريهة الرائحة».

بدأ بوش يتجه نحوها، ولم تفارق نظراته المسدس طوال الوقت.

«أنا آسف، يا سيدة ساكسون، اعتقدت أنه هنا، هل كان هنا مؤخراً؟».

«إنه يأتي بين الحين والأخرى ليدفع الإيجار، هذا كل شيء».

«إيجار المرأب؟».

كان يقترب.

«هذا ما قلته، لماذا تريده؟ هل أنت صديقه؟».

«أريد فقط أن أتحدث إليه».

وصل بوش إليها، وانتزع المسدس من حضنها.

«ما بك! هذا المسدس لحمايتي».

«كل شيء على ما يرام، يا سيدة ساكسون، سأعيده إليك، أعتقد أنه يحتاج إلى بعض التنظيف، والتشحيم، وبعدها سيكون جاهزاً لاستعماله إن احتجتِ إلى استخدامه».

«إنني بحاجة إليه».

«سآخذه إلى المرأب، وأطلب من بوبي أن ينظفه، ثم سأعيده».

«من الأفضل لك أن تفعل هذا».

تفحص بوش المسدس، كان محشواً بالطلقات، وبدا جيداً للاستخدام، وضعه في حزام الخصر في الجزء الخلفي من بنطاله ونظر إلى ريتشل، كانت تقف عند المدخل على بعد ثلاث أقدام منه. حرّكت يدها، بما يشير إلى استعمال مفتاح، فهم بوش.

سألها: «هل لديكِ مفتاح لباب المرأب، يا سيدة ساكسون؟».

«لا، جاء بوبي وأخذ المفتاح الإضافي».

«حسناً، سيدتي سأذهب إليه».

تحرك نحو الباب الأمامي، وخرج مع ريتشل، في منتصف الطريق نحو أسفل المرأب، أمسكت ريتشل ذراعه وهمست.

«علينا استدعاء فريق الدعم، الآن!».

«امضي قدماً واتصلي، ولكنني سأذهب إلى المرأب، إذا كان هناك مع الفتاة، فلا يمكننا الانتظار».

تخلّص من قبضتها، واستمر في النزول، وعندما وصل إلى المرأب نظر مرة أخرى من خلال النوافذ على الألواح العلوية، ولم يرَ أيّ حركة في الداخل، ركّزت عيناه على الباب عند الجدار الخلفي، لا يزال مغلقاً، انتقل إلى ممر المشاة، وفتح نصل سكين صغيرة قابلة للطي مربوطة بحلقة مفاتيحه، توجه بوش للتعامل مع قفل الباب وبلغ النصل لسان القفل، أومأ إلى ريتشل

لتكـون جاهـزة، وسـحب البـاب ليفتحه، ولكنه لم ينفتح، حـاول مرة أخرى، وسحب بقوة، مرة أخرى لم يفتح الباب.

همس: «هناك قفل داخلي، هذا يعني أنه في الداخل».

«لا، لا يعني ذلك، كان بإمكانه الخروج من أحد أبواب المرأب».

هزّ رأسه، وهمس مجدداً: «كل الأبواب مقفلة من الداخل».

فهمت راشيل وأومأت.

فكّر بوش للحظة ثم سلمها مفاتيحه.

«اذهبي واحضري السيارة، عندما تصلين إلى هنا، اجعلي صندوقها إلى الخلف، ثم افتحيه».

ما الذي أنت...؟».

«افعلي ما أطلبه منك فقط، هيا اذهبي».

ركضـت إلـى الرصيـف أمـام المرائـب، وعبرت الشـارع، وتـوارت عن الأنظـار وهـي تتجـه إلى أسـفل التل، تحرك بوش نحـو الباب الذي بدا وكأنه أغلـق بشـكل غريـب، وكان خـارج نطاق المحـاذاة، وفكـر أن الاقتحام عبره أفضـل مـن البـاب الآخر، سـمع بوش محرك الموسـتانغ الكبيـر قبل أن يرى سيارته تأتي من أعلى التل. قادت ريتشل نحوه بسرعة، وتراجع لإعطائها أكبر مساحة للمناورة، وقامت بدورة تقريباً في الشارع ثم اتجهت نحو المرأب، برز صندوق السيارة، على الفور توجه بوش نحو الصندوق باحثاً عن الحبل الذي احتفـظ بـه فـي المؤخرة، لقد اختفى، ثم تذكر أن أوسـاني أخذه بعد اكتشـافه على الشجرة في بيتشوود كانيون.

«سحقاً».

إلا أنـه وجـد سـلكاً أقصـر سـبق له أن اسـتخدمه عندمـا كان ينقل قطعة أثاث إلى جيش الخلاص، وسرعان ما ربط أحد طرفي السلك بحلقة سحب فولاذيـة تحـت مصدّ السـيارة والطرف الآخر بالمقبض الموجود أسـفل باب

المرأب. خرجت ريتشل من السيارة، وسألته: «ما الذي تفعله؟».

أغلق بوش بهدوء صندوق السيارة.

«سأربط الباب بالسيارة وستمضين قُدماً، اذهبي ببطء، سنسحب الباب بهذا السلك، تحركي، يا ريتشل، بسرعة».

من دون أن تنبس ببنت شفة، عادت إلى السيارة، حررت المكابح، وبدأت في التحرك إلى الأمام، نظرت في مرآة الرؤية الخلفية، أما هو فأشار إليها بإصبعه لتتابع، أصبح السلك مشدوداً، وبعد ذلك سمع بوش صوت أنين من باب المرأب مع تصاعد الضغط، تراجع في الوقت نفسه، وسحب مسدسه مرة أخرى، انفتح باب المرأب، وسُحب إلى الطريق دفعة واحدة وارتفع عن الأرض مقدار ثلاث أقدام.

«توقفي!».

صاح بوش، فلم يعد هناك حجة للهمس.

توقفت ريتشل، ولكن السلك بقي مشدوداً، وبقي باب المرأب مفتوحاً، تحرّك بوش سريعاً، وانبطح زاحفاً أسفل الباب، وأصبح داخل المرأب، واجتاح المساحة لكنه لم يرَ أحداً، أبقى عينيه على الباب عند الجدار الخلفي، ومال نحو العربة، ودفع الباب الجانبي ليفتحه وتفحص الداخل بسرعة، كان فارغاً.

تحرك بوش نحو الجدار الخلفي، وشقّ طريقه عبر البراميل، ولفائف البلاستيك، وحزم المناشف، وغيرها من معدات غسل النوافذ، كانت هناك رائحة قوية من الأمونيا والمواد الكيميائية الأخرى، فبدأت عينا بوش تدمعان.

صرخت والينغ من الخارج: «مكتب التحقيقات الفدرالي! نحن قادمون!».

ردّ بوش صارخا: «عُلم!».

سمع صوت احتكاكها تحت باب المرأب، لكنه ظل مركزاً على الباب عند الجدار الخلفي، وهو يتقدم إليه، وأصغى طوال الوقت لأي صوت.

أخذ بوش موضعاً على جانب الباب، ووضع يده على مقبض الباب

وفتله، فتبين له أنه مفتوح، للمرة الأولى نظر إلى الخلف صوب ريتشل، كانت تقف في وضعية قتالية، أومأت برأسها، وفي خطوة واحدة سريعة فتح الباب، وتحرّك عبر العتبة. كانت الغرفة معتمة وعديمة النوافذ فلم يرَ شيئاً، وعرف أنه كان هدفاً يقف في الضوء عند المدخل وسرعان ما خطا إلى الغرفة، ورأى حبلاً يتدلى من مصباح في الأعلى فوصل إليه وسحبه، انقطع الحبل ولكن المصباح أنار، وتأرجح بفعل سحبه، كان في غرفة عمل وتخزين غمقها حوالى عشر أقدام، لم يكن هناك أحد في الغرفة.

«هذا واضح».

دخلت ريتشل، ووقفا هناك يتفحصان الغرفة، شاهدا مقعداً مليئاً بعلب الطلاء القديمة، كانت الأدوات المنزلية والمصابيح اليدوية على اليمين، وأربع دراجات قديمة وصدئة مكدسة على الجدار الأيسر، جنباً إلى جنب مع الكراسي القابلة للطي، وكومة من صناديق الكرتون، أما الجدار الخلفي فكان عبارة عن كتلة إسمنتية، عُلّق عليه علم قديم مغبر، وعلى الأرض أمامه وجد مروحة كهربائية، شفراتها مغطاة بالغبار والوحل، بدا وكأن شخصاً ما حاول إخراج الرائحة النتنة والرطوبة من الغرفة.

قال بوش: «تباً!».

أخفض مسدسه، واستدار، وتخطّى ريتشل، فتبعته. هز رأسه، وحاول فرك عينيه، للتخلص من الدموع التي ترقرقت نتيجة المواد الكيميائية، ولم يستطع فهم ما حصل، هل فات الأوان؟ هل كانا يتبعان الطريق الخاطئ بشكل كليّ؟

قال: «تفحصي عربة الفان، وانظري إن كان هناك أي أثر للفتاة».

عبرت ريتشل من خلفه نحو عربة الفان، وذهب بوش إلى الباب المؤدي إلى ممر المشاة معتقداً أن شخصاً ما يجب أن يكون في المرأب، ظن أنه محق. كان هناك قفل محطم على الباب، وهذا يعني أنه يمكن قفله من الداخل فقط. انتقل إلى أبواب المرأب، وانحنى لينظر إلى آليات القفل الخاصة بها،

ومرة أخرى بدا محقاً، كان هناك قفلان على الجزء الداخليّ. حاول حلّ اللغز، تم قفل جميع الأبواب الثلاثة من الداخل، وهذا يعني أنه إما أن شخصاً ما كان داخل المرأب أو كان هناك نقطة خروج لم يحددها بعد، ولكن بدا هذا مستحيلاً؛ حفر المرأب مباشرة في الجسر بجانب التل، فلم يكن هناك إمكانية للخروج الخلفي. تفحص السقف، متسائلا عما إذا كان من الممكن وجود ممر يوصل إلى المنزل، عندها نادت ريتشل من داخل عربة الفان.

قالت: «لديّ لفافة من الشريط اللاصق، لقد وجدت شرائط مستعملة على الأرض وفيها شعر».

عزز ذلك اعتقاد بوش أنهما في المكان المناسب، فدخل إلى الفان من بابه الجانبي المفتوح، ونظر إلى ريتشل أثناء سحب هاتفه، ولاحظ أن الكرسي المتحرك في الفان كان مرفوعاً.

قال: «سأتصل بالدعم والأدلة الجنائية، لقد فقدناه».

كان عليه أن يعيد تشغيل الهاتف، وبينما كان ينتظره ليُقلع، أدرك شيئاً ما؛ لم تُوجه المروحة في الغرفة الخلفية نحو أبواب المرأب، فإذا كنتَ ستقوم بتهوية الغرفة، فعندها ستوجّهها نحو الباب. رنّ هاتفه في يده مما شتت انتباهه، ونظر إلى أسفل الشاشة، كان هناك إشعار يخبره أن لديه رسالة في انتظاره، نقر زراً ليتحقق من سجل المكالمات، فرأى أن مكالمة من جيري إدغار قد فاتته. قرر معاودة الاتصال به لاحقاً، وأجرى عدداً من الاتصالات، وأخبر المجيب أن يوصله بفريق عمل راينارد ويتس الهارب، ثم أجابه ضابط يعرّف نفسه على أنه فريمان.

«أنا المحقق هاري بوش، لدي...».

«هاري! مُسَدَّس!».

كانت ريتشل هي التي صاحت، تباطأ الوقت، نظر إليها بوش عند باب الفان، كانت عيناها تنظران عبر كتفه إلى الجزء الخلفي من المرأب. دون

تفكيـر، قفـز نحوهـا إلى الأمام، ولف ذراعيه حولها، ودفعها إلى أرضية الفان بسـرعة كبيرة. أتت أربع طلقات من خلفه، تبعها صوت لحظيّ للرصاصات وهي تضرب المعدن وتكسر الزجاج، دحرج بوش ريتشل، وصعد ومسدسه في يده، لمح شـخصاً ما في غرفة التخزين الخلفية، فأطلق سـت طلقات عبر المدخل، نحو الجدار الأيمن.

«ريتشل هل أنتِ بخير؟».

«أنا بخير، هل أُصبتَ؟».

«لا أعتقد ذلك!».

«إنه هو؛ ويتس!».

توقفا وراقبا باب الغرفة الخلفية، ولم يعد أحد من خلاله.

همست ريتشل: «هل أصبته؟».

«لا أعتقد ذلك».

«اعتقدتُ أننا تفحصنا تلك الغرفة».

«وأنا أيضاً».

وقـف بـوش، وظـل موجهاً مسدسـه نحو الباب، ولاحـظ أن الضوء في الداخل قد أطفئ.

قال: «لقد أسقطت هاتفي، اتصلي بفريق الدعم».

بدأ يتحرك نحو الباب.

«هاري، انتظر، قد...».

«اطلبي الدعم ولا تنسي أن تخبريهم أنني في الداخل».

توجـه نحـو اليسـار، واقتـرب مـن الباب إلـى زاوية تتيح له أوسـع رؤية للمنطقـة الداخليـة، ولكـن بغياب الضوء، بدت الغرفة مظلمة، ولم يتمكن من رؤية أي حركة، فتقدم بخطوات صغيرة باسـتخدام قدمه اليمنى أولاً محافظاً على وضعية إطلاق النار. سمع ريتشل خلفه تتحدث عبر هاتفها، تعرّف عن

نفسها، وتطلب تحويلها إلى قسم الشرطة. وصل بوش إلى العتبة، وأمال المسدس ليغطي الجزء من الغرفة الذي لم يستطع رؤيته، وخطا نحو الداخل وعبر نحو اليمين، ما من حركة، بدت له الغرفة فارغة. نظر إلى المروحة، وأكد خطأه، تحركَ بوش خطوتين نحو العلم، وأمسك به من الحافة ومزقه، ورأى خلف العلم وعلى ارتفاع ثلاث أقدام من الأرض مدخل نفق، حيث أزيلت حوالى 12 كتلة إسمنتية لإحداث فتحة بعرض أربعة أقدام، وكان النفق يمتد من هناك إلى التل.

جثم بوش عند الجانب الأيمن الآمن لينظر عبر الفتحة إلى داخل النفق، كان النفق عميقاً ومظلماً، لكنه رأى وميضاً على بعد ثلاثين قدماً، فأدرك وجود منعطف داخل النفق، وأن هناك مصدراً للضوء خلف المنعطف. انحنى بوش بشكل أقرب، وأدرك أنه يمكنه سماع صوت من النفق، كان صوتاً منخفضاً، كان صوتاً رهيباً، وعنى هذا أنه مهما تكن الفظائع التي عانت منها الفتاة التي اختطفها ويتس، إلا أنها لا تزال على قيد الحياة.

عاد بوش إلى منضدة العمل، والتقط أقوى مصباح يدوي لامع شاهده، وشغله، إلا أنه لم يكن مشحوناً، وجرّب آخر وحصل على شعاع ضوئي ضعيف، ولكن عليه الدخول. وجّه المصباح إلى النفق، وتأكد أن الطريق كان واضحاً ثم خطا خطوة نحو النفق.

«هاري، انتظر».

استدار ورأى راشيل عند المدخل.

همست: «فريق الدعم في طريقه إلى هنا!».

هزّ بوش رأسه وقال: «إنها هناك، إنها على قيد الحياة».

عاد إلى النفق، وأضاء المكان مرة أخرى، لا يزال النفق واضحاً حتى المنعطف، أطفأ المصباح ليحافظ عليه، نظر إلى ريتشل، ثم دخل إلى الظلام.

29

فـي بدايـة النفق، توقف بـوش للحظة، ليتيح لعينيه الاعتياد على الظلام، ثم بدأ يتقدم. لم يكن مضطراً للزحف، فقد كان النفق مرتفعاً بما فيه الكفاية ليتحرك وهو منحنٍ. حمل المصباح بيده اليمنى والمسـدس باليسـرى، وأبقى عينيـه علـى الضـوء الخافت أمامه، وكان صوت بكاء المرأة يرتفع كلما تقدم، بعد عشر أقدام من تقدمه داخل النفق، تحولت الرائحة الكريهة التي لاحظها فـي الخـارج إلـى رائحـة نافـذة، بالرغـم مـن أنها كانـت مزعجـة، إلا أنها لم تكن شـيئاً جديداً عليه، فقبل حوالى أربعين عاماً، كان فأر أنفاق مع الجيش الأميركـي، وقتهـا شـارك فـي أكثـر من مئـة مهمة في أنفاق فيتنـام، حيث دفن الأعـداء فـي بعـض الأحيان موتاهم في الجدران الطينيـة لأنفاقهم، ليخفوهم عـن الأنظـار، لكـن إخفاء رائحـة التحلل والتعفن كان مسـتحيلاً، فبمجرد أن تستنشـقها من المسـتحيل أن تنسـاها. عرف أنه يتجه نحو شـيء مرعب، وأن ضحايا راينارد ويتس غير المعروفات كُن في مكان ما من هذا النفق، وأدرك أنه توجه إلى هنا ليلة أمس بعد أن اختطف الفتاة بواسطة سيارة الفان، لكن بوش لـم يستطع نسيان أن الأنفاق كانت وجهته هو الآخر. لقد مرّت سنوات عديدة وأميـال عديـدة، ولكـن بـدا له أنه لم يترك الأنفاق أبداً، وأن حياته كانت دائماً بطيئة الحركة عبر الظلام والمسـاحات الضيقة في طريقها إلى ضوء يومض.

يعلم بوش أنه كان، وهو الآن، وسيكون إلى الأبد فأر أنفاق. شعر بحريق في عضلات فخذه بسبب تحركه في وضعية منحنية، بدأ العرق ينساب إلى عينيه، فشعر بهما تدمعان، وعندما دنا من منعطف النفق، رأى الضوء يتغير ويعيد وميضه، لقد عرف أن ذلك ناجم عن تموج لهيب ضوء الشموع.

قبل خمس أقدام من المنعطف تباطأ بوش، وتوقف ليصغي إلى صوت في الخارج، ظن أنه يسمع صفارات الإنذار، كان فريق الدعم على الطريق، وحاول أن يصغي إلى ما يمكن أن يسمعه من النفق أمامه، إلا أنه لم يسمع سوى صوت بكاء الفتاة المتقطع. رفع نفسه، وتقدم مرة أخرى، على الفور انطفأ الضوء، وأخذ النحيب شكلاً جديداً أكثر إلحاحاً، تجمّد بوش في مكانه ثم سمع ضحكاً صادراً من الأمام، تلاه صوت راينارد ويتس المألوف.

«هل هذا أنت؟ المحقق بوش؟ أهلا بك في جحر الثعلب».

ضحك مجدداً قبل أن يتوقف، مرت عشر ثوانٍ، لكن ويتس لم يقل شيئاً.

«ويتس؟ دعها تذهب، أرسلها إليّ».

«لا، يا بوش، إنها معي الآن، إن تقدمت، فسأقتلها، وسأحتفظ بالرصاصة الأخيرة لأنتحر».

«ويتس، اسمع، دعها تخرج، وسأدخل إليك، وسنتفق».

«لا، يا بوش، يناسبني أن تبقى حيث أنت».

«يجب أن نتحدث، ربما تنقذ نفسك، ليس لدينا متسع من الوقت، أرسل الفتاة إلى الخارج».

مرت بضع ثوان، ثم خرج الصوت من الظلام.

«أنقذ نفسي من ماذا؟ ولماذا؟».

كانت عضلات بوش على وشك التشنج، أخفض نفسه بعناية ليجلس مسنداً ظهره إلى جانب النفق الأيمن، وهو واثق أن ضوء الشموع يأتي من اليسار، أحكم قبضتيه على المسدس المصوب إلى الأمام، وأسند المصباح

بين معصميه.

قال بوش: «دعها تخرج، ولنبرم اتفاقاً، فلا يجدر بأي منكما أن يموت».

«أنا لا أخشى الموت، يا بوش، لهذا السبب أنا هنا، لأنني لا أخشاه. ولكنني أسعى إليه بشروطي، وليس بشروط الدولة أو أيّ شخص آخر، فقط بشروطي».

لاحظ بوش أن الفتاة أصبحت صامتة، وتساءل عما حدث، هل أسكتها ويتس؟ هل...؟

«ويتس، ما المشكلة؟ أهي بخير؟».

«لقد أُغمي عليها، بسبب فرط الإثارة، على ما أعتقد».

ضحك ثم صمت، قرر بوش أنه بحاجة إلى الاستمرار بإلهاء ويتس، فإذا شغله بوش، فسوف يصرف انتباهه عن الفتاة، وعما يتم التخطيط له بالتأكيد خارج النفق.

قال بهدوء: «أعرف من أنت».

حاول بوش ألا يتناول الطعم، حاول مرة أخرى.

«روبرت فوكسورث، ابن روزماري فوكسورث، الذي ترعرع في بيوت الرعاية من قبل المقاطعة، وفي غرف الشباب. ولقد عشت هنا مع عائلة ساكسون لفترة من الزمن، وفي وقت ما كنت تعيش في قاعة شباب ماكلارين في إلمونتي، وأنا أيضاً عشت هناك يا روبرت».

لم تجد كلمات بوش من صدى سوى الصمت، ولكن بعد ذلك خرج الصوت بهدوء من الظلام.

«أنا لست روبرت فوكسورث بعد الآن».

«أفهم ذلك».

«لقد كرهت ذلك المكان، ماكلارين، كرهت كل الأمكنة».

«لقد أغلقوه قبل عامين، بعد وفاة طفل هناك».

«اللعنة عليهم، واللعنة على ذلك المكان، كيف وجدت روبرت فوكسورث؟».

شعر بوش بالإيقاع الذي تسلكه المحادثة، لقد فهم أن تلميح ويتس عندما كان يتحدث عن روبرت فوكسورث كشخص آخر غيره، كان راينارد ويتس الآن.

أجاب بوش: «لم يكن الأمر بهذه الصعوبة، لقد اكتشفنا ذلك من خلال قضية فيتزباتريك، ووجدنا ثغرة في وثائق الرهن في السجلات وتواريخ الميلاد المتطابقة، ما هي ميدالية الإرث التي كانت مرهونة؟».

سبق الإجابة صمت طويل.

«لقد كانت تخصّ روزماري، كانت كل ما لديه منها، كان عليه أن يرهنها وعندما عاد للحصول عليها، تبين أن الخنزير فيتزباتريك قد باعها».

أومأ بوش برأسه، وكان ينتظر الإجابة عن الأسئلة، ولكن لم يكن هناك الكثير من الوقت، فقرر القفز إلى الحاضر.

«راينارد، أخبرني عن الخطة، أخبرني عن أوليفاس وأوشيا».

عمّ الصمت مجدداً.

«لقد استغلوك، استغلك أوشيا وسينجو بشرّ أعماله، هل هذا ما تريده؟ هل تريد الموت هنا في هذه الحفرة بينما يتابع حياته سعيداً».

وضع بوش المصباح الكاشف أرضاً، حتى يتمكن من مسح العرق عن عينيه، ثم تحسس الأرضية مرة أخرى ليعثر عليه.

قال ويتس في الظلام: «لا يمكنني أن أعطيك أي شيء بخصوص أوشيا أو أوليفاس».

لم يستوعب بوش، هل كان مخطئاً؟ عاد إلى الوراء مرة أخرى في رأسه وبدأ مجدداً.

«هل قتلت ماري غيستو؟».

بعد صمت طويل قال ويتس: «لا، لم أقتلها».

«كيف حصل هذا؟ كيف يمكنك أن تعرف أين...».

«فكّر في الأمر، يا بوش، إنهم ليسوا أغبياء، لم يتواصلوا معي مباشرة».

أومأ بوش برأسه، لقد فهم.

قال: «موريس سوان، توسط في الصفقة، أخبرني عنها».

«ما الذي سأقوله؟ لقد كانت خطة يا رجل، قال إن الأمر برمته سيجعلك تصدّق الأمر، وقال إنك تزعج الأشخاص الخطأ ويجب أن تقتنع».

«من هم أولئك الأشخاص؟».

«لم يخبرني».

«هذا ما قاله موريس سوان؟».

«نعم، ولكن لا يهم، حتى أنت لا يمكنك الوصول إليه، هذا رابط بين محامٍ وموكله، لا يمكنك لمسه، إنه امتياز، إلى جانب ذلك، ستكون كلمتي ضد كلمته، وهذا لن يأتي بأي نتيجة وأنت تعرف ذلك».

يعرف بوش ذلك، كان موريس سوان محامياً صارماً وعضواً محترماً في نقابة المحامين، وكان أيضاً محبوباً إعلامياً، لم تكن هناك طريقة لملاحقته بناء على اعترافات العميل المجرم، والقاتل المتسلسل، لقد كانت خطوة ذكية للغاية من قبل أوشيا وأوليفاس لاستخدامهما إياه بمثابة وسيط.

قال بوش: «أنا لا أهتم، أريد أن أعرف كيف سارت الأمور، أخبرني».

ساد صمت طويل قبل أن يرد ويتس.

«ذهب سوان إليهما بفكرة إبرام صفقة، أن أُنظّف السجل، وأنجو من الإعدام، أبرم الصفقة من دون علمي، لو سألني ما كنت لأقبل، فأنا أفضّل الموت على أن أمضي أربعين سنة في زنزانة. أنت تفهم ذلك، يا بوش، أنت رجل صريح ولا تحب المواربة، أحب ذلك فيك، صدق أو لا تصدق».

كان على بوش دفع الحديث مرة أخرى.

«حسناً ماذا حدث؟».

«في إحدى الليالي، نُقلت إلى غرفة مقابلة المحامي في السجن، ووجدت موريس هناك، أخبرني أن هناك صفقة على الطاولة، لكنه قال إنها ستنجح فقط إن قدمت هدية، وهي الاعتراف بجريمة لم أقترفها، وأخبرني أنه ستكون هناك رحلة ميدانية، حيث سأضطر إلى إرشاد محقق إلى قبر، ويجب أن يقتنع هذا المحقق، وما من طريقة لإقناعه سوى إيصاله إلى القبر وذلك المحقق هو أنت يا بوش».

«ووافقت».

«عندما ذكر أمر الرحلة الميدانية، قلت نعم، هذا هو السبب الوحيد، وهذا يعني في وضح النهار. لقد رأيت فرصة في وضح النهار».

«واقتنعت بأن هذا العرض وهذه الصفقة جاءا مباشرة من أوليفاس وأوشيا؟».

«من سواهما يستطيع عرض مثل هذه الصفقة؟».

«هل سبق لموريس سوان أن ذكر اسميهما في ما يتعلق بالصفقة؟».

«قال إن هذا ما أرادا مني أن أفعله، وقال إن هذا ما بلّغاه إياه مباشرة، ولن يبرما الصفقة ما لم أُقدّم الهدية. كان عليّ أن أتحمل مسؤولية غيستو، وأن أرشدك إليها، وإلا لن يكون هناك صفقة، هل فهمت؟».

أومأ بوش برأسه.

«نعم، فهمت».

أحسّ بسخونة في وجهه ترافقت مع غضبه، وحاول توجيه ذلك الغضب ووضعه جانباً ليكون جاهزاً للاستخدام، ولكن ليس في هذه اللحظة.

«كيف حصلت على التفاصيل التي قدّمتها لي أثناء الاعتراف؟».

«حصل عليها سوان منهما، وقال إن لديهما سجلات من التحقيق الأصلي».

«وأخبرك كيف تعثر على القبر هناك في الغابة؟».

«أخبرني سوان أن هناك علامات في الغابة، أراني صوراً، وأخبرني كيف أقود الجميع إلى هناك، كان الأمر سهلاً، ففي الليلة التي سبقت اعترافي، درست كل شيء».

صمت بوش وهو يفكر في مدى سهولة قيادته على الطريق، فقد أراد شيئاً بشدة وذلك ما جعله أعمى.

«ما الذي كنت ستحصل عليه مقابل هذا يا راينارد؟».

«تقصد، ما الذي عرضاه عليّ؟ حياتي، يا رجل، كانا يعرضان عليّ حياتي، خذها أو اتركها. لكن الحقيقة أنني لم أكن أهتم بذلك، قلت لك يا رجل، عندما قال موريس أنه ستكون هناك رحلة ميدانية، كنت أعرف أن الفرصة قد أتيحت لي للهروب... وزيارة... جحري للمرة الأخيرة، كان هذا كافياً بالنسبة إليّ، لم أكترث بأي شيء آخر، لم أكترث إذا متّ خلال محاولتي الهرب».

فكّر بوش بما عليه القيام به أو السؤال الذي سيطرحه بعد ذلك، فكر في استخدام هاتفه للاتصال بالنائب العام للمقاطعة أو القاضي وجعل ويتس يعترف بذلك عبر الهاتف. مرة أخرى وضع المصباح اليدوي في جيبه، ولكنه تذكر بعد ذلك أنه أسقط هاتفه عندما قفز على ريتشل عندما أطلق الرصاص في المرأب.

«أما زلت هناك أيها المحقق؟».

«أنا هنا. ماذا عن ماري غيستو؟ هل أخبرك سوان لماذا عليك الاعتراف بقتل ماري غيستو؟».

ضحك ويتس.

«لم يكن عليه ذلك، فالأمر بدا جلياً أنه معد مسبقاً وأن هناك خطة. أياً يكن قاتل غيستو كان يسعى لإبعادك عنه».

«لم يُذكر أي اسم؟».

«لا».

هزّ بوش رأسه، لم يحصل على شيء، لا شيء بخصوص أوشيا أو أنتوني غارلاند أو أي شخص آخر، نظر إلى أسفل النفق في اتجاه المرأب، لم يستطع رؤية شيء، لكنه يعلم أنه سيكون هناك العديد من الأشخاص، لقد أغلقوا المدخل الآخر لمنع الإضاءة الخلفية، وكان يعلم أنهم سيأتون في أي لحظة.

سأله بوش لإبقائه مشغولاً: «ماذا عن هروبك؟ هل كان مخططاً له أم أنك ارتجلته؟».

«كلاهما. التقيت سوان في الليلة السابقة للرحلة الميدانية، وأخبرني كيف سأقودك إلى القبر. أراني الصور، وأخبرني عن العلامات الموجودة في الأشجار، وكيف سيكون الأمر بعد أن جئت إلى حيث كان هناك انزلاق طيني وكان علينا أن ننزل، عندها عرفت، كنت أعلم أنه ربما لديّ فرصة في ذلك الحين، لذلك أخبرته أن يطلب منهم أن يفكّوا قيودي في حال اضطررت للتسلق، فقلت له إنني لن أتابع في الصفقة إن أجبرت على التسلق ويداي مقيدتان».

تذكر بوش أن أوشيا صرخ في أوليفاس وطلب منه فك الأصفاد، وكان تردد أوليفاس عبارة عن تمثيلية، فقد أُعد كل شيء من أجله، وكان كل شيء زائفاً وقد أدى دوره بشكل مثالي.

سمع بوش صوت رجال يزحفون خلفه في النفق، شغل المصباح اليدوي ورآهم، كان فريق التدخل السريع، الذي يرتدي رجاله السترات الواقية من الرصاص، مع البنادق الآلية، ونظارات للرؤية الليلية. كانوا قادمين، وفي أي لحظة سيطلقون قنبلة دخانية على النفق ويدخلون. أطفأ المصباح، وفكّر في الفتاة، فهو يعلم أن ويتس سيقتلها في اللحظة التي يبدؤون فيها بالتحرك.

سأله ويتس: «هل كنت حقاً في ماكلارين؟».

«كنت هناك قبلك بزمن، ولكني كنت هناك. كنت في صالة النوم

بـاء، وكانـت أقـرب إلـى ملاعب البيسـبول، لذا كنا دائمـاً هناك أولاً في وقت الاستراحة وكنا نحصل على أفضل المعدات».

لقد كانت قصةٌ عن تواجده هناك، ذلك كان أفضل ما يمكن أن يفكر به بوش في هذه اللحظة، لقد قضى معظم حياته محاولاً نسيان ماكلارين.

«ربما كنت هناك، يا بوش».

«لقد كنت بالفعل».

«وانظر إلينا الآن، لقد سـلكتَ طريقك الخاص وسـلكتُ طريقي، أعتقد أنني أطعمت الكلب الخطأ».

«ما الذي تعنيه؟ أيّ كلب؟».

«أنت لا تتذكر، في ماكلارين كانوا يذكرون هذا القول ويقولون إن لدى كلّ رجل كلبين في الداخل، أحدهما جيد والآخر سيئ، يتقاتلان طوال الوقت لأن واحداً فقط يمكنه الانتصار.. الكلب المسؤول».

«وماذا بعد؟».

«مـن يفـوز هـو الكلب الذي اختـرت إطعامه، أنا أطعمتُ الكلب الخطأ، وأنت أطعمتَ الكلب المناسب».

لم يعرف بوش ما يُفترض به أن يقول. سـمع صوت نقرة من خلفه في النفق، كانوا سـيطلقون القنبلة، وسـرعان ما وقف، آملا ألا يطلقوا النار على ظهره.

«ويتس، أنا قادم».

«لا يا بوش».

«سأعطيك مسدسي، راقب الضوء، سأعطيك مسدسي».

شغل المصباح اليدوي، ووجه شعاعه نحو المنعطف أمامه، تقدّم وعندما وصل إلى المنعطف مدّ يده اليسرى أمام مخروط الضوء، أمسك مسدسه من الفوهة حتى يقتنع ويتس أنه لا يشكل تهديداً.

«أنا قادم الآن».

دخل بوش المنعطف، ودخل الحجرة النهائية للنفق، كان الارتفاع لا يتجاوز اثنتي عشرة قدماً ومع ذلك كان منخفضاً ولا يتيح له الوقوف. جثا على ركبتيه، وفحص الحجرة بضوئه؛ كشف شعاع الضوء الخافت مشهداً مروعاً للعظام، والجماجم واللحم المتحلل والشعر، كانت الرائحة كريهة جداً، وكان على بوش كبح تقيؤه.

وصل شعاع الضوء إلى وجه الرجل الذي كان بوش يعرفه باسم راينارد ويتس، فرآه مستنداً إلى الجدار البعيد للجحر، جالساً على ما بدا وكأنه عرش منحوت في الصخر والطين، إلى يساره الفتاة التي اختطفها عارية وغائبة عن الوعي على بطانية، وجّه ويتس فوهة مسدس فريدي أوليفاس إلى جسدها.

قال بوش: «تمهّل الآن، سأعطيك مسدسي، فقط لا تؤذها».

ابتسم ويتس، وهو يعلم أنه يتحكم بالموقف بشكل كامل.

«بوش، أنت أحمق حتى النهاية».

أنزل بوش ذراعه، ورمى بالمسدس إلى الجانب الأيمن من مكان جلوس ويتس، وأثناء محاولة ويتس التقاط المسدس من فوهته، أبعد فوهة مسدسه الآخر عن المرأة، أسقط بوش المصباح، وانقض عليه في الوقت نفسه، ووجدت قبضة يده المسدس الذي أخذه من المرأة الكفيفة. وبسبب الفوهة الطويلة لذلك المسدس تمكن بسهولة من الإمساك به، أطلق مرتين، وأصاب بهما ويتس في وسط صدره. اصطدم ويتس بالجدار، ورأى بوش بؤبؤي عينيه يتوسعان، ثم فقدا بريقهما في اللحظة التي اسلم فيها الروح. تدلى ذقنه إلى الأسفل وانحنى رأسه إلى الأمام. زحف بوش نحو الفتاة وتفحص نبضها، لا تزال على قيد الحياة، غطاها بالبطانية التي كانت مستلقية عليها، ثم نادى الآخرين في النفق.

«هذا بوش، من فرع وحدة الجرائم غير المحلولة، هل هذا واضح؟».

«هذا واضح!».

«راينارد ويتس ميت».

أومض ضوء ساطع بالقرب من مدخل النفق، كان ضوء التعمية، وكان يعلم أن الرجال الذين يحملون أسلحة ينتظرون إلى الجانب الآخر منه، وبغض النظر عن شعوره بالأمان الآن، فقد تحرك ببطء نحو الضوء.

30

بعد الخروج من النفق، أخرج عنصران من فريق التدخل السريع يرتديان أقنعة الغاز بوش من المرأب، وسلماه إلى أعضاء من فرقة ملاحقة الهاربين، وغيرهم من المرتبطين بالقضية الذين ينتظرون في الخارج. كان راندولف وأوساني هناك أيضاً، وكذلك أبل برات من وحدة القضايا غير المحلولة. نظر بوش حوله بحثاً عن ريتشل والينغ إلا أنه لم يرها في أي مكان في الموقع.

نقلت الضحية الأخيرة لويتس إلى مركز المقاطعة الطبي للتقييم والعلاج، وكان بوش متأكداً أنها لن تستطيع أن تنسى الأهوال التي عاشتها، ولكن أهم ما يعلمه أنها لا تزال على قيد الحياة.

أراد قائد فريق التدخل أن يجلس بوش في العربة ليخبر قصته، لكن بوش قال إنه لا يريد أن يكون في مكان مغلق. حتى في الهواء الطلق على طريق فيغيروا لين لم يستطع إخراج رائحة النفق من أنفه، ولاحظ أن أعضاء فريق التدخل الذين احتشدوا حوله في البداية خطوا الآن خطوة أو خطوتين إلى الوراء. رأى خرطوم حديقة مربوطاً بصنبور بجانب درج المنزل المجاور لـ 710، فتوجه إليه، وفتحه ثم انحنى، ورش الماء على شعره، ووجهه وأسفل رقبته، تبللت ملابسه إلا أنه لم يكترث للأمر، فقد جرف الكثير من الأوساخ والعرق والرائحة الكريهة، وكان يعرف أن الملابس لم تعد صالحة للارتداء.

كان قائد فريق التدخل بوب ماكدونالد قد نُقل من قسم هوليوود، ولحسن الحظ، عرفه بوش من الأيام الماضية في القسم، وهذا مهّد الطريق لاستجواب ودي. أدرك بوش أن الأمر كان مجرّد إحماء، وأن عليه مقابلة راندولف والشرطة قبل نهاية اليوم.

سأل بوش: «أين هي العميلة الفدرالية؟ أين ريتشل والينغ؟».

قال ماكدونالد: «تجري مقابلتها، نحن نستخدم منزل أحد الجيران».

«ماذا عن السيدة العجوز في الطابق العلوي في المنزل؟».

أومأ ماكدونالد وقال: «إنها بخير، إنها ضريرة وعلى كرسيّ مدولب، إنهم يتحدثون إليها. اتضح أن ويتس عاش هنا عندما كان طفلاً، وكان منزل رعاية له واسمه الحقيقي روبرت فوكسورث، لم يعد بإمكانها التجول بمفردها، لذا تبقى هنا معظم الوقت. قسم المساعدة لدى المقاطعة يحضر لها الطعام، وساعدها فوكسورث مالياً من خلال استئجار المرأب، الذي احتفظ فيه بالمواد التي يستخدمها لتنظيف النوافذ، وبعربة صغيرة، فيها كرسي متحرّك».

أومأ بوش برأسه، وخمّن أن جانيت ساكسون لم يكن لديها فكرة عما يقوم به روبرت في المرأب. أخبر ماكدونالد بوش أن الوقت قد حان لسرد قصته، وهذا ما حصل بالفعل، فسرد تفاصيل تحركاته خطوة بخطوة بعد اكتشاف العلاقة بين ويتس والرهن لدى فيتزباتريك. لم تكن هناك أسئلة، ولم يسأل أحد عن سبب عدم اتصاله بفريق التدخل أو راندولف أو برات أو أيّ شخص آخر، لقد اكتفوا بالاستماع إليه، ولم يشعر بوش بالقلق، فقد أنقذ وريتشل الفتاة وقتل الرجل السيئ. كان على يقين من أن هذين الإنجازين سيغفران له تجاوزه للبروتوكول، والأنظمة، ويتيحان له الاحتفاظ بوظيفته.

استغرق سرد قصته قرابة العشرين دقيقة، بعدها قال ماكدونالد أنهم يجب أن يأخذوا استراحة، وعندما انفض الجمع من حوله، رأى بوش مشرفه في انتظاره ليذهب إليه، عرف بوش أن هذه المحادثة لن تكون سهلة. أخيراً رأى

برات منفذا ومشى نحوه، وبدا قلقاً.

«حسناً، يا هاري، ما الذي أخبرك به هناك؟».

فوجئ بوش أن برات لم يصرخ عليه لأنه تصرف من دون أن يخبره، لكنه لم يكن ليشتكي من الأمر. بالمختصر لخّص له بوش ما عرفه من ويتس حول الخطّة في بيتشوود كانيون.

قال: «أخبرني أن كل شيء كان من تدبير سوان، سوان كان الوسيط، توسط بين أوليفاس وأوشيا وويتس. لم يقتل ويتس غيستو، لكنه وافق على أن يتحمّل المسؤولية، كان جزءاً من الصفقة من أجل تجنب عقوبة الإعدام».

صرخ قائلاً: «هذا كل ما في الأمر؟».

«هذا يكفي، أليس كذلك؟».

«لماذا يُقدم أوليفاس وأوشيا على شيء كهذا؟».

«المال والسلطة.. ولدى عائلة غارلاند الكثير منهما».

«أنتوني غارلاند هو الشخص المرتبط بقضية غيستو، أليس كذلك؟ الشخص الذي حصل على أوامر من المحكمة ليبعدك عنه».

«نعم، حتى أنه استخدم أوشيا وأوليفاس لإقناعي بخلاف ذلك».

«هل لديك أيّ شيء غير ما قاله ويتس هناك؟».

هزّ بوش رأسه.

«ليس الكثير، لقد تتبّعت خمسة وعشرين ألفاً من المساهمات في حملة أوشيا تعود أصولها إلى محاميي تي ريكس غارلاند وشركة نفطه، ولكن كل ذلك حصل بطريقة قانونية، وهو يثبت وجود رابط، ولا شيء آخر».

«خمسة وعشرون، تبدو مساهمات زهيدة بالنسبة إليّ».

«إنها كذلك، لكن الخمسة وعشرين هو ما نعرفه، فبمجرّد أن نقوم ببعض البحث سنميط اللثام عن المزيد».

«هل أخبرت ماكدونالد وطاقمه بكلّ هذا؟».

«فقط ما قاله لي ويتس هناك، لم أخبره بالمساهمات.. فقط ما قاله ويتس».

«أتعتقد أنهم سيلاحقون موريس سوان؟».

فكّر بوش قبل أن يجيب.

«لا يمكن ذلك، فكلّ ما قيل بينهما كان معلومات سريّة قانونياً، بالإضافة إلى ذلك، لن يلاحقه أحد بناء على كلمة مجنون ميّت مثل ويتس».

ركل برات الأرض، لم يكن لديه شيء آخر ليقوله أو يسأله.

قال بوش: «انظر، يا سيّدي، أنا آسف لأنني لم أخبرك بما أقدمت عليه، بخصوص الخدمة المنزلية وكلّ شيء».

لوّح برات.

«لا بأس يا رجل، لقد حالفك الحظ، وانتهى بك الأمر بعمل بعض الخير وإخراج الرجل الشرير، لماذا سأشتكي بخصوص ذلك؟».

أومأ بوش برأسه شاكراً.

وتابع برات قائلاً: «علاوة على ذلك، سأغادر العمل بعد ثلاثة أسابيع، وستُصبح مشكلة شخص آخر، يمكنه أن يقرر ما الذي سيفعله بك».

سواء عادت كيز رايدر أم لا، لم يرغب بوش في مغادرة الوحدة، فقد سمع أن ديفيد لامبكين، الرئيس الجديد القادم من فرع مكافحة السرقة، كان رجلاً جيداً يستحق أن يعمل المرء من أجله، وأمِل بوش أنه عندما سيُكشف كل هذا، سيظل جزءاً من وحدة القضايا غير المحلولة.

همس برات: «اللعنة!».

راقب بوش بعينيه سيارة كانت متوقفة للتو بالقرب من مكان وجود عربات وسائل الإعلام، وكان الصحفيون يحضرون معداتهم وآلات الصوت، حيث ظهر ريك أوشيا من جانب ممر المشاة. شعر بوش أن عصارة المعدة ترتفع إلى حلقه على الفور، وتوجه نحو المدعي العام، لكن برات أمسك

بذراعه.

«هاري، خذ الأمور بسهولة».

«ما الذي يفعله هنا بحق الجحيم؟».

«إنها قضيته، يا رجل، يمكنه أن يأتي إذا أراد، ومن الأفضل أن تبقى هادئاً، لا تستخدم يدك معه، وإلا لن تتمكن من النيل منه أبداً».

«وماذا يفعل في هذه الأثناء؟ يتباهى أمام الكاميرات، ويحوّل القضية برمتها إلى إعلان آخر يدعم حملته الانتخابية؟ هذا هراء، عليّ التوجه إليه، وركل مؤخرته مباشرة أمام الكاميرات».

«نعم، سيكون ذلك ذكياً جداً، يا هاري، ومُتقناً للغاية، سيساعد هذا القضية كثيراً».

تحرر بوش من قبضة برات، وتقدم، وما لبث أن اتكأ على إحدى سيارات الشرطة، وطوى ذراعيه، وأبقى رأسه إلى أسفل حتى أصبح أكثر هدوءاً، فهو يعلم أن برات محق.

«فقط أبقهِ بعيداً عني».

«سيكون ذلك صعباً لأنه قادم إليك مباشرة».

نظر بوش إلى الأعلى عندما وصل أوشيا ومرافقاه إليه.

«المحقق بوش، هل أنت بخير؟».

«أنا في أفضل حال».

أبقى بوش ذراعيه مطويتين على صدره، فلم يرد أن تتحرك إحدى يديه مباشرة نحو أوشيا.

«أشكرك على ما قمت به اليوم، شكراً لإنقاذك الفتاة».

أومأ بوش وهو يحدق إلى الأرض، والتفت أوشيا ناحية مرافقيه وبرات، الذي ظلّ قريباً في حال اضطر إلى إبعاد بوش عن المدعي العام.

«هل يمكنني التحدث إلى المحقق بوش على انفراد؟».

انسحب مرافقا أوشيا، تردد برات حتى أومأ له بوش، وأخبره أن كل شيء على ما يرام، فترك بوش وأوشيا بمفردهما.

«أيها المحقق، لقد أُطلعت على ما كشفه لك ويتس - أو ينبغي أن أقول، فوكسورث - في النفق».

«هذا جيد».

«آمل أن لا تعطي أي مصداقية لما سيقوله الذي أُثبت أنه قاتلُ متسلسل عن الرجال الذين كانوا يحاكمونه، لا سيما من لا يستطيع أن يكون هنا للدفاع عن نفسه».

ابتعد بوش عن سيارة الدورية وأسدل ذراعيه، وكان يقبض كلتا يداه.

«أنت تتحدث عن صديقك أوليفاس؟».

«نعم، أنا أتحدث عنه، ويمكنني القول من طريقتك بالوقوف أنك تؤمن بالفعل بما زعمه فوكسورث».

«زعمه؟ ماذا؟ الآن أنا من اختلق الأمر؟».

«أحدهم يفعل ذلك».

انحنى بوش نحوه، وتحدث بصوت منخفض.

«أوشيا، ابتعد عني، حتى لا أضربك».

خطا المدعي العام خطوة إلى الوراء كما لو أنه تعرض للّكم.

«أنت مخطئ، يا بوش، إنه يكذب».

«بل أكد ما كنت أعرفه قبل دخولي النفق، كان أوليفاس قذراً وفاسداً، لقد وضع المعطيات في ملف الجريمة الذي ربط بين راينارد ويتس بغيستو زوراً، ووضع علامات لويتس لكي يعرف الطريق ويقودني إلى الرفات، ما كان ليقوم بذلك من تلقاء نفسه، لم يكن من نوعية الرجال هذه، ولم يكن ذكياً بما فيه الكفاية».

حدّق أوشيا إلى وجهه طويلاً، وكان الاتهام في كلمات بوش واضحاً.

«لا يمكنني ثنيك عن هذا الهراء، أليس كذلك؟».

نظر إليه بوش، ثم أشاح بنظره بعيداً.

«ثنيي؟ على الإطلاق، ولا يهمني ما قد يفعله أو لا يفعله الأمر للحملة، سيدي المدعي العام، هذه الحقائق لا جدال فيها، ولست بحاجة إلى فوكسورث أو ما قاله لإثباتها».

«إذن، أعتقد أنني سأضطر إلى مناشدة سلطة أعلى منك».

اقترب منه بوش نصف خطوة، هذه المرة وصل إليه بالفعل.

«أتشم هذا؟ هل تشم هذا عليّ؟ إنها رائحة الموت العفنة اللعينة، إنها في كلّ مكان عليّ، يا أوشيا، ولكن على الأقل يمكنني غسلها».

«ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟».

«فسره كما تشاء، من هي سلطتك الأعلى؟ هل ستتحدث إلى تي ريكس غارلاند في مكتبه الفاخر؟».

تنفس أوشيا بعمق، وهز رأسه دليلاً على أنه أسقط بيده.

«أيها المحقق، لا أعرف ما الذي حدث لك في هذا النفق، ولكن حديثك يفتقد إلى المنطق».

أومأ بوش برأسه.

«نعم، حسناً، قريباً سيكون منطقياً بما فيه الكفاية، قبل الانتخابات، هذا أمر مؤكد».

«ساعدني، يا بوش، ما الذي لا أعرفه بالضبط؟».

«لا أعتقد أن هناك شيئاً لا تعرفه، أنت تعرف كل شيء، يا أوشيا، وقبل أن ينتهي كل شيء، سيعرف به العالم بأسره. بطريقة ما، سأهزمك أنت وباقي أفراد عائلة غارلاند، وكل من له دور في هذا، كن على ثقة».

خطا أوشيا خطوة نحو بوش.

«أتقول إنني فعلت هذا، وأنني أعددت كل هذا من أجل تي ريكس

غارلاند؟».

بدأ بوش بالضحك، كان أوشيا الممثل الماهر حتى النهاية.

قال: «أنت جيد، سأقولها صراحة، أنت جيد».

«تي ريكس غارلاند مساهم قانوني في حملتي، شرعياً وقانونياً، كيف يمكنك ربط ذلك بـ...».

«لماذا لم تذكر أنه كان مساهماً شرعياً وقانونياً عندما استدعيت ابنه في ذلك اليوم، وأخبرتك أنه كان من أشتُبه به في قضية غيستو؟».

«لأنه كان من شأن ذلك أن يعقّد الأمور. لم أقابل أي شخص من عائلة غارلاند أو أتحدث إليه. لقد ساهم تي ريكس في حملتي، أين المشكلة في ذلك؟ يقوم الرجل بالتبرع لكل الحملات الانتخابية في المقاطعة، وإثارة ذلك في تلك المرحلة كان من شأنه أن يعزز شكوكك، لم أرغب في ذلك، على كل حال أرى الآن أنني محور شكوكك».

«أنت مليء بالقذارة والفساد، أنت...».

«اللعنة عليك، يا بوش، لا يوجد رابط».

«إذن، ليس لدينا أي شيء آخر نقوله».

«بل لديّ ما أقوله، أبذل قصارى جهدك مع هذا الهراء، وسنرى من سينتصر في النهاية».

استدار ومشى مبتعداً، صرخ آمراً مرافقيه بالتقدم، أراد هاتفاً فيه خط آمن. تساءل بوش عمن سيوجه المكالمة الأولى إليه، تي ريكس غارلاند أم رئيس الشرطة. اتخذّ بوش قراراً سريعاً، وكان سيتصل بكيشا راسل، ويطلق لها العنان، سيقول لها إنها كانت محقّة بالنظر في مساهمات الحملة التي قدّمها غارلاند إلى أوشيا. وضع يده في جيبه ثم تذكر أن هاتفه لا يزال في مكان ما في المرأب، مشى نحو المرأب، وتوقف عند الشريط الأصفر المعلق عبر الباب المفتوح بالكامل الآن خلف العربة البيضاء. كانت كال كافاريلي في

المرأب، تُدير تحليل الأدلة الجنائية في الموقع، وتضع قناعاً منقياً للهواء حول عنقها، تمكن بوش عندما نظر إلى وجهها أن يعرف أنها دخلت النفق ورأت المشهد المروع، وأنها لن تكون نفسها مرة أخرى، فلوّح لها.

«كيف الحال، يا كال؟».

«إنها تسير على النحو الذي قد تتوقعه بعد رؤية شيء من هذا القبيل».

«أجل أعرف».

«سنبقى هنا لوقت طويل، كيف يمكنني مساعدتك يا هاري؟».

«هل وجدتِ هاتفاً خلوياً في مكان ما هنا؟ لقد فقدت هاتفي عندما بدأت الأمور بالتوالي».

فأشارت إلى الأرضية بالقرب من الإطار الأمامي للسيارة.

«أهذا هو؟».

نظر بوش، ورأى هاتفه ملقى على الخرسانة، وكان ضوء الرسالة الحمراء يومض، ولاحظ أن أحدهم قد أحاطه بدائرة رسمت على الأرضية بالطبشور، لم يكن ذلك جيداً، لم يرغب بوش باستخدام هاتفه بمثابة دليل، فقد لا يستعيده على الإطلاق.

«هل يمكنني استعادته؟ إنني بحاجة إليه».

«أنا آسفة، يا هاري، ليس الآن، فلم يتم تصوير هذا المكان، سنبدأ من النفق، وننتقل من هناك إلى الخارج، سيحتاج ذلك بعض الوقت».

«حسناً، ولكن إذا أعطيتني إياه سأستخدمه هنا، ثم أعيده عندما يحين وقت التقاط الصور، يبدو أن لديّ رسائل بالانتظار».

«بالله عليك يا هاري».

كان يعلم أن اقتراحه سيخرق أربعاً من قواعد الأدلة.

«حسناً، فقط أخبريني متى يمكنني استعادته، آمل أن يكون ذلك قبل نفاد البطارية».

«لك ذلك يا هاري».

ابتعد عن المرأب، ورأى ريتشل والينغ تمشي نحو الشريط الأصفر الذي حدد المحيط الخارجي لمسرح الجريمة، وكانت هناك سيارة فدرالية وفيها رجل يرتدي بذلة ويضع نظارة شمسية في انتظارها، يبدو أنها طلبت من أحدهم أن يقلّها، هرول بوش نحو الشريط، منادياً باسمها، توقفت وانتظرته.

سألته: «هل أنت بخير؟».

«أنا بخير الآن، ماذا عنكِ، يا ريتشل؟».

«أنا بخير، ماذا حدث لك؟».

وأشارت إلى ملابسه المبللة بيدها.

«كان عليّ تنظيفها بخرطوم مياه، كان الوضع سيئاً، أحتاج إلى الاستحمام لمدة ساعتين، هل ستغادرين؟».

«نعم، لقد انتهوا من التحقيق معي في الوقت الحاضر».

أومأ بوش نحو الرجل ذي النظارة الشمسية الذي كان خلفها بعشر أقدام.

سأل بهدوء: «هل أنتِ في مشكلة ما؟».

«أنا لا أعرف حتى الآن، ينبغي أن يكون الأمر على ما يرام، لقد سيطرت على المجرم، وأنقذت الفتاة، كيف يمكن أن يكون ذلك شيئاً سيئاً؟».

صحح بوش: «لقد توصلنا للمجرم، وأنقذنا الفتاة، ولكن هناك أشخاصاً في كل مؤسسة وبيروقراطية يمكنهم العثور على طريقة لتحويل أي شيء جيد إلى هراء».

نظرت إليه وأومأت برأسها.

قالت: «أعرف ذلك».

جمّدته نظرتها، وعرف أن ما بينهما لم يعد كما كان.

«هل أنتِ غاضبة مني يا ريتشل؟».

«غاضبة؟ لا».

«إذن ماذا؟».

«لا شيء، يجب أن أذهب».

«هل ستتصلين بي لاحقاً؟».

«عندما أستطيع، وداعاً يا هاري».

خطت خطوتين نحو السيارة التي تنتظرها، لكنها توقفت، وعادت إليه.

«أكان أوشيا الذي كنت تتحدث إليه عند السيارة، أليس كذلك؟».

«نعم».

«كن حذراً، يا هاري، إذا تركت مشاعرك تقودك وفقاً للطريقة التي قادتك فيها اليوم، فسيضعك أوشيا في عالم من الألم».

ابتسم بوش قليلاً.

«أنتِ تعرفين ماذا يقولون عن الألم، أليس كذلك؟».

«لا، ماذا؟».

«يقولون إن الألم ضعف يترك الجسد».

هزّت رأسها.

«حسناً، إنهم سيئون وفاسدون، لا تختبرهم إلا إذا أُجبرت على ذلك، وداعاً يا هاري».

«أراكِ لاحقا يا ريتشل».

كان يراقب بينما كان الرجل الذي يضع نظارة شمسية يرفع الشريط من أجل أن تمر من تحته، ركبت في مقعد الراكب الأمامي وقاد الرجل ذو النظارة الشمسية السيارة مبتعداً. عرف بوش أن شيئاً قد تغير في الطريقة التي رأته بها، وأفعاله في المرأب والذهاب في النفق جعلها تغير رأيها بخصوصه. لقد تقبّل ذلك، وخمن أنه قد لا يراها مرة أخرى أبداً، وقرر أنه سيكون أمراً آخر يلوم ريك أوشيا عليه.

عاد إلى مسرح الجريمة، حيث وقف راندولف وأوساني ينتظرانه، وضع

راندولف هاتفه الخلوي بعيداً.

قال بوش: «أنتما مجدداً».

قال راندولف: «لا بدّ أن تكون هذه ظاهرة الرؤية المسبقة التي تسمى ديجا فو، أليس كذلك؟».

«شيء من هذا القبيل؟».

«أيها المحقق، نحن بحاجة أن ترافقنا إلى باركر سنتر لإجراء مقابلة أكثر رسمية هذه المرة».

أومأ بوش برأسه، وكان يعرف الإجراءات. هذه المرة لم يكن الأمر يتعلق بإطلاق النار على الأشجار أو الغابة، لقد قتل شخصاً، لذلك سيكون الأمر مختلفاً، سيحتاجون إلى التأكد من كل التفاصيل.

قال: «أنا مستعد لمرافقتكما».

31

جلس بوش في غرفة مقابلات في وحدة إطلاق النار في باركر سنتر، وكان راندولف قد سمح له بالاستحمام في غرفة تبديل الملابس في الطابق السفلي، حيث ارتدى جينزاً أزرق وبلوزة ويست كوست سوداء، لقد احتفظ بهذه الملابس في خزانة ليستخدمها عندما يكون في وسط المدينة، ويكون بحاجة للتخفي فجأة والتخلّص من الانتباه الذي تلفته البذلة. في طريقه إلى خارج غرفة تغيير الملابس، ألقى بذلته الملوثة في سلّة المهملات، سيصبح لديه الآن بذلتان فقط، شَغّل شريط المسجّل على الطاولة، وقرأ أوساني له، من أوراق منفصلة، حقوقه الدستورية، وكذلك قانون حقوق أفراد الشرطة. لقد تم تصميم قانون الحماية المزدوج لحماية مكتب وأفراد الشرطة من الهجوم غير العادل للحكومة، لكن بوش عرف أنه عندما يأتي وقت الحسم، في إحدى هذه الغرف الصغيرة، لن تنفعه أو تحميه أي قطعة من الورق، لذا عليه أن يدافع عن نفسه، قال إنه فهم حقوقه ويوافق على إجراء المقابلة.

منذ ذلك الحين تولى راندولف المسؤولية، وبناء على طلبه، روى بوش مرة أخرى قصة إطلاق النار على روبرت فوكسورث، المعروف أيضاً باسم راينارد ويتس، بدءا من الاكتشاف الذي تم أثناء مراجعة السجلات من قضية فيتزباتريك وانتهاء بالرصاصتين اللتين أطلقهما على صدر فوكسورث.

طرح راندولف بعض الأسئلة حتى انتهى بوش من الخوض في غمار القصة، ثم طرح العديد من الأسئلة التفصيلية حول التحركات التي قام بها بوش في المرأب ثم في النفق، سأل بوش أكثر من مرة، لماذا لم يستجب إلى تحذيرات عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي ريتشل والينغ، وعلم بوش من هذا السؤال أن ريتشل لم تقم بمقابلة فقط مع مكتب الرقابة الداخلية، بل لم تقل أشياء في صالحه، وقد خيّب هذا أمل بوش كثيراً، لكنه حاول إبقاء أفكاره ومشاعره حول ريتشل خارج غرفة المقابلة.

بالنسبة إلى بوش، كرر عبارة اعتقد أنها ستجعله يفوز في نهاية المطاف، بغض النظر عما اعتقده راندولف أو ريتشل أو أي شخص آخر بخصوص أفعاله.

«لقد كانت حالة حياة أو موت، كانت الفتاة في خطر، وتم إطلاق النار علينا، وشعرت أنه لا يمكنني الانتظار للحصول على دعم أي شخص آخر، فعلت ما كان عليّ القيام به، لقد توخيت الحذر إلى أقصى الحدود، واستخدمت القوة المفرطة المميتة فقط عند الضرورة».

تحرّك راندولف، وركّز في العديد من الأسئلة التالية على ما حصل فعلاً خلال إطلاق النار على روبرت فوكسورث، حيث سأل بوش عما فكّر به عندما كشف فوكسورث أنه خداع بوش ليحمله على الاعتقاد أن قضيت غيستو قد حلت، وسأله عما فكّر به عندما رأى رفات ضحايا فوكسورث في الحجرة في نهاية النفق، وسأله أيضاً عمّا فكّر فيه عندما ضغط على الزناد وقتل المجرم الذي قتل كل هؤلاء الضحايا.

أجاب بوش بصبر على كل سؤال، ولكن في النهاية كان لصبره حدود، كان هناك شيء خارجاً عن المألوف في المقابلة، بدا الأمر كما لو كان راندولف يعمل وفقاً لسيناريو محدد مسبقاً.

سأل بوش: «ما الذي يجري هنا؟ أنا جالس هنا لأخبركما بكلّ شيء، ما

الذي تخفيه عني؟».

نظر راندولف إلى أوساني ثم عاد إلى بوش، ثمّ انحنى، ووضع ذراعيه على الطاولة، كان لديه عادة تدوير خاتمه الذهبي في يده اليسرى، وسبق لبوش أن رآه يفعل ذلك، وكان يعلم أنه كان خاتماً من جامعة جنوب كاليفورنيا، حيث يعدّ ذا شأن كبير، فكثيرون من طبقة المسؤولين في القسم قد ذهبوا إلى المدرسة الليلية في جامعة جنوب كاليفورنيا.

نظر راندولف إلى الوراء نحو أوساني، وتوجّه لإيقاف جهاز التسجيل، لكنه أوقف أصابعه على الأزرار.

«أيها المحقق أوساني، هل يمكنك أن تجلب لنا زجاجتين من الماء؟ فمع كل هذا الكلام سيختفي صوتي، وربما يحصل الشيء نفسه مع المحقق بوش أيضاً، سنتوقف عن الحديث حتى تعود».

نهض أوساني، وأغلق راندولف المُسجل، ولم يتحدث حتى أُغلق باب غرفة المقابلة.

«في الحقيقة أيها المحقق بوش، ليس لدينا سوى قصتك حول ما حدث في النفق، كانت الفتاة غائبة عن الوعي، ولم يكن من أحد سواك وفوكسوث الذي قتل».

«هذا صحيح، هل تقول إن كلمتي غير مقبولة؟».

«أقول إن وصفك للأحداث قد يكون مقبولاً تماماً، لكن الطب الشرعي قد يأتي بتفسير يختلف عن بيانك، هل تفهم؟ يمكن أن يصبح الأمر فوضوياً جداً، ويمكن ترك الأمور مفتوحة للتفسير، والتفسير الخاطئ، والتفسير العام والسياسي أيضاً».

هزّ بوش رأسه، ولم يفهم ما يحدث.

وقال: «ما الذي تريده؟ أنا لا أهتم بما يعتقده الجمهور أو السياسيون. فعل ويتس ما فعله في ذلك النفق، وكان من الواضح أن الوضع كان اقتل أو

تُقتل، وفعلت ما كان عليّ فعله».

«ولكن ليس هناك شاهد على وصفك للأحداث».

«ماذا عن العميلة والينغ؟».

«هي لم تدخل النفق وحذّرتك من الدخول».

«كما تعلم، هناك فتاة الآن في المستشفى، وربما كانت ميتة الآن لو لم أذهب، ما الذي يحدث هنا، أيها الملازم؟».

بدأ راندولف بتحريك خاتمه مرة أخرى، وبدا وكأنه رجل يكره القيام بما يمليه عليه واجبه.

«ربما هذا يكفي اليوم، لقد مررتَ بالكثير، سنبقي التحقيق مفتوحاً لعدة أيام، ريثما تصلنا نتائج الطب الشرعي، ستستمر في البقاء في المنزل، وبمجرد أن نحصل على كل شيء، سأحضرك لقراءة بيانك والتوقيع عليه».

«سألتُ ما الذي يحدث أيها الملازم».

«قُلت لك ما يحدث».

«أنت لم تخبرني بما يكفي».

أبعد راندولف يده عن خاتمه، وكأنه يريد التأكيد على أهمية ما سيقوله بعد ذلك.

«لقد أنقذت الرهينة، وحللت القضية، هذا أمر جيد، وبالرغم من تهورك حالفك الحظ. إذا صدّقنا قصتك، فأنت أطلقت النار على رجل كان يهدد حياتك أنت والآخرين، ولكن تقرير الطب الشرعي والحقائق قد يقودان بسهولة إلى تفسير آخر، ربما يشير إلى أن الرجل الذي أطلقت النار عليه كان يحاول الاستسلام. لذلك ما سنفعله هو أن نأخذ وقتنا بهذه القضية، وفي غضون أيام قليلة، سنحصل على التفسير الصحيح، وبعد ذلك سنُعلمك».

تفرسه بوش، مع علمه أنه كان يوصل رسالة لم تكن مخفية بالشكل المناسب في كلماته.

«هـذا بخصـوص أوليفـاس، أليس كذلك؟ موعد الجنـازة غداً، والرئيس سيكون هناك. وأنت تريد إبقاء أوليفاس بطلاً قُتل أثناء أداء واجبه».

عاد راندولف ليدور خاتمه.

«لا، أيها المحقق بوش، أنت مخطئ، إذا كان أوليفاس قذراً فاسداً، فلن يهتم أحد بسمعته».

أومأ بوش برأسه الآن.

«إذن يتعلق الأمر بأوشيا؛ لقد تواصل مع سلطة أعلى، قال لي إنه سيفعل، ثم تواصلت هذه السلطة معك».

تراجع راندولف في كرسـيه، وبدا أنه يبحث في السـقف للحصول على ردّ مناسب.

قال: «هناك عدد كبير من الناس في هذا القسم، وكذلك العديد من الناس في المجتمع يعتقدون أن ريك أوشيا سيكون مدعياً عاماً جيداً للمنطقة، كما يعتقدون أنه سيكون صديقاً جيداً لقسم الشرطة في لوس أنجلوس».

أغمـض بـوش عينيـه، وهزّ رأسـه ببطء، لم يصدق ما كان يسـمعه. تابع راندولـف كلامـه: «إن خصمـه، غابرييـل ويليامـز، تحالف مـع دائرة معارضة لتنفيذ القانون، لن يكون جيداً لقسم الشرطة إذا انتخب».

فتـح بـوش عينيـه وحدّق إلى راندولف، وسـأله: «هل سـتقوم بهذا حقاً؟ سـتدع هـذا الرجـل يلهـو كما يشـاء، لأنك تعتقـد أنه يمكن أن يكـون صديقاً للقسم؟».

هزّ راندولف رأسه بحزن.

«لا أعرف ما الذي تتحدث عنه أيها المحقق، أنا ببسـاطة أقوم بملاحظة سياسـية، لكننـي أعـرف هـذا، لا يوجد دليل واقعي أو مفتـرض عن المؤامرة التي تتحدث عنها. إذا كنت تعتقد أن محامي روبرت فوكسـورث سـيفعل أي شيء بخلاف إنكار المحادثة التي ذكرتها هنا، فستكون أحمق، لذلك لا تكن

أحمق. كن حكيماً، واحتفظ بها لنفسك».

استغرق بوش لحظة لتمالك أعصابه.

«من هي السلطة الأعلى التي تواصلت معك بخصوص هذا الأمر؟».

«عذراً؟».

«ما مدى علوّ السلطة التي تواصل معها أوشيا؟ لا أظن أنه تحدث معك مباشرة، لا بدّ أنه تواصل مع سلطة أعلى، من طلب منك أن تسقطني؟».

باعد راندولف يديه وهز رأسه.

«أيها المحقق، ليس لديَ فكرة عما تتحدث عنه».

«بالطبع، من المؤكد أنك لا تعرف».

وقف بوش.

«أعتقد أنك ستكتب البيان بالطريقة التي طُلب منك القيام بها، وأنا إما سأوقعه أو لا، ببساطة».

أومأ راندولف برأسه، لكنه لم يقل شيئاً، انحنى بوش ووضع يديه على الطاولة حتى يتمكن من الاقتراب من وجهه.

«هل أنت ذاهب إلى جنازة دولان، أيها الملازم؟ إنها مباشرة بعد دفن أوليفاس، هل تتذكره، الشخص الذي أطلق ويتس النار عليه هناك؟ ظننت أنك ستذهب إلى الجنازة لتشرح لعائلته كيف يمكن للرجل الذي كان السبب في إطلاق النار أن يكون صديقاً للقسم وبالتالي لا يحتاج إلى مواجهة عواقب أفعاله».

نظر راندولف مباشرة إلى الحائط الذي يواجه مكتبه، ولم يقل شيئاً. استقام بوش، وفتح الباب، وفاجأ أوساني الذي كان يقف في الخارج مباشرة، ولم يكن يحمل أي زجاجة مياه، اندفع بوش، وغادر الغرفة.

في المصعد، ضغط بوش على الزر نحو الأعلى، وانتظر وهو يخطو ذهاباً وإياباً مفكراً في رفع شكواه إلى الطابق السادس، وتخيّل نفسه يقتحم جناح

رئيس الشرطة، ليسأله إن كان يعلم ما الذي يحدث باسمه وتحت قيادته، ولكن عندما فتح المصعد، رفض الفكرة، وضغط على الزر 5، إنه يعلم أن المستويات الجدلية للبيروقراطية والسياسة في القسم كان من المستحيل فهمها بالكامل، فإذا لم ينتبه إلى نفسه، قد ينتهي به المطاف بالشكوى من كل هذا الهراء إلى الشخص نفسه الذي سببه. كانت وحدة القضايا غير المحلولة مهجورة عندما وصل إلى هناك، كان ذلك بعد أربع ساعات من مغادرة الجميع، حيث يعمل معظم المحققين بورديات عمل من الساعة السابعة إلى الرابعة الأمر الذي يتيح لهم العودة إلى المنزل قبل ساعة الذروة، وإذا لم يكن هناك شيء اضطراري، فهم يغادرون في تمام الرابعة، حتى التأخير لمدة خمس عشرة دقيقة يمكن أن يكلّفهم ساعة على الطرق السريعة. لم يكن هناك أحد سوى برات أبل، فبما أنه المشرف عليه العمل من الساعة الثامنة حتى الخامسة وفقا لقواعد المؤسسة.

لوّح بوش أثناء سيره بجوار باب مكتب برات المفتوح، وهو في طريقه إلى مكتبه، جلس بوش على كرسيه، منهكاً من أحداث اليوم وتورّط القسم، ونظر إلى الأسفل ورأى أن مكتبه مليء بقصاصات رسائل وردية، وبدأ يقرأ ما كُتب عليها. كان معظمها من زملاء في أقسام ومراكز مختلفة، وكانوا جميعاً سيعاودون الاتصال. عرف بوش أنهم يريدون تهنئته على إطلاقه للنار أو كلمات بهذا المعنى. بعد أن نظّم مكتبه أضاء هاتفه، كانت هناك عدة رسائل من الصحفيين، بما في ذلك كيشا راسل، علم بوش أنه مدين لها بمكالمة، ولكنه سينتظر حتى يعود إلى المنزل. وكانت هناك أيضاً رسالة من إيرين غيستو، خمّن بوش أنها أرادت وزوجها معرفة إذا كان هناك أي مستجدات في التحقيق. لقد اتصل بهما في الليلة السابقة، ليخبرهما أنه عُثر على ابنتهما، فقد أكد فحص الأسنان ذلك، وضع القصاصة في جيبه، سيعاود الاتصال بهما، ومع اكتمال فحص الحمض النووي سيفرج عن الرفات، وسيتمكنان

بعد ثلاثة عشر عاماً، من المطالبة بابنتهم واصطحابها إلى مسقط رأسها. لم يستطع أن يخبرهما أن قاتل ابنتهما قُدم للعدالة، ولكن على الأقل يمكنه مساعدتهما في استعادة الرفات.

وكانت هناك أيضاً رسالة من جيري إدغار، تذكر بوش أن شريكه القديم اتصل بهاتفه قبل إطلاق النار الذي حصل مباشرة في إيكو بارك، أيا يكن من تلقى الرسالة فقد كتب «مهم للغاية»، على القصاصة وضع خطاً أسفل العبارة لتأكيدها، تحقق بوش من الوقت على القصاصة، ولاحظ أن المكالمة جاءت قبل إطلاق النار أيضاً.

لم يكن إدغار يتصل لتهنئته لأنه قضى على رجل سيئ، افترض أن إدغار قد سمع أن هاري التقى ابن عمه، ويريد معرفة التفاصيل، في الوقت الحالي لم يرغب بوش بالقيام بذلك، لم يكن بوش مهتماً بأيّ من القصاصات الأخرى، لذلك كدسها ووضعها في درج المكتب.

لم يفعل شيئاً آخر، ثم بدأ في ترتيب الأوراق والملفات على مكتبه. فكّر إن كان عليه الاتصال بالأدلة الجنائية، ومعرفة الطريقة التي يمكنه بها استعادة هاتفه وسيارته من مسرح الجريمة في إيكو بارك.

«لقد حصلت للتو على الكلمة».

نظر بوش إلى الأعلى، وكان برات يقف عند مدخل مكتبه، كان يرتدي قميصاً طويل الكمين، وربطة عنق مرتخية حول عنقه.

«أي كلمة؟».

«من الرقابة الداخلية، أنت لم تنهِ العمل المنزلي. هاري، يجب أن أرسلك إلى المنزل».

نظر بوش مجدداً إلى مكتبه.

«حسناً ما الجديد؟ سأغادر».

توقف برات مؤقتاً أثناء محاولته تفسير نبرة بوش.

سأله: «هل كلّ شيء على ما يرام، يا هاري؟».

«كلا، ليس هناك من شيء على ما يرام. يتم الإعداد لكلّ شيء، وعندما تكون هناك مؤامرة لن يكون هناك شيء على ما يرام، ولكن ليس على المدى الطويل».

«ما الذي تتحدث عنه؟ هل سيغطون على أوليفاس وأوشيا؟».

نظر بوش إليه.

«لا أعتقد أنني يجب أن أتحدث إليك عن ذلك، يا سيدي. يمكن أن يضعك ذلك في موقف صعب، وأنت لا تريد ردّ فعل سلبياً».

«إنهم جادون في ذلك، أليس كذلك؟».

تردد بوش، لكنه ردّ بعد ذلك: «نعم، إنهم جادون، وهم على استعداد لتوريطي إذا لم أفعل ما يريدونه».

توقف هناك، لم يكن يريد أن يجري هذه المحادثة مع مشرفه، ففي منصب برات الولاء يتأرجح صعوداً ونزولاً على السلم، لم يكن يهم إذا بقيت له أسابيع قليلة قبل التقاعد، كان على برات أن يلعب اللعبة حتى يرن الجرس.

قال: «إن هاتفي هناك، هو جزء من مسرح الجريمة، لقد وصلت للتو لإجراء مكالمة هاتفية، ثم سأخرج من هنا».

قال برات: «كنت أتساءل عن هاتفك، حاول بعض الأشخاص الاتصال بك وقالوا إنك لا ترد».

«لم تسمح لي الأدلة الجنائية بأخذه من مسرح الجريمة، لا الهاتف ولا سيارتي، ماذا يريدون؟».

«أعتقد أنهم أرادوا اصطحابك لتناول مشروب في نات، ربما ما زالوا يتجهون إلى هناك».

نات مقهى خارج حيّ هوليوود، لم يكن حانة مخصصة للشرطة، ولكن عدداً كبيراً من رجال الشرطة كانوا يذهبون إلى هناك ليلاً عندما يكونون خارج

الخدمة.

كان كافياً للإدارة للاحتفاظ بإصدار قديم من أغنية «لقد حاربت القانون» من ألبوم كلاش في صندوق الموسيقى لمدة عشرين عاماً. الآن، عرف بوش أنه إذا ظهر في حانة نات، فسيكون النشيد الغبيّ ثقيلاً إن لم يكن غير مناسب لتحيته على قتل روبرت فوكسورث مؤخراً، والذي يعرف أيضا باسم راينارد ويتس، «لقد حاربت القانون لكن القانون انتصر...» كان باستطاعة بوش سماعهم جميعاً يغنون معاً.

سأل بوش برات: «هل أنت ذاهب؟».

«ربما في وقت لاحق، لديّ شيء أقوم به أولاً».

أومأ بوش برأسه.

قال: «لا أعتقد أنني أرغب بذلك».

«افعل ما تريد، فهم سيتفهمون».

لم يتحرك برات عن عتبة الباب، لذا التقط بوش هاتفه، واتصل برقم جيري إدغار حتى يتمكن من متابعة الكذبة التي أخبرها عن حاجته لإجراء مكالمة، لكن برات ظل عند الباب، أسند ذراعه على قائمة الباب، بينما كان يتفحصّ غرفة الفريق الفارغة، إنه يحاول إخراج بوش، ربما حصل على أوامر ممن هم أعلى من أولئك الذين تواصلوا مع الملازم راندولف، رد إدغار على المكالمة.

«أنا بوش، لقد اتصلت بي؟».

«نعم، يا رجل، لقد اتصلت».

«كنت مشغولاً».

«أعرف، سمعت، تهانينا على إطلاق النار، يا شريكي، هل أنت بخير؟».

«نعم، حسناً. لماذا كنت تتصل؟».

«ظننت أنك ترغب بمعرفة شيء، ولكنني لا أظن أنه مهم بعد ما حصل».

قال بوش بصبر نافد: «ما هو هذا الشيء؟».

«اتصل بي ابن عمي غيسون من إدارة الماء والطاقة وقال إنك قابلته اليوم».

«نعم، إنه رجل لطيف، لقد ساعدني كثيراً».

«نعم، حسناً، لم أكن أتحقق من كيفية معاملته لك، أحاول أن أخبرك أنه اتصل بي، وقال إن هناك شيئاً قد ترغب بمعرفته، ولكنك لم تعطِه بطاقة عمل أو رقماً أو أي شيء، قال إنه بعد حوالى خمس دقائق من مغادرتك أنت والعميلة الفيدرالية، جاء شرطي آخر وسأل عنه، سأل في مكتب الاستقبال عن الرجل الذي كان يساعد رجال الشرطة للتو».

انحنى بوش إلى الأمام على مكتبه، وأصبح فجأة مهتماً بما أخبره إياه إدغار.

«قال إن هذا الرجل أظهر شارة، وقال إنه يراقب تحقيقك، وسأل غيسون عما أردته أنت والعميلة، وأخذه ابن عمي إلى الطابق الذي ذهبتما إليه وإلى النافذة التي وقفتما أمامها، وقال له إنكما كنتما تقفان وتنظران إلى منزل في إيكو بارك، عندما ذهبت أنت والسيدة إلى الأسفل، راقب دخولكما إلى المرأب».

«ماذا حدث بعد ذلك؟».

«ركض الرجل من هناك، ذهب إلى المصعد ونزل».

«هل حصل ابن عمك على اسم الرجل؟».

«نعم، قال الرجل إنه المحقق سميث، عندما رفع شارته كانت أصابعه إلى حدّ ما على الجزء الذي يحمل اسمه».

عرف بوش أنها حيلة قديمة، تستخدم في الغالب عندما يحاول المحققون التخفي ولا يرغبون في الكشف عن أسمائهم الحقيقية لإبقائها بعيداً عن التداول، ولقد استخدمها بوش نفسه في بعض الأحيان.

وسأل: «ماذا عن مواصفات هذا الشخص؟».

«نعم، أعطاني كل ذلك، قال إن الرجل أبيض البشرة، بطول مترين تقريباً، وشعره قصير ورمادي، دعني أتذكر، أجل في أواسط الخمسينات ويرتدي بذلة زرقاء وقميصاً أبيض وربطة عنق مخططة، كان لديه علم أميركي على طية صدر السترة».

تطابق الوصف مع حوالى خمسين ألف رجل في المنطقة المجاورة لوسط المدينة، وكان بوش ينظر إلى أحدهم، لا يزال أبل برات واقفاً عند عتبة المكتب، وينظر إلى بوش وقد رفع حاجبيه، رأى بوش العلم الأميركي، على طية صدر السترة.

سأله بهدوء: «إلى أي وقت يعمل؟».

«أعتقد أنه يبقى حتى الخامسة، ولكن هناك مجموعة من الناس الذين يقفون هناك، لمشاهدة الإطلالة على إيكو بارك».

«حسناً، شكراً على النصيحة، سأتصل بك لاحقاً».

أنهى بوش المكالمة، قبل أن يتمكن إدغار من قول أي شيء آخر، نظر إلى الأعلى، وكان برات لا يزال يحدق إليه.

سأله: «ما الأمر؟».

«تفصيل يتعلق بقضية ماتريس، القضية التي قدمناها هذا الأسبوع، يبدو أنه سيكون لدينا شاهد، وسوف يساعد في المحاكمة».

قال بوش ذلك بأقصى درجة من اللامبالاة، ثم وقف ونظر إلى مشرفه.

«لكن لا تقلق، ستنتظر القضية حتى أعود من الخدمة المنزلية».

«جيّد، يسرني سماع هذا».

32

مشى بوش نحو برات، واقترب منه للغاية، متجاوزاً حيزه الشخصي، فعاد برات إلى مكتبه وطاولته، وهذا ما أراده بوش. قال: وداعاً وعطلة سعيدة، ثم اتجه نحو باب غرفة الفريق. كان لدى وحدة القضايا غير المحلولة ثلاث سيارات مخصصة لثماني محققين ومشرف واحد. استخدمت السيارات على أساس أسبقية الحضور، وتم تعليق المفاتيح على خطافات بجوار باب غرفة الفريق، وكان الإجراء المطلوب من المحقق لأخذ سيارة هو كتابة اسمه والوقت التقديري للعودة على لوحة بيضاء معلقة أسفل المفاتيح يمكن مسحها. عندما وصل بوش إلى الباب، فتحه جزئياً لحظر رؤية خطافات المفاتيح عن مكتب برات، كان هناك مجموعتان من المفاتيح على الخطافات، أمسك بوش بمفتاح واحد غادر، وبعد بضع دقائق خرج من المرأب خلف باركر سنتر، وتوجه نحو مبنى إدارة المياه والطاقة. كان الاندفاع المجنون للناس لمغادرة وسط المدينة بحلول غروب الشمس قد بدأ للتو وهو ما جعله يسرع، ركن سيارته بشكل غير قانوني أمام النافورة عند مدخل المبنى، وترجل من سيارته. تفقد ساعته وهو يقترب من الباب الأمامي، إنها الخامسة إلا عشرون دقيقة.

اقترب حارس أمن يرتدي الزي الرسمي ولوح له.

«لا يمكنك الوقوف...».

«أعرف».

أطلعه بوش على شارته، وأشار إلى جهاز الاتصال على حزامه.

«هل يمكنك الوصول إلى غيسون إدغار بواسطة هذا الشيء؟».

«إدغار؟ أجل، ما هذا الـ...».

«اتصل به، وأخبره أن المحقق بوش ينتظر في الخارج، أريد أن أراه في أسرع وقت ممكن. افعل ذلك الآن، من فضلك».

استدار بوش، وعاد إلى سيارته، وانتظر فيها خمس دقائق قبل أن يرى غيسون إدغار يأتي عبر الأبواب الزجاجية، وعندما وصل إلى السيارة فتح باب الراكب للنظر، وليس للدخول.

«ما الأمر يا هاري؟».

«لقد تلقيت رسالتك، اصعد».

دخل إدغار على مضض إلى السيارة، ابتعد بوش عن الرصيف بينما كان يغلق بابه.

«انتظر قليلاً، إلى أين نحن ذاهبان؟ لا يمكنني المغادرة هكذا».

«سيتطلب الأمر بضع دقائق».

«إلى أين نحن ذاهبان؟».

«باركر سنتر، حتى لن نخرج من السيارة».

«يجب أن أخبرهم».

استل إدغار جهاز لاسلكي من حزامه، واتصل بمركز أمن إدارة المياه والطاقة وقال إنه سيكون خارج الموقع من أجل قضية شرطة لمدة نصف ساعة، وحصل على عشر دقائق، وأعاد الجهاز إلى حزامه.

قال لبوش: «كان عليك أن تسألني أولاً، أخبرني ابن عمي أن لديك عادة أن تقوم بالفعل أولاً أما طرح الأسئلة فلاحقاً».

«أخبرك بذلك؟».

«نعم، لقد فعل، ما الذي سنفعله في باركر سنتر؟».

«سنتعرف إلى هوية المحقق الذي تحدث إليك بعد مغادرتي اليوم».

أصبحت حركة المرور الآن أكثر سوءاً بالفعل، فأصبح هناك العديد من الركاب في الخامسة إلا تسع دقائق الذين خرجوا مبكراً لرحلة العودة إلى المنزل، وبعد ظهر يوم الجمعة بالتحديد يصبح الازدحام شديداً، أخيراً. وصل بوش إلى مرأب الشرطة في الساعة الخامسة إلا عشرة، وأمل ألّا يكون الأوان قد فات. وجد مكاناً لركن السيارات في الصف الأول، وكان المرأب عبارة عن طابق مرتفع في الهواء الطلق وله إطلالة على شارع سان بيدرو، الذي يمر بين باركر سنتر والمرأب.

سأل بوش: «هل معك هاتف خلوي؟».

«نعم».

أعطاه بوش الرقم العام لباركر سنتر، وأخبره أن يتصل بالرقم، ويطلب وحدة القضايا غير المحلولة، حيث أن المكالمات المنقولة من الرقم الرئيسي لا تحمل هوية المتصل، وبالتالي لن يظهر اسم إدغار ورقمه على خطوط الوحدة.

قال بوش: «أريد أن أرى إذا كان أحد سيجيب، إذا أجاب شخص ما، فقط اسأل عن ريك جاكسون، وعندما يخبرك أنه ليس هناك، لا تترك رسالة، فقط قل إنك ستتصل به على هاتفه الخلوي، ثم أنهِ المكالمة».

تم الردّ على مكالمة إدغار، وخضع للتسلسل الذي لخّصه بوش، وعندما انتهى نظر إلى بوش.

«أجاب شخص يُدعى برات».

«جيد، إنه لا يزال هناك».

«ماذا يعني ذلك؟».

«أردت التأكد أنه لم يغادر، إنه يغادر عند الخامسة، وعندما يفعل ذلك

سيعبر الشارع من هنا، أريد أن تقول لي إن كان هو الشخص الذي قال لك إنه يراقب تحقيقي».

«هل هو من الرقابة؟».

«لا، إنه مشرفي».

غطى بوش وجهه بشيء وجده بالسيارة بمثابة إجراء احترازي كي لا يُرى، لقد ركن على بعد ثلاثين متراً من الطريق الذي سيسلكه برات للوصول إلى المرأب، لكنه لم يعرف أي طريق سيأخذ برات بمجرد خروجه من المبنى، فبصفته مشرفاً على الفريق لديه امتياز ركن سيارة شخصية في مرأب الشرطة، ومعظم المساحات المخصصة لركن السيارات الشخصية كانت في المستوى الثاني، وهناك مجموعتان من السلالم المتجهة نحو الأعلى، فإذا صعد برات سيأتي مباشرة من جهة بوش. طرح إدغار أسئلة حول إطلاق النار في إيكو بارك، وأجابه بوش باقتضاب، لم يرد التحدث عن ذلك، لكنه أحضر الرجل للتو على غفلة، وعليه الرد بطريقة ما. أخيراً، عندما أشارت الساعة إلى 5:01، رأى برات يأتي عبر الأبواب الخلفية لباركر سنتر متجهاً إلى أسفل السلالم بجوار مدخل السجن، وخرج إلى سان بيدرو، وبدأ بالعبور مع مجموعة من أربعة مشرفين محققين آخرين كانوا في طريقهم إلى المنزل أيضاً.

قال بوش مقاطعاً إدغار من منتصف سؤاله: «انظر إلى هؤلاء الأشخاص الذين يعبرون الشارع، أيهم جاء إلى إدارة المياه والطاقة اليوم؟».

تفحّص إدغار المحققين الذين كانوا يعبرون الشارع، وكان لديه رؤية واضحة من دون عائق لبرات، الذي كان يسير بجانب رجل آخر في الصف الخلفي من المجموعة.

قال إدغار من دون تردد: «نعم، آخر شخص، الشخص الذي يتوارى في الظلّ».

نظر بوش بتمعّن، وكان برات قد وضع للتو نظارته الشمسية. شعر بوش

بضغط عميق في صدره، مثل أسوأ حالة لحرقة المعدة التي تعرض لها على الإطلاق، وأبقى عينيه على برات، شاهده وهو يبتعد عن المرأب عبر الشارع، كان يتجه نحو السلالم.

«وماذا الآن؟ هل ستتبعه؟».

تذكر بوش أن برات أخبره أن لديه ما يفعله بعد العمل.

«أريد ذلك، ولكنني لا أستطيع، يجب أن أعيدك إلى إدارة المياه والطاقة».

«لا تقلق بشأن ذلك، يا رجل، يمكنني المشي، ربما يكون ذلك أسرع مع هذا الازدحام المروري».

فتح إدغار بابه، واستدار للخروج، ونظر نحو بوش: «لا أعرف ما يجري، ولكن حظاً طيباً يا هاري، آمل أن تحصل على من تبحث عنه».

«شكراً، غيسون، آمل أن أراك مرة أخرى».

بعد أن غادر إدغار، تراجع بوش، وغادر المرأب، ذهب عبر سان بيدرو إلى تيمبل لأنه افترض أن برات سيسلك هذا الطريق نحو الطريق السريع، سواء كان متجهاً إلى المنزل أم لا، فقد كان الطريق السريع خياره المحتمل، عبر بوش تيمبل، وركن عند الرصيف في منطقة حمراء، أعطاه ذلك زاوية جيدة عند الخروج إلى مرأب الشرطة.

في غضون دقيقتين، خرجت سيارة فضية رباعية الدفع من المرأب، واتجهت نحو شارع تيمبل، تعرّف بوش إلى برات خلف عجلة القيادة، وعلى الفور قارن أبعاد سيارة الرئيس ولونها مع سيارة الدفع الرباعي الغامضة التي رآها بالقرب من منزله في الليلة السابقة. انحنى بوش أسفل المقعد مع اقتراب السائق من تيمبل، سمعه وهو ينعطف، وبعد بضع ثوان عاد إلى خلف عجلة القيادة، كان برات يقود في شارع تيمبل عند الضوء في جادة لوس أنجلوس وينعطف جهة اليمين، انتظره بوش حتى أكمل الانعطاف ثم بدأ بملاحقته، دخل برات الممرات المكتظة شمالاً من الطريق السريع 101، وانضمّ إلى

حركة المرور الزاحفة في ساعة الذروة. نزل بوش، واندفع إلى خط سيارات مكون من حوالى ست مركبات خلف الجيب، لقد حالفه الحظ أن برات علّق فوق هوائي المذياع كرة بيضاء ترويجية لإحدى سلاسل مطاعم الوجبات السريعة، وهذا ما أتاح لبوش تتبع سيارة الجيب دون الحاجة إلى الاقتراب منها، حيث كان في سيارة من نوع كراون فيك غير مرقمة والتي ربما كان عليها أيضاً ضوء نيون يومض بعبارة الشرطة.

ببطء ولكن بثبات، شقّ برات طريقه شمالاً، وتبعه بوش من مسافة بعيدة، وعندما قطع الطريق السريع خلف إيكو بارك نظر إلى الأعلى إلى خط القمم، ورأى أن مسرح الجريمة في فيغيروا لين لا يزال مكتظاً بالصحفيين والمراسلين، ولاحظ مروحيتين تحلقان في السماء، وتساءل إن كانت سيارته ستسحب من الموقع أم أنه سيكون قادراً على العودة واستعادتها لاحقاً.

بينما كان يقود سيارته، حاول تجميع ما كان لديه بخصوص برات، وكان هناك القليل من الشك في أن برات يتابعه أثناء وجوده في الخدمة المنزلية؛ وكانت سيارته ذات الدفع الرباعي مطابقة لسيارة الدفع الرباعي التي كانت في شارعه في الليلة السابقة؛ وقد تعرف غيسون إلى برات باعتباره الشخص الذي تبعه إلى مبنى إدارة المياه والطاقة. لم يعتقد أنه يتبعه ليعرف إن كان ملتزماً بقواعد الخدمة المنزلية، لا بد من سبب آخر. ولم يكن بوش قادراً على التفكير إلا بشيء واحد فقط، وهو القضية.

بمجرد أن وضع هذه الفرضية، اجتمعت أشياء أخرى معاً، وسرعان ما سبب ذلك زيادة في حدة النار التي كانت تنهش صدره. فلقد ذكر برات قصة عن موريس سوان في وقت سابق من الأسبوع، وهذا دليل على أنهما يعرفان بعضهما، صحيح أنها كانت قصة سلبية عن محامي الدفاع، ربما كان ذلك غطاء أو محاولة لإبعاد نفسه عن شخص كان قريباً منه وربما يعمل معه.

بدا واضحا لبوش أن برات يدرك تماماً أنه اعتبر أنتوني غارلاند مشتبهاً به

في قضية غيستو، فقد أبلغه بشكل روتيني عن أنشطته في إعادة فتح القضية، وأخطر برات أيضاً عندما حصل محامو غارلاند على أمر من المحكمة يمنع بوش من استجواب غارلاند من دون حضور أحد محاميه.

أخيراً، وربما الأهم، تمكّن برات من الوصول إلى ملف جريمة غيستو، وجلس معظم الوقت على مكتب بوش، ويمكن أن يكون برات هو من وضع الرابط الزائف لروبرت ساكسون، المعروف أيضاً باسم راينارد ويتس. كان بإمكانه أن يزرع هذا الرابط قبل فترة طويلة من إعطاء الملف لأوليفاس، يزرعه حتى يكتشفه أوليفاس.

أدرك بوش أن الخطة الكاملة لراينارد ويتس للاعتراف بقتل ماري غيستو وإرشاد المحققين إلى الجثة يمكن أن تكون من تخطيط أبل برات، فقد كان في موقع مثالي لكي يؤدي دور الوسيط حيث يمكنه مراقبة بوش، وسائر الأطراف الأخرى المعنية. وأدرك أنه مع وجود جزء من الخطة خاص بسوان، لم يكن برات بحاجة إلى أوليفاس أو أوشيا، فكلما زاد عدد الأشخاص في مؤامرة ما، زاد احتمال فشلها أو انهيارها، فكلّ ما على سوان القيام به هو إخبار ويتس أن المدعي العام والمحقق كانا خلف المؤامرة، وبهذه الطريقة، سيزرع مساراً مضللاً ليتبعه شخص مثل بوش. شعر بوش بحرارة مفاجئة ناجمة عن شعوره بالذنب حيث بدأ يشعر بالاحتراق في مؤخرة رقبته، وأدرك أنه ربما أخطأ في كلّ شيء. فكّر أنه ربما كان مخطئاً بكل شيء حتى نصف ساعة خلت، قد لا يكون أوليفاس متورطاً ولا فاسداً، ربما استغله شخص بارع وخدعه كما خدع بوش، وربما لم يكن أوشيا مذنباً سوى بمناوراته السياسية، وتحمل مسؤولية أمر لم يقترفه، وضلل بوش عن غير قصد. كان على أوشيا أن يتصل بالقسم ببساطة لاحتواء اتهامات بوش لأنها ستكون مدمرة سياسياً، وليس لأنها كانت صحيحة.

فكّر بوش في هذه النظرية الجديدة مراراً، فوجدها منطقية، إلا أنه لم

يعثر على الدافع، لماذا يخاطر الرجل الذي عمل لمدة خمسة وعشرين عاماً في القسم، وهو على وشك التقاعد ويتورط في أمر كهذا؟ كيف يمكن لرجل قضى خمسة وعشرين عاماً في مطاردة الأشرار أن يطلق سراح القاتل؟

عرف بوش من عمله على ألف جريمة قتل أن الدافع كان في الغالب العنصر الأكثر مراوغة للجريمة، من الواضح، أن المال يمكن أن يحفز على ذلك، ويمكن أن يؤدي تفكك الزواج دوراً، لكنهما كانا قاسمين مشتركين مؤسفين في حياة العديد من الناس، ولم يعطيا تفسيراً بسيطاً حول سبب تجاوز أبل برات للخطوط الحمر. ضرب بوش راحة يده بقوّة على عجلة القيادة، أقلقه أمر الدافع، وشعر بالغضب والحرج من نفسه، فقد تلاعب برات به بشكل مثالي، وآلمته الخيانة وعمقها. فبرات رئيسه، وبينهما خبز وملح كما يقال، وعملا معاً في العديد من القضايا، وتبادلا المزاح، وتحدثا عن أولادهما معاً. سيتقاعد برات وجميع من في القسم يعتقدون أنه يستحق التقاعد بعد ما بذله من جهود، لقد حان الوقت للفارس أن يترجل عن صهوة فرسه، وقبض معاشه التقاعدي والحصول على وظيفة أمنية مربحة في الجزر حيث الرواتب مرتفعة وساعات العمل منخفضة، فالجميع يسعون وراء ذلك ولا يغبطونه عليه، كان جنة زرقاء، وحلم كلّ شرطي.

قال بصوتٍ عالٍ في السيارة: «كل شيء هراء».

33

بعـد ثلاثيـن دقيقـة مـن القيـادة خرج بـرات من الطريق السـريع في ممر كاوينجا، وسلك طريق حيّ بارهام في الشمال الشرقي نحو بوربانك. لا تزال حركـة المـرور كثيفـة، ولـم يواجه بوش صعوبة في الحفاظ على بعده وتخفيه عن الأنظار. قاد برات وراء المدخل الخلفي ليونيفيرسـال والمدخل الأمامي لوارنر بروس، ثم انعطف عدة مرات، وركن سيارته عند الرصيف أمام صفّ من المنازل الفخمة في كاتالينا بالقرب من فيردوغو.

قـاد بـوش بسـرعة، وأخـذ أول يمين له، ثم انعطف نحـو اليمين مجدداً، ثـم انعطـف مـرة أخـرى، أطفـأ أنوار السـيارة قبـل أن يأخذ يمينـاً آخر ويقود نحو المنازل الفخمة، وركن عند الرصيف على بعد نصف بناء خلف سـيارة بـرات ذات الدفـع الرباعـي، وانزلق إلى أسـفل مقعده. رأى بوش برات يقف فـي الشـارع، ينظـر فـي كلا الاتجاهين قبل العبور، لكن عبوره اسـتغرق وقتاً، كان الشارع فارغاً، لكن برات ظل ينظر إلى الخلف والأمام، كان يبحث عن شخص ما أو يتحقق لمعرفة ما إذا كان أحد يتبعه.

عرف بوش أن أصعب شيء في العالم هو ملاحقة شرطيّ يبحث عنك، وانزلق إلى الأسفل في السيارة. أخيراً، عبر برات الشارع، ولم يكف عن النظر إلى الأمام والخلف، وعندما وصل إلى أمام الرصيف الآخر، استدار، وصعد

وهـو ينظـر خلفـه، خطـا خطوات قليلـة إلى الخلف، ومسـح المنطقة في كلا الاتجاهين، وعندما وصل مسـحه إلى سـيارة بوش، أمعن النظر فيها مطولاً، تجمّـد بـوش، لـم يعتقـد أن بـرات قد رآه، كان منزلقاً جداً إلى الأسـفل، لكن ربما تعرّف إلى السـيارة إما على أنها سـيارة شـرطة غير مرقّمة أو أنها واحدة من السـيارات المخصصة لوحدة القضايا غير المحلولة، وإذا قرر السـير في الشـارع للتحقق منها، عرف بوش أنه سـيقبض عليه ولـم يكن لديه ما يفسـر سبب وجوده هنا، ومن دون مسدس، فراندولف صادر بشكل روتيني سلاحه الاحتياطي لتحليل الرصاصات للتحقيق فيما يتعلق بإطلاق النار على روبرت فوكسورث.

بدأ برات يسير نحو سيارة بوش، أمسك بوش بمقبض الباب، فإذا اضطر سيخرج من السيارة ويهرب نحو فيردوغو، حيث حركة المرور والناس، ولكن بـرات توقـف فجـأة، حيـث لفت شـيء خلفه انتباهه، اسـتدار ونظـر إلى درج المنزل الذي كان يقف أمامه، وتتبعته عينا بوش، فرأى أن باب المنزل الأمامي قـد فتـح حيـث نظرت امرأة إلى الخارج ونادت مبتسـمة برات، كانت مختبئة خلـف البـاب، ولكـن إحدى كتفيهـا العاريتين كانت مكشـوفة، وتغير تعبيرها عندما قال برات شيئاً، وأشارت إلى خلفها، وأبدت استياءها، وحرّكت لسانها فـي حركـة تـدل على التذمـر، واختفت عبر الباب، تاركة إيـاه مفتوحاً بمقدار سـت بوصـات. تمنـى بوش لو كانـت الكاميرا بحوزته، لكنها في سـيارته في إيكو بارك، ومع ذلك، لم يكن بحاجة إلى دليل فوتوغرافي ليعرف أن المرأة فـي المدخـل ليسـت زوجـة برات، فقـد التقى بوش بزوجته فـي حفلة الفريق الأخيرة عندما أعلن تقاعده.

نظـر بـرات نحـو سـيارة بوش مرة أخـرى، وتردد ولكنه عـاد إلى المنزل الفخـم، وصعـد الـدرج، ودخل الباب المفتوح، وأغلقـه خلفه، وانتظر بوش، وكما كان متوقعاً، رأى برات يسـحب السـتارة وينظر إلى الشـارع، بقي بوش

منخفضاً بينما كانت عينا برات تحدقان إلى سيارة كراون فيك، ولم يكن هناك شكّ في أن السيارة قد أثارت شكوك برات. لكن بوش خمّن أن إغراء الجنس المحرّم قد تغلب على غريزته في تفحص السيارة، كانت هناك جلبة حيث تم الإمساك ببرات من الخلف، واستدار بعيداً عن النافذة، وعادت الستارة إلى مكانها، جلس بوش على الفور، وقاد السيارة وانعطف بعيداً عن الرصيف، أخذ يميناً نحو فيردوغو واتجه نحو طريق هوليوود، ما من شك أن سيارة كراون فيك تلك أصبحت عرضة للبحث، فسيبحث عنها بنشاط عندما يغادر هذا المنزل، ولكن مطار بوربانك كان قريباً، تخلص بوش من الكراون فيك في المطار، حيث استأجر سيارة، وعاد بها إلى المنزل الفخم في أقل من نصف ساعة.

بينما كان يقود سيارته حاول معرفة المرأة التي رآها تنظر من باب المنزل، استخدم بعض تدريبات الاسترخاء الذهني التي تعلّمها عندما قبلت المحاكم بتنويم الشهود مغناطيسياً، وسرعان ما كان يركّز في أنف المرأة وفمها، فهما ما حفزا مركز التعرف لديه، وبعد فترة وجيزة من قيامه بذلك تعرّف إليها، كانت موظفة مدنية شابة وجذابة في القسم، عملت في المكتب أسفل الممر المؤدي إلى وحدة القضايا غير المحلولة. لقد كان مكتب شؤون موظفين، والذي يسميه قسم الملفات والتصنيف مكتب التوظيف والطرد لأنه كان المكان الذي يحدث فيه الأمران.

كان برات يتصيّد من على رصيف الشركة، وينتظر ساعة الذروة في مكان المعاشرة في بوربانك، إنه ليس بالعمل السيئ أن تعاشر إحداهن إذا تمكنت من إخفاء الأمر، تساءل بوش هل السيدة برات على علم بأنشطة زوجها غير العادية. قاد عبر طريق المطار، ودخل إلى ممر مرأب السيارات، معتقداً أن ذلك سيكون أسرع.

عندما سأله الرجل ذو المعطف الأحمر الذي أخذ سيارة كراون فيك

منه متى سيعود.

قال بوش بدون أن يفكر بالأمر: «أنا لا أعرف».

قال الرجل: «أنا بحاجة إلى كتابة شيء ما على التذكرة».

قال بوش: «غداً، إذا كنت محظوظاً».

34

عاد بوش إلى شارع كاتالينا في غضون خمس وثلاثين دقيقة، قاد سيارته المستأجرة من نوع توروس خلف صف المنازل الفخمة ورأى أن سيارة برات لا تـزال مكانهـا، هـذه المـرة وجـد مكاناً علـى الجانب الشـمالي من المنازل الفخمة، وركن هناك، بينما جلس في السـيارة وراقب النشـاط، شـغل الهاتف الخليوي الذي استأجره مع السيارة، واتصل برقم هاتف ريتشل والينغ، لكنه حصل على بريدها الصوتي، وأنهى المكالمة من دون أن يترك رسالة.

لـم يخـرج بـرات قبل أن يخيم الظـلام الدامس، وقف أمام المنزل تحت ضوء الشارع، ولاحظ بوش أنه يرتدي ملابس مختلفة الآن، فهو يرتدي الجينز الأزرق وكنزة داكنة ذات كمين طويلين، استنتج بوش من تغييره لملابسه في منزل المرأة أن علاقته بها لم تكن عابرة، فقد احتفظ برات بملابس في منزلها. نظر برات مرة أخرى إلى الأعلى وأسفل الشارع، وكانت عيناه تفحصان مطوّلاً الجانب الجنوبي حيث لفتت سـيارة كراون فيك في وقت سـابق انتباهه، بدا مرتاحاً من رحيل السيارة، فذلك يعني أنه لم يكن قيد المراقبة. ذهب برات إلى سيارته وسرعان ما ابتعد عن الرصيف، ثم دار باتجاه الجنوب إلى فيردوغو، ثم استدار يميناً.

عرف بوش أن برات سيسـير ببطء إن كان يبحث عمن تبعه، وسـيراقب

عبر مرآة الرؤية الخلفية أي سيارة متوقفة في كاتالينا في اتجاه المكان الذي كان فيه، لذا انعطف من الرصيف واتجه شمالاً إلى جادة كلارك، استدار يساراً، وأطلق عنان محرّك السيارة الضعيف، قاد مسافة خمس أبنية في شارع كاليفورنيا، ثم استدار يساراً، وفي نهاية البناء، كان سيصل إلى فيردوغو، لقد كانت خطوة محفوفة بالمخاطر، يمكن أن يكون برات قد غادر منذ فترة طويلة، لكن بوش تصرف وفقاً لحدسه، فرؤية الكراون فيك أخافت رئيسه، كان في حالة تأهب كامل، لقد فكّر بوش بالأمر بشكل صحيح، وفي لحظة وصوله إلى فيرديغو رأى سيارة برات الفضية تمرّ أمامه.

من الواضح، أنه تأخر في فيردوغو، يراقب خلفه ليكشف أحد الملاحقين، انتظره بوش ليبتعد قليلاً، ثمّ استدار ليتبعه، لم يتخذ برات أي خطوات مراوغة بعد ذلك الجهد المسبق للكشف عن ملاحق له، وبقي في فيردوغو متجهاً إلى شمال هوليوود، ثم استدار جنوباً نحو كاوينجا، عند المنعطف، فقد بوش أثره، لكنه وجده بسبب الضوء الأحمر الذي كان على سيارة برات، بدا له جلياً أن برات لم يكن في طريقه إلى منزله، فبوش يعلم أنه يعيش في الاتجاه المعاكس في الوادي الشمالي، وكان برات يتجه نحو حيّ هوليوود، وخمّن بوش أنه يخطط ببساطة للانضمام إلى أعضاء الفريق الآخرين في حانة نات، ولكن في منتصف الطريق عبر ممر كاوينجا، اتجه يميناً نحو طريق وودرو ويلسون درايف وشعر بوش بنبضه يتزايد، كان برات يتجه إلى منزله.

كان طريق وودرو ويلسون ينتهي بجانب جبال سانتا مونيكا، وبعد منعطف حاد تلو الآخر، أصبح بشارع وحيد الاتجاه، وكان السبيل الوحيد لملاحقة السيارة هو القيام بذلك بعد إطفاء المصابيح الأمامية والحفاظ على منعطف واحد على الأقل خلف أضواء الفرامل للسيارة التي كان يلاحقها. بوش يعرف المنعطفات عن كثب، فقد عاش في وودرو ويلسون لأكثر من خمسة عشر عاماً، وهذا ما جعله قادراً على القيادة فيه وهو نصف نائم، وهو ما

كان يفعله في بعض الأحيان، ولكن ملاحقة برات، ضابط الشرطة الحذر، كان صعباً بعض الشيء، حاول بوش الاحتفاظ بمسافة منعطفين إلى الوراء، وهذا يعني أنه فقد أضواء سيارة برات من وقت إلى آخر ولكن ليس لفترة طويلة.

عندما كان على بعد منعطفين من منزله، بدأ بوش في تخفيف السرعة، ركن السيارة المستأجرة في النهاية قبل المنعطف النهائي، خرج وأغلق الباب بهدوء، وتسلل إلى المنعطف، وبقي بالقرب من السياج الذي يحيط بمنزل واستوديو رسام مشهور عاش في البناء. لقد تحرّك حوله حتى تمكن من رؤية سيارة برات في المقدمة، وقد ركنها بجانب الرصيف قبل منزلين من منزل بوش، وأطفأ أضواء سيارته وبدا أنه يجلس هناك فقط ويراقب المنزل.

نظر بوش إلى منزله، ورأى ضوءاً خلف نوافذ المطبخ وغرفة الطعام، ورأى مؤخرة سيارة بارزة من مرأبه. وتعرّف على سيارة ليكسوس وعرف أن ريتشل والينغ كانت في منزله، حتى عندما كان مدعوماً باحتمال وجودها هناك في انتظاره، قلق بوش بشأن ما كان برات ينوي فعله، يبدو أنه يكرر ما قام به في الليلة السابقة، يراقب ويحاول معرفة إن كان بوش في المنزل. سمع بوش صوت سيارة قادمة من خلفه، فاستدار وسار نحو سيارته كما لو كان في نزهة مسائية، مرت السيارة ببطء، ثم استدار بوش وعاد إلى السياج، وعندما جاءت السيارة خلف سيارة برات، فبدلا من القيادة إلى الجانب الطريق، تحرك برات مرة أخرى، وأضاءت أنوار سيارة الدفع الرباعي الخاصة به أثناء ابتعاده. استدار بوش، وركض نحو سيارته المستأجرة، وقفز داخلها وقاد مبتعداً، وفي أثناء ذلك اتصل بواسطة هاتفه المستأجر، وسرعان ما بدأ يسمع رنين هاتف ريتشل، وهذه المرة أجابت.

«نعم؟».

«ريتشل، أنا هاري، هل أنتِ في بيتي؟».

«نعم، لقد كنت أنتظر...».

«أخرجي، سأقلّك. هيا بسرعة».

«هاري، ما...».

«فقط اخرجي، وأحضري مسدسك الآن».

أنهى المكالمة، وقاد سيارته ليتوقف أمام منزله، رأى وهج أضواء الفرامل تختفي حول المنعطف أمامه، وأدرك أن تلك الأنوار تعود لسيارة برات، كان برات أبعد من ذلك، استدار بوش ونظر إلى بابه الأمامي، مستعدا لإطلاق بوق السيارة، لكن ريتشل خرجت.

صرخ بوش عبر نافذة الركاب المفتوحة: «أغلقي الباب».

سحبت ريتشل الباب، وأغلقته، وأسرعت إلى السيارة.

«ادخلي، بسرعة!».

دخلت السيارة وقبل أن تغلق الباب تحرك بالسيارة.

«ما الذي يحدث؟».

أعطاها ملخصاً عما حدث معه وهو يسرع عبر المنعطفات في الطريق إلى مولهولاند، وأخبرها أن رئيسه، أبل برات، هو الرجل المسؤول عن الفخ، وأن ما حدث في بيتشوود كانيون كان من تخطيطه، وقال لها إنها الليلة الثانية على التوالي التي يراه فيها هنا.

«كيف تعرف كل هذا؟».

«أعرف فقط، سأكون قادراً على إثبات ذلك لاحقاً، في الوقت الحالي، إنها حقيقة».

«ما الذي كان يفعله هنا؟».

«لا أعرف، أعتقد إنه يحاول معرفة إن كنت في المنزل».

«لقد رن هاتفك».

«متى؟».

«قبل أن تتصل بي مباشرة، ولم أردّ».

«ربما كان هو، هناك شيء ما يحدث».

انعطفا عند المنعطف الأخير، وكان التقاطع ذو الطرق الأربعة في مولهولاند أمامهم، ورأى بوش أنوار المصابيح الخلفية لسيارة كبيرة تختفي للتوّ إلى اليمين، وانتقلت سيارة أخرى إلى التقاطع، كانت السيارة التي جعلت برات يقود قدماً، وعبر مباشرة من خلال التقاطع.

«ينبغي أن تكون السيارة الأولى لبرات، لقد انعطف يميناً».

وصل بوش إلى التقاطع، ثمّ اتجه نحو اليمين، كان طريق مولهولاند يشبه ثعباناً متعرجاً يتبع خط قمة الجبال عبر المدينة، وكانت منعطفاته أكثر سلاسة وليست حادة مثل وودرو، وكانت أيضاً أكثر ازدحاماً، وهذا ما سيتيح له ملاحقة برات من دون إثارة الشكوك.

سرعان ما وصلا إلى السيارة التي انعطفت، وتأكدا أنها كانت سيارة برات، تباطأ بوش مرة أخرى، وفي الدقائق العشر التالية سلك برات الطريق صعوداً نحو القمة، حيث امتدت الأضواء البراقة للوادي أدناه على الجانب الشمالي.

كانت ليلة صافية، حيث بإمكانهما رؤية الجبال على الجانب البعيد من الطريق.

فجأة قالت ريتشل: «كنت أنتظرك لأودّعك».

رد بوش بعد لحظة من الصمت.

«أعرف، أنا أفهم ذلك».

«لا أعتقد ذلك».

«لم تعجبكِ الطريقة التي تصرّفت بها اليوم، الطريقة التي اندفعت بها وراء ويتس، لست الرجل الذي تتوقعينه، لقد سمعت ذلك من قبل، يا ريتشل».

«الأمر بخلاف ذلك يا هاري، ما من شخص يكون كما تتوقعه، يمكنني التعايش مع ذلك، لكن على المرأة أن تشعر بالأمان مع الرجل، حتى عندما

لا يكونان معاً، كيف أشعر بالأمان وقد رأيت بأم العين كيف تصرفت؟ لا يهم ما إذا كانت هذه هي الطريقة التي قد أقوم بها بالأمور أم لا، أنا لا أتحدث عن أنفسنا من شرطي لشرطي، ما أتحدث عنه هو أنني لن أشعر بالراحة والأمان، حيث إنني سأتساءل كل ليلة إذا كانت هذه هي الليلة التي لن تعود فيها إلى المنزل، لا يمكنني فعل ذلك».

أدرك بوش أنه كان يعطي السيارة الكثير من الوقود، فقد جعلته كلماتها يضغط على الدواسة بشدة ومن دون وعي، كان يقترب من برات، وتباطأ وابتعد عن المصابيح الخلفية مئة ياردة.

قال: «إنها وظيفة خطيرة، اعتقدت أنكِ تعرفين ذلك أكثر من أي شخص».

«نعم، نعم، أعرف ذلك، لكن ما رأيته اليوم معك كان تهوراً، لا أريد أن أقلق بشأن شخص متهور، هناك ما يكفي من الأمور الأخرى لأقلق بشأنها».

زفر بوش، وأشار إلى الأضواء الحمراء التي تتحرك أمامهما.

قال: «حسناً، دعينا نتحدث عن ذلك لاحقاً، فلنركز فقط على هذا الأمر الليلة».

بعيداً عن الجدال، انعطف برات يساراً بقوة نحو طريق كولدوتر كانيون، وبدأ في النزول نحو بيفرلي هيلز، تأخر بوش لأقصى درجة اعتقد أنها مناسبة قبل أن يسلك المنعطف نفسه.

قال: «حسناً، ما زلت سعيداً بوجودكِ معي».

«لماذا؟».

«لأنه إذا انتهى به الأمر في بيفرلي هيلز، فلن أحتاج إلى الاتصال بالشرطة المحلية لأنني مع عميلة فيدرالية».

«سعيدة لأني أستطيع القيام بشيء ما».

«هل مسدسكِ معكِ؟».

«دائماً، ماذا عن مسدسك أليس معك؟».

«لقد كان جزءاً من مسرح الجريمة، لا أعرف متى سأستعيده، إنه المسدس الثاني الذي يأخذونه مني هذا الأسبوع، يجب أن يكون هذا رقماً قياسياً لفقدان الأسلحة خلال عمليات إطلاق نار متهوّرة».

نظر إليها لمعرفة إن كان قد أزعجها، لكنها لم تظهر شيئاً.

قالت: «سينعطف».

استعاد بوش انتباهه إلى الطريق، ورأى إشارة الانعطاف اليسرى تومض، انعطف برات وتلاه بوش، وانحنت راشيل إلى الأسفل حتى تتمكن من الرؤية خارج النافذة نحو الأعلى عند إشارة الشارع.

قالت: إننا في غلومينغ درايف، أما زلنا في المدينة؟».

«نعم، يتجه طريق غلومينغ إلى هذا المنفذ حيث لا يوجد مخرج آخر، لقد سبق لي أن أتيت إلى هنا».

الشارع التالي نحو الأسفل يدعى زقاق ستيوارت، سلكه بوش للاستدارة والعودة إلى غلومينغ.

سألت ريتشل: «هل تعرف وجهته؟».

«لا، ربما إلى منزل عشيقة أخرى، هذا كلّ ما أعرفه».

غلومينغ طريق جبيلي متعرج آخر، ولكن هذا هو المكان الذي انتهى فيه التشابه مع طريق وودرو ويلسون، كانت أرقام المنازل هنا مؤلفة من سبعة أرقام على الأقل، سهلة، وجميعها تحتوي على أفنية وأسيجة مشذبة ولا توجد أوراق متساقطة في الأرجاء، قاد بوش ببطء، بحثاً عن السيارة الفضية.

قالت راشيل: «إنها هناك».

وأشارت خارج نافذتها إلى سيارة مركونة عند منعطف أحد القصور، مرّ بوش بالقرب منه، وركن السيارة على بعد منزلين، ترجلا من السيارة، وسارا إلى الخلف.

«طوافات الساحل الغربي؟».

لم تكن قادرة على رؤية مقدمة قميصه أثناء القيادة.

«لقد ساعدني في التخفي في إحدى القضايا سابقا».

«رائع».

«رأتني ابنتي أرتديه ذات مرة، أخبرتها أني أحضرته من طبيب الأسنان».

كانت البوابة إلى الممر مفتوحة، ولم يكن هناك أي اسم على صندوق البريد الحديدي، فتحه بوش، ونظر إلى الداخل. كانا محظوظين؛ كان هناك بريد، كومة صغيرة مثبتة بشريط مطاطي، أخرجه ورفع الغلاف العلوي نحو ضوء الشارع المجاور لكي يتمكن من قراءته.

قال: «موريس، إنه منزل موريس سوان».

قالت راشيل: «جميل، كان يجدر بي أن أكون محامية دفاع».

«كنتِ ستعملين بشكل جيد مع المجرمين».

«تباً لك، يا بوش».

انتهى المزاح بصوت عالٍ قادمٍ من خلف سياج طويل يمتد على طول الجانب البعيد من المنعطف وعلى الجانب الأيسر من المنزل.

«لقد قلت لك انزل!».

كان هناك صوت ماء، توجّه بوش وريتشل نحو الصوت.

35

مسح بوش السياج بعينيه، بحثاً عن منفذ، فلم يجد منفذاً من الأمام، وعندما اقتربا، أشار إلى ريتشل من دون أن يتفوه بكلمة لتفحص السياج من اليمين بينما يفحصه من اليسار، ولاحظ أنها تحمل سلاحها معها، كان السياج بارتفاع عشر أقدام على الأقل، وعريضاً لدرجة أن بوش لم يستطع رؤية أي ضوء من المسبح أو المنزل عبره، ولكن عندما تحرك على طوله سمع صوت رذاذ وكلام، فتعرف إلى صوت برات، كانت الأصوات قريبة جداً.

«أرجوك، لا يمكنني السباحة، لا أستطيع لمس القاع».

«إذا لماذا لديك بركة سباحة؟».

«أرجوك! لن أفعل، لماذا سأخبر أحداً...».

«أنت محامٍ، ويحب المحامون تأدية دور الملائكة».

«أرجوك».

«كن واثقاً، عندما أشك بأنك ستؤدي دور ملاك، لن أدفع بك في المرة القادمة إلى قعر بركة السباحة، بل إلى قعر المحيط، هل هذا واضح؟».

توجه بوش إلى الكوّة حيث كان مرشح مضخة البركة والسخان موجودين على قطعة خرسانية، وكانت هناك فتحة صغيرة في السياج لرجل صيانة المسبح ليمر من خلالها. انزلق عبر الفتحة، وأصبح على البلاط المحيط

بمسبح بيضوي كبير، وكان على بعد عشرين قدماً من برات، الذي يقف عند الحافة، وينظر إلى رجل في الماء. أمسك برات بعصا زرقاء طويلة بامتداد منحنٍ، كانت مخصصة لسحب الأشخاص الذين لا يعرفون السباحة إلى طرف المسبح، ولكن برات كان يمسك بها بعيداً عن متناول الرجل، ويبعدها بين حين وآخر.

من الصعب التعرف إلى الرجل في الماء على أنه موريس سوان، كان المسبح مظلماً فالمصابيح مطفأة، واختفت نظارة سوان، وبدا شعره وكأنه قد انزلق من فروة رأسه إلى مؤخرته مثل شريحة طينية، على صلعته اللامعة كان هناك خيط من شريط لتثبيت شعره المستعار في مكانه. أتاح صوت مرشح المسبح لبوش التخفي، كان قادراً على المشي من دون أن يلاحظه أحد حتى أصبح على بعد ست أقدام من برات قبل التحدث.

«ماذا يحدث، يا سيدي؟».

أخفض برات العصا بسرعة حتى يتمكن سوان من الإمساك بنهايتها.

صرخ برات: «امسك بها يا موريس! أنت بخير».

أمسك سوان بالعصا، وبدأ برات يسحبه باتجاه حافة المسبح.

قال برات: «لقد أمسكتك، يا موريس، لا تقلق».

قال بوش: «ليس عليك أن تزعج نفسك بتمثيلية إنقاذه، لقد سمعت كل شيء».

توقف برات مؤقتاً، ونظر إلى الأسفل نحو سوان في الماء، وكان على بعد ثلاث أقدام من الطرف الجانبي للمسبح.

قال برات: «في هذه الحالة».

أفلت العصا من يده، وحرك يده اليمنى خلف ظهره نحو حزامه.

«لا!».

كانت والينغ قد وجدت طريقها عبر السياج، كانت على الجانب الآخر

من المسبح، مصوبة مسدسها نحو برات، تجمد برات، بدا وكأنه يفكر بشأن سحب سلاحه أم لا، تحرك بوش خلفه، وسحب المسدس من بنطاله.

نادت ريتشل: «هاري! اتركه لي، واذهب إلى المحامي».

كان سوان يغرق، وكانت العصا الزرقاء تغرق معه، وسرعان ما ذهب بوش إلى حافة المسبح، وأمسك به، وسحبه إلى السطح، بدأ المحامي في السعال وبصق الماء، وتمسك بقوة بالعصا، فسحبها بوش حتى نهايتها. وصلت ريتشل إلى برات، وأمرته بوضع يديه خلف رأسه.

كان موريس سوان عارياً، صعد الدرجات في الطرف الضحل وهو يغطي خصيتيه الواهنتين بإحدى يديه، ويحاول إعادة شعره المستعار باليد الأخرى، لكنه في النهاية، تخلّى عن شعره المستعار، ومزقه، وألقى به على البلاط، حيث سقط وأصدر صوتاً، توجه مباشرة إلى كومة من الملابس موضوعة على مقعد، وبدأ يرتديها من دون أن يجفف نفسه.

سأله بوش: «ما الذي يحدث هنا يا موريس؟».

«لا شيء».

أومأ بوش برأسه.

«فهمت الأمر، يأتي رجل إلى هنا ليضعك في المسبح ويراقبك تغرق، وربما قد يجعل الأمر يبدو وكأنه انتحار أو حادث، ولا تريد أن يهتم أي شخص بالأمر».

«لقد كان خلافاً، هذا كلّ شيء، كان يخيفني، ولم يكن يغرقني».

«أيعني هذا أنكما كنتما متفقين على شيء واختلفتما بشأنه؟».

«لن أجيب على هذا».

«لماذا كان يخيفك؟».

«لستُ مضطراً للإجابة على أيّ من أسئلتك».

«ربما يجب أن نخرج من هنا ونترككما تنهيان خلافكما، ربما سيكون

هذا أفضل شيء نفعله هنا».

«افعل ما تريده».

«هل تعرف ماذا أعتقد؟ أعتقد أنه مع موت عميلك راينارد ويتس، هناك شخص واحد فقط يمكنه ربط المحقق برات بعائلة غارلاند، أعتقد أن شريكك كان يريد التخلّص من هذا الرابط لأنه خائف، لو لم نصل في الوقت المناسب، لكنت الآن في قعر هذا المسبح».

«لك الحرية بالتفكير في ما تشاء، ولكنني أقول لك إنه مجرد خلاف، صدف أنه أتى عندما كنت أسبح، واختلفنا بشأن أمر ما».

«اعتقدت أنك لا تعرف كيف تسبح يا موريس، أليس هذا ما قلته؟».

«انتهى الحديث بيننا أيها المحقق، يمكنك مغادرة ملكيتي الآن».

«لن أُغادر الآن يا موريس، لماذا لا تنتهي من ارتداء ملابسك وتنضم إلينا حتى النهاية».

تركه بوش هناك حيث كان يكافح من أجل وضع ساقيه الرطبتين في سروال حريريّ، وفي الطرف الآخر من المسبح أصبح برات مقيداً ويجلس على مقعد إسمنتي.

قال: «لن أقول شيئاً من دون وجود محام».

قال بوش: «حسناً، هناك محام يرتدي ملابسه، ربما يمكنك تعيينه».

كرر برات: «لن أقول شيئاً، يا بوش».

نادى سوان من الطرف الآخر: «قرار جيد، القاعدة الأولى: لا تتحدث مع رجال الشرطة».

نظر بوش إلى ريتشل، وبدا وكأنه يضحك.

«هل تصدقين ذلك؟ قبل دقيقتين كان يحاول إغراق الرجل، والآن يقدم له مشورة قانونية مجانية».

قال سوان: «تبدو أنها مشورة قانونية».

ذهب سوان إلى حيث كان الآخرون ينتظرون، ولاحظ بوش أن ملابسه كانت ملتصقة بجسده الرطب.

قال برات: «لم أكن أغرقه بل أساعده، هذا كل ما سأقوله».

نظر بوش إلى سوان.

«اسحب زمام بنطالك، يا موري، واجلس هنا».

وأشار بوش إلى مكان بجوار برات.

ردّ سوان: «لا، لا أعتقد أنني سأفعل ذلك».

اتخذ خطوة نحو المنزل، ولكن بوش اتخذ خطوتين واعترض طريقه، وأعاد توجيهه إلى المقعد.

قال: «اجلس، أنت قيد الاعتقال».

قال سوان بسخط: «لماذا؟».

«جريمة قتل مزدوجة، كلاكما قيد الاعتقال».

ضحك سوان كما لو كان يتعامل مع طفل، والآن بعد أن ارتدى ملابسه بدا أنه استرد بعضاً من عجرفته.

«وما هما جريمتا القتل؟».

«المحقق فريد أوليفاس والشرطي ديريك دولان».

هزّ سوان رأسه الآن، وأشرق وجهه بابتسامة.

«أفترض أن هذه الاتهامات تندرج تحت خانة الجرائم الجنائية، حيث هناك أدلة كثيرة على أننا لم نضغط الزناد الذي أطلق الرصاص الذي قتل أوليفاس ودولان».

«من الجيد دائماً التعامل مع محام، أكره الاضطرار إلى شرح القانون طوال الوقت».

«من المؤسف أنني بحاجة إلى شرح القانون لك، أيها المحقق بوش، لا يتم تطبيق قاعدة الجرائم الجنائية إلا عندما يُقتل شخص ما أثناء ارتكاب

جريمة خطيرة، إذا تم استيفاء هذا العتبة، فعندئذ يمكن اتهام مرتكبي الجريمة في المؤسسة الإجرامية بالقتل».

أومأ بوش برأسه.

قال: «لقد حصلت على ذلك، وأنا حصلت عليك».

«حسناً، من فضلك أخبرني ما هي عتبة الجريمة التي تآمرت على ارتكابها».

فكّر بوش للحظة قبل الإجابة.

«ماذا عن الحنث باليمين وعرقلة العدالة؟ يمكننا أن نبدأ من هناك، وننتقل إلى فساد موظف عمومي، وربما المساعدة والتحريض على الهروب من سجن».

قال سوان: «ويمكننا أن ننتهي عند هذا الحدّ، كنت أمثل موكلي، ولم أرتكب أياً من هذه الجرائم، وليس لديك أي دليل أنني قمت بهذا، إذا اعتقلتني، فستدمّر وتحرج نفسك».

ثم وقف.

«أمسية جيدة لكم جميعاً».

مشى بوش نحوه، ووضع يده على كتف سوان، وأعاده إلى المقعد.

«اجلس، أنت رهن الاعتقال، سأترك الأمر للمدعين العامين لاتخاذ قرار بشأن شرط الجريمة، لا أهتم بهذا الأمر، فما يهمني هو موت شرطيين وستنتهي مسيرة شريكتي المهنية بسببك، يا موريس، لذا تباً لك».

نظر بوش إلى برات، الذي جلس وقد اعتلت ابتسامة طفيفة شفتيه.

قال برات: «من الجيد أن يكون لديك محام في المنزل، يا هاري، أعتقد أن موري يشير إلى نقطة جيدة، ربما عليك التفكير في هذا قبل القيام بأي شيء متهور».

هزّ بوش رأسه.

قال: «لن تفلت من هذا أيضاً، ليس لوقت طويل».

انتظر لحظة، ولكن برات لم يقل شيئاً.

قال بوش: «أعلم أنك المسؤول عن الخطة، كل شيء في بيتشوود كانيون كان من إعدادك، أنت من أبرم الصفقة مع عائلة غارلاند، ثم أتيت إلى منزل موريس، الذي أوصل خطتك إلى ويتس، أنت من زيّف ملف الجريمة بعد أن أعطاك ويتس اسماً مستعاراً لإدخاله، قد يكون موريس محقاً بخصوص إدانة الجريمة الجنائية، ولكن هناك ما يكفي من العوائق، وإذا حصلت على ذلك، فعندها سأمسك بك، وهذا يعني أنه لا توجد جزيرة ولا معاش تقاعدي، يا سيدي، ذلك يعني أنك ستسقط إلى القعر».

نقل برات عينيه من بوش إلى المياه المظلمة للمسبح.

قال بوش: «أنا أريد عائلة غارلاند، وأنت يمكنك أن تعطيني ذلك».

هزّ برات رأسه دون أن يبعد عينيه عن الماء.

قال بوش: «إذا، كما تشاء، دعنا نذهب».

أشار إلى برات وسوان للوقوف، أطاعا بوش، أدار بوش سوان حتى يتمكن من تقييده، وأثناء قيامه بذلك نظر إلى خلف كتف المحامي.

«بعد أن نحتجزك، بمن ستتصل لدفع الكفالة؟ زوجتك أم الفتاة من قسم التوظيف والطرد؟».

على الفور، جلس برات مرة أخرى كما لو أنه أُصيب بلكمة مفاجئة، كان بوش يحتفظ بهذه المعلومة من أجل ضربته الأخيرة، وواصل الضغط عليه.

«أي واحدة كانت ستذهب معك إلى الجزيرة؟ إلى طاحونة السكر؟ تخميني هو.. ما هو اسمها؟».

«اسمها جيسي تمبلتون، لقد جعلتك تتعقبني إلى مكانها الليلة».

«نعم، وأنا جعلتك تدعني أقوم بهذا، لكن أخبرني، كم تعرف جيسي تمبلتون بخصوص كل شيء؟ وهل ستكون قوية مثلك عندما أذهب لرؤيتها

بعد أن أحتجزك؟».

«بوش، لا علاقة لها بالأمر، دعها خارج الأمر، وكذلك زوجتي وأولادي».

هزّ بوش رأسه.

«لا تسير الأمور بهذه الطريقة، أنت تعلم أننا سنقلب كل شيء رأساً على عقب، ونهزه لنرى ما الذي سيسقط وينكشف، سأجد المال الذي دفعته لك عائلة غارلاند، وسأربطه بك، وبموريس سوان، وبالجميع، آمل فقط أنك لم تستخدم عشيقتك لإخفائه، لأنه في هذه الحالة ستسقط هي الأخرى».

انحنى برات إلى الأمام على المقعد، وشعر بوش أنه لو لم تكن يداه مكبلتين خلف ظهره، كان ليستخدمهما لإسناد رأسه وإخفاء وجهه عن العالم، تابع بوش الضغط عليه مثل رجل يحمل فأساً يقطع شجرة، بالكاد بقيت واقفة الآن، وكانت بحاجة إلى دفعة صغيرة لتسقط. دفع بوش سوان إلى ريتشل، التي أخذته من أحد ذراعيه، ثم عاد إلى برات.

قال بوش: «لقد أطعمت الكلب الخطأ».

«ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟».

«كل شخص لديه عدة خيارات، وأنت اخترت الخيار الخطأ، المشكلة أننا لا ندفع ثمن أخطائنا وحدنا، فنحن نسحب الناس إلى القعر معنا».

سار بوش إلى حافة المسبح، ونظر إلى الماء، كان يلمع في الأعلى، ولكنه كان مظلماً تحت السطح، وانتظر ولكن لم يستغرق الأمر طويلاً حتى سقطت الشجرة.

قال برات: «لا يجدر بجيسي أن تكون جزءاً من هذا، ولا داعي أن تعرف زوجتي أي شيء عنها».

لقد كان عرضاً افتتاحياً، وكان برات يتحدث، ركل بوش حافة البلاط بقدمه واستدار لمواجهته.

«أنا لست مدعياً عاماً، لكنني أراهن أنه يمكن التوصل إلى حلّ ما».

قال سوان على نحو عاجل: «برات، أنت ترتكب خطأ كبيراً».

مدّ بوش يده إلى برات، وفحص جيوبه حتى وجد مفاتيح سيارته فسحبها.

«ريتشل، اصطحبي السيد سوان إلى سيارة المحقق برات، سيكون من الأفضل إبعاده من هنا، سنكون هناك بعد قليل».

ألقى لها بالمفاتيح، وبدأت في تسيير سوان نحو الفتحة في السياج التي أتت منها، كان عليها أن تدفع سوان، نظر فوق كتفه أثناء سيره ونادى برات قائلاً: «لا تتحدث مع هذا الرجل، هل تسمعني؟ لا تتحدث إلى أي شخص، إذا تحدثت سينتهي بنا الأمر في السجن».

ظل سوان يصرخ بنصائح قانونية من خلال السياج، انتظر بوش حتى سمع باب السيارة يغلق، ثم وقف أمام برات ولاحظ أن العرق كان يقطر من خط شعره وأسفل وجهه.

قال برات: «لا أريد توريط جيسي أو عائلتي، أريد صفقة، من دون دخول السجن، والسماح لي بالتقاعد والحصول على معاشي».

«أنت تريد الكثير بالنسبة إلى رجل قتل شخصين».

بدأ بوش بالإسراع، في محاولة لمعرفة طريقة لجعل كل شيء مناسب لكليهما، عادت ريتشل من خلال السياج، فنظر إليها بوش وكان على وشك أن يسألها لماذا تركت سوان من دون مراقبة.

قالت: «أقفال وقاية الأطفال، لا يمكنه الخروج».

أومأ بوش برأسه، وأعاد انتباهه إلى برات.

قال: «كما قلت، أنت تريد الكثير، ما الذي ستعطيه؟».

قال برات بيأس: «يمكنني أن أعطيك عائلة غارلاند، ببساطة، أخذني أنتوني إلى هناك قبل أسبوعين، وقادني وموريس سوان إلى رفات الفتاة،

يمكنني أن أعطيك إياه على طبق، الرجل قذر مثل...».

لم ينته من كلامه.

«وأنت؟».

أخفض برات عينيه، وأومأ برأسه ببطء، حاول بوش وضع كل شيء جانباً حتى يتمكن من التفكير بوضوح في عرض برات. كان دم فريدي أوليفاس وديبوتي دولان على يدي برات، لم يعرف بوش هل سيتمكن من تمرير الصفقة إلى المدعي العام، ولم يعرف هل بإمكانه تمريرها لنفسه، ولكن في تلك اللحظة، كان على استعداد للمحاولة إذا كان يعني أنه سيحصل في النهاية على الرجل الذي قتل ماري غيستو.

قال: «لا وعود، سنذهب لرؤية المدعي العام».

انتقل بوش إلى السؤال المهم الأخير.

«ماذا عن أوشيا وأوليفاس؟».

هزّ برات رأسه مرة واحدة.

«ليس لهما أي علاقة بهذا الأمر».

«تبرع غارلاند بما لا يقل عن خمسة وعشرين ألفاً لحملة أوشيا، وهذا موثق».

«لقد كان يغطي رهانه فقط، في حال اشتبه أوشيا بشيء، اعتقد تي ريكس أنه بذلك يستطيع إبقاءه تحت سيطرته لأن الأمر سيبدو وكأنه رشوة».

أومأ بوش برأسه، وشعر بحرقة من الإذلال بسبب ما فكره به وما قاله عن أوشيا.

قال برات: «لم يكن هذا الشيء الوحيد الذي أخطأت فيه».

«حقّاً، وماذا أيضاً؟».

«قلت إنني ذهبت إلى غارلاند مع هذه الخطة، ولكني لم أذهب، بل هم من جاؤوا إليّ يا هاري».

هزّ بوش رأسه، لم يصدق برات لسبب بسيط وهو أنه إذا كان لدى غارلاند فكرة شراء شرطي، فإن عرضهم الأول سيكون مصدر مشكلتهم التي هي بوش.

لم يحدث ذلك أبداً، مما جعل بوش يشعر بالثقة في أن المخطط قد وضعه برات أثناء محاولته التوفيق بين التقاعد والطلاق المحتمل والعشيقة وأية أسرار أخرى كان يحتفظ بها في حياته، لقد ذهب بها إلى عائلة غارلاند، وقد ذهب إلى موري سوان أيضاً.

قال بوش: أخبر المدعي العام بالأمر، ربما سيهتم».

نظر إلى ريتشل فأومأت برأسها.

«ريتشل، خذي سوان بسيارة الجيب، وسآخذ المحقق برات بسيارتي، فأنا أريد أن أبقيهما منفصلين».

«فكرة جيدة».

وأشار بوش إلى برات.

«هيا نذهب».

وقف برات مجدداً، وجهاً لوجه مع بوش.

«هاري، عليك أن تعرف شيئاً».

«ما هو؟».

«لم يكن يفترض بأحد أن يتأذى، هل تفهم؟ لقد كانت خطة مثالية من دون أن يتأذى أحد، لقد كان ويتس هو من دمّر كل شيء هناك في الغابة. لو فعل ما طُلب منه، لكان الجميع على قيد الحياة وسعداء، حتى أنت، كنت ستحل قضية غيستو، وتنتهي القصة. هذا ما كان يفترض بالأمور أن تكون عليه».

حاول بوش كبح غضبه.

قال: «حكاية خرافية جميلة، باستثناء الجزء من القصة الذي لا تستيقظ

فيـه الأميـرة أبـداً، ويتجول القاتل الحقيقي بكل سـعادة، الجميع يعيشـون في سعادة دائمة، استمر في إخبار نفسك بذلك، فقد تكون قادراً على العيش مع هكذا قصة في يوم ما».

سحبه بوش بقوة من ذراعه وقاده نحو الفتحة في السياج.

القِسْمُ الخامِسُ

إيكو بارك

36

في الساعة العاشرة صباح الاثنين، ترجل أبل برات من سيارته، وسار عبر الحديقة الخضراء في إيكو بارك إلى مقعد حيث يجلس رجل عجوز تحت ذراعي الحماية لتمثال سيدة البحيرة، كان هناك خمس حمامات ترتاح على كتفيها وواحدة على رأسها، لكنها لم تظهر أي علامة على الانزعاج أو التعب. دفع برات الصحيفة المطوية التي حملها في سلة المهملات الممتلئة بجوار التمثال، وجلس على المقعد بجوار الرجل العجوز، ونظر إلى المياه العذبة لبحيرة إيكو أمامهما. تحدّث العجوز، الذي أمسك بعصا وارتدى بذلة حنطية اللون مع منديل كستنائي في جيب صدره، أولاً.

«أتذكر عندما كان بإمكانك اصطحاب عائلتك إلى هنا يوم الأحد من دون القلق بشأن تعرضك لإطلاق النار من قبل العصابات».

سعل برات لينظف حلقه.

«هل هذا ما يقلقك يا سيد غارلاند؟ العصابات؟ حسناً، سأعطيك نصيحة، الآن هي واحدة من أكثر الساعات أماناً في كل حيّ في المدينة، فمعظم أفراد العصابات لا يخرجون من أسرّتهم قبل انتصاف النهار، لذلك كلما خرجنا بأوامر تفتيش نذهب في الصباح، ونحن دائماً نقبض عليهم في أسرّتهم».

أومأ غارلاند برأسه موافقاً.

«مـن الجيـد معرفـة ذلـك، لكن هذا ليس ما يقلقني، أنـا قلق عليك، أيها المحقق برات، لقد انتهى العمل بيننا، لم أكن أتوقع أن أسمع منك مرة أخرى».

انحنـى بـرات إلـى الأمـام، وتفحـص بعينيـه الحديقـة، درس صفـوف الطاولات على الجانب الآخر من البحيرة، حيث يلعب العجائز الدومينو، ثم تحركت عيناه على طول السيارات المركونة في الرصيف الذي يحدّ الحديقة.

سأل: «أين أنتوني؟».

«إنه يتحقق من بعض الأمور».

أومأ برات برأسه.

قال: «الاحتياطات جيدة».

قال غارلاند: «أنا لا أحب هذا المكان، إنه مليء بالأشخاص القبيحين، وهذا يشملك، لماذا نحن هنا؟».

قال صوت من خلفهما: «انتظر دقيقة، لا تقل كلمة أخرى يا أبي».

اقترب أنتوني غارلاند، أتى من وراء التمثال إلى المقعد عند حافة الماء، ووقف أمام برات، وأشار إليه للوقوف.

وقال: «انهض».

«ما هذا؟».

اعترض برات.

«فقط قف».

نفّـذ بـرات مـا طُلب منه، وأخرج أنتونـي غارلاند عصا إلكترونية صغيرة من جيب سـترته، وأخذ يحركها إلى الأسـفل والأعلى أمام برات من الرأس إلى أخمص القدمين.

«إذا كنتَ ترسل إشارات راديوية فهذا الجهاز سيخبرني».

«هذا جيّد، لطالما تساءلت إذا كان لديّ جهاز لاسلكي، أنت لا تستطيع أن تعرف أبداً مع تلك النساء في تيخوانا».

لم يضحك أحد. بدا أنتوني غارلاند راضياً عن المسح، وبدأ في وضع عصاه السحرية بعيداً، وهم برات بالجلوس.

قال غارلاند: «انتظر».

ظل برات واقفاً، وبدأ غارلاند بتمرير يديه على جسد برات، كان إجراء احتياطياً ثانياً.

«لا يمكن أن أكون متأكداً تماماً مع ماكر مثلك، أيها المحقق».

حرك يديه إلى خصر برات.

قال برات: «هذا مسدسي».

واصل غارلاند البحث.

«هذا هاتفي الخلوي».

انخفضت اليدين إلى الأسفل.

«وهاتان خصيتاي».

ثم نزل غارلاند إلى ساقيه وعندما شعر بالارتياح، سمح لبرات بالجلوس. عاد المحقق إلى مقعده بجوار الرجل العجوز، ظلّ أنتوني غارلاند واقفاً أمام المقعد، وظهره إلى البحيرة، وذراعاه مطويتان إلى صدره.

قال: «إنه نظيف».

قال تي ريكس غارلاند: «حسناً، إذن، يمكننا التحدث، ما الأمر، أيها المحقق برات؟ أعتقد أنه سبق لنا واتفقنا: لا يجوز أن تتصل بنا، ولا تهددنا، ولا تخبرنا بمكان ووقت وجودنا».

«لو لم أهددك، هل كنت ستأتي؟».

لم يرد أي من رجلي غارلاند، فابتسم برات بمكر وأومأ.

«لقد أرحت ضميري».

سأل العجوز: «لماذا نحن هنا؟ لقد أوضحت الأمر تماماً من قبل، لا أريد أن يمس ابني أي من هذا، لماذا يجب عليه أن يكون هنا؟».

«حسناً، لأنني أفتقده نوعاً ما منذ مسيرتنا الصغيرة في الغابة، لدينا رابط، أليس كذلك، أنتوني؟».

ضغط برات على أنتوني الذي لم يقل شيئاً.

«أعني أن رجلاً يقودك إلى جثة في الغابة، أعتقد أنك ستبقى مقرباً منه، لكنني لم أسمع من أنتوني منذ أن كنا في قمة بيتشوود».

قال تي ريكس غارلاند: «لا أريدك أن تتحدث إلى ابني، لا تتحدث إلى ابني، لقد دفعنا ثمنك أيها المحقق، هل تفهم هذا؟ هذه آخر مرة تتصل فيها لتجتمع معي، أنا أتصل بك، أما أنت فلا تتصل بي».

لم ينظر العجوز إلى برات أبداً عندما كان يتحدث، وكانت عيناه تنظران إلى البحيرة، وكانت الرسالة واضحة، لم يستحق برات اهتمامه.

قال برات: «نعم، لكن الأمور تغيرت، إن لم تكن تقرأ الصحف أو تشاهد الأخبار، فيؤسفني إخبارك أن الأمور هناك سارت على نحو سيئ».

ظل العجوز جالساً، لكنه مدّ ذراعيه إلى الأمام، ووضع راحتيه على رأس التنين الذهبي المصقول في الجزء العلوي من عصاه، وتحدث بهدوء.

«وهذا خطأ من؟ لقد أخبرتنا أنت والمحامي أن بإمكانكما ضبط راينارد ويتس، وأخبرتنا أنه لن يتأذى أحد، ووصفت العملية بأنها نظيفة، والآن انظر إلى الورطة».

لبرهة لم يرد برات.

«لقد ورطت نفسك، أنت أردت شيئاً وأنا عرضت الخدمة، بغض النظر عمن ارتكب هذا الخطأ، فالمحصلة النهائية هي أنني بحاجة الآن إلى مزيد من المال».

هزّ تي ريكس غارلاند رأسه ببطء.

قال: «لقد دفعت لك مليون دولار».

ردّ برات: «كان عليّ أن أتقاسمها مع موريس سوان».

«لماذا تقع تكاليف وسيطك على عاتقي».

«كانت الرسوم قائمة على أساس أن يجري كلّ شيء بسلاسة، يتحمل ويتس مسؤولية جريمة غيستو، تُغلق القضية، أما الآن فهناك مضاعفات، وتحقيقات جارية يجب التعامل معها».

«مرة أخرى، هذه ليست مشكلتي، لقد أُبرمت الصفقة وانتهى الأمر».

انحنى برات إلى الأمام على المقعد، ووضع مرفقيه على ركبتيه.

قال: «لم ينتهِ الأمر بعد، يا تي ريكس، وربما يجب عليك أن تهتم لأنه زارني شخص ليلة الجمعة، هل تعرف من؟ إنه هاري بوش، وكانت معه عميلة من مكتب التحقيقات الفدرالي، أخذاني إلى اجتماع صغير مع السيد ريك أوشيا، اتضح أنه قبل أن يقضي بوش على ويتس قال اللقيط الصغير أنه لم يقتل ماري غيستو، لذلك عاد بوش ليكون مصدر قلق لك، يا غارلاند الصغير الأمر كله على عاتقي، لقد أوشكوا على اكتشاف القصة بأكملها، أما بخصوص ربطنا أنا وموريس سوان بالقضية، فهم يحتاجون فقط إلى شخص لملء الفراغات، وبما أنهم لا يستطيعون الوصول إلى سوان، فهم يسعون ورائي، إنهم يضغطون عليّ».

تأوّه أنتوني غارلاند، وركل الأرض بحذائه الباهظ الثمن.

«سحقاً! كنت أعرف أن هذا الأمر برمته...».

رفع أبوه يده ليسكته.

قال الرجل العجوز: «بوش ومكتب التحقيقات الفدرالي لا يهمان، كل شيء يتعلق بما سيفعله أوشيا، وقد تم الاعتناء بأوشيا، فقد دُفِع ثمنه، ولكنه لم يعرف بذلك بعد. بمجرد أن أبلغه بوضعه، سيفعل ما سأطلبه منه، ذلك إذا كان يريد أن يكون نائباً عاماً للمقاطعة».

هزّ برات رأسه.

«بوش لن يتخلى عن هذا، فهو لم يترك الأمر طيلة ثلاث عشرة سنة، لن

يدع الأمر يمرّ».

«إذن، اعتنِ بأمره، هذه هي نهاية الصفقة، أنا اعتنيت بأمر أوشـيا، وأنت تعتني بأمر بوش، دعنا نذهب، يا بني».

بدأ الرجل العجوز في النهوض، مستعيناً بالعصا ليدفع بها نفسه، وتقدم ابنه لمساعدته.

قال برات: «انتظر دقيقة، لن تذهب إلى أي مكان. قلت إنني أريد مزيداً من المال وأنا جاد، سأعتني ببوش، ولكن بعد ذلك أحتاج إلى الفرار والاختفاء، أحتاج إلى مزيد من المال للقيام بذلك».

أشار أنتوني غارلاند بغضب إلى برات على المقعد: «أيها القذر اللعين، أنـت مـن أتـى إلينـا، أنت من خطط للأمر منذ البدايـة حتى النهاية، لقد نفذت وقُتل شخصان، ثم لديك الجرأة لتعود إلينا لطلب مزيد من المال؟».

هزّ برات كتفيه وباعد يديه.

«أنـا أبحـث عـن خيـار هنـا، مثلـك تماماً، يمكنني أن أجلـس متعنتاً مع الطريقة التي تسير بها الأمور وأنا أرى مدى قربها مني، أو يمكنني أن أختفي الآن، الشيء الذي يجب أن تعرفه هو أنهم يعقدون دائماً صفقات مع الأسماك الصغيرة للوصول إلى الأسماك الأكبر، أنا سمكة صغيرة، أما أنتوني، فهل هو السمكة الكبيرة؟ أم أنت».

التفت لينظر إلى الرجل العجوز.

«والسمكة الأكبر؟ هي أنت».

أومأ تي ريكس غارلاند برأسه، فقد كان رجل أعمال براغماتي، يبدو أنه يفهم الآن خطورة الوضع.

سأل: «كم تريد؟ كم تريد لتختفي؟».

لم يتردد برات.

«أريد مليون دولار آخر، وسيستحق الأمر أن تعطيني إياه، فهم لا يمكنهم

الوصول إلى أيّ منكما من دوني، فإذا ذهبت، ضاعت القضية، لذا المبلغ غير قابل للتفاوض، أي مبلغ أقل لن يستحق أن أهرب من أجله، سأعقد صفقة وأغتنم فرصتي».

سأل الرجل العجوز: «ماذا عن بوش؟ لقد قلت إنه لن يستسلم، الآن بعد أن علم أن راينارد ويتس لم يرتكب...».

قاطعه برات قائلاً: «سأعتني به قبل أن أختفي، سأفعل ذلك مجاناً».

مد يده إلى جيبه، وأخرج قطعة من الورق عليها أرقام مطبوعة، ورفعها عبر المقعد إلى الرجل العجوز.

«يوجد على هذه الورقة رقم الحساب المصرفي والشيفرة، كما كان الأمر من قبل».

وقف برات.

«هل تعلم، تناقشا وسأذهب إلى مرسى اليخوت لأقضي حاجتي وعندما أعود أريد جواباً».

مرّ برات بالقرب من أنتوني، اقترب أكثر، تبادلا نظرات تنم عن حقد.



37

تفحص هاري بوش كاميرات التصوير في سيارة المراقبة، فقد وضع مكتب التحقيقات الفدرالي خلال الليل كاميرات في ثمانية مواقع في الحديقة، وتم تغطية جانب كامل من الجدار الداخلي للسيارة بمجموعة من الشاشات الرقمية التي أظهرت العديد من الزوايا البصرية على المقعد حيث جلس تي ريكس غارلاند ووقف ابنه ينتظر عودة أبل برات، وُضعت الكاميرات على أربعة مصابيح في الحديقة، في اثنين منهما وضعت الكاميرات في مشاتل الزهور، في المنارة الوهمية فوق المرسى وفي الحمامة الزائفة على قمة رأس تمثال سيدة البحيرة بالإضافة إلى ذلك، قام الفريق التقني للمكتب بإعداد أجهزة استقبال صوتية تعمل بالموجات الدقيقة وثُبتت على المقاعد، وتم تحقيق عملية المسح الصوتي من قبل الميكروفونات الاتجاهية الموجودة في الحمام المزيف، ومشتل الزهور، والصحيفة المطوية التي رماها برات في سلة المهملات القريبة، جلس مسؤول الصوت التقني الذي يدعى جيري هوتين في العربة، مع مجموعة ضخمة من سماعات الأذن معالجاً التغذية الصوتية من أجل الحصول على أصفى صوت. كان بوش والآخرون قادرين على مشاهدة برات والرجلين من عائلة غارلاند وسماع محادثتهم كلمة بكلمة، كان المدعي العام يجلس وشاشات الفيديو انتشرت أمامه، وكان هذا العرض

مخصصاً له، أما والينغ وبوش فقد جلسا إلى جانبيه، نزع أوشيا سماعاته.

سأل: «ما الذي تعتقدانه؟ سيتصل، ماذا أقول له؟».

أظهرت ثلاث من الشاشات برات وهو على وشك الدخول إلى مرحاض الحديقة، وفقاً للخطة، كان ينتظر حتى تصبح الغرفة خالية ثم يتصل برقم سيارة المراقبة على هاتفه الخلوي، قامت ريتشل بسحب سماعاتها إلى الأسفل حول رقبتها وكذلك فعل بوش.

قالت: «لا أدري، إنها مكالمتك، ولكن ليس لدينا ما يكفي من الاعتراف من قبل الابن في ما يتعلق بقضية غيستو».

أجاب أوشيا: «هذا ما كنت أفكر فيه».

قال بوش: «لا أدري، عندما تحدث برات عنه وهو يقوده عبر الغابة إلى الجثة، لم ينكر أنتوني ذلك».

قالت ريتشل: «لكنه لم يعترف بذلك أيضاً».

«ولكن إذا كان هناك رجل يجلس هناك يتحدث إليك عن العثور على جثة دفنتها ولا تعرف ما الذي يتحدث عنه، أعتقد أنك ستقول شيئاً».

قال أوشيا: «حسناً، يمكن أن يكون هذا حجة أمام هيئة المحلفين، أنا أقول إنه لم يقدم أي شيء أسميه بيان اعتراف، نحن بحاجة إلى المزيد».

أومأ بوش برأسه معترفاً بهذه النقطة.

تقرر صباح السبت أن كلمة برات لن تكون جيدة بما فيه الكفاية، وشهادته بأن أنتوني غارلاند قاده إلى جثة ماري غيستو وأنه حصل على رشوة من تي ريكس غارلاند لن تكون كافية للاستناد عليها في بناء قضية متماسكة، كان برات شرطياً غير مستقيم، وحامت الشكوك بشأن استناد القضية إلى شهادته في عصر كان فيه المحلفون متشككين للغاية في نزاهة الشرطة وسلوكها، وكانوا بحاجة للحصول على اعتراف من كلّ من غارلاند الأب والابن لكي تستند القضية إلى أرضية صلبة.

قال أوشيا: «انظر، كل ما أقوله، أعتقد أنه جيد، لكننا لم نصل بعد إلى

هذا الحدّ، نحن بحاجة إلى الحصول على تصريح مباشر...».

سأله بوش: «ماذا عن الرجل العجوز؟ أعتقد أن برات جعله يتخبط في كل مكان».

وقالت ريتشل: «أوافق على ذلك، إنه غاضب، إذا أعدت برات إليه، أخبره أن يركّز على أنتوني».

بعيداً عن هذا الجدال، كان هناك صوت طنين منخفض المستوى يشير إلى مكالمة واردة، رفع أوشيا، الذي لا يعرف كيف يتعامل مع هذه المعدات، إصبعا إلى وحدة التحكم، وبحث عن الزر الأيمن للضغط.

قال هوتين: «هنا».

كبس زراً ففتح خط الخليوي.

أوشيا: «هذه الشاحنة، أنت على مكبر الصوت».

برات: «كيف تجري الأمور؟».

أوشيا: «إنها بداية، لماذا أخذت وقتاً طويلاً لتتصل؟».

«لقد اضطررت بالفعل لقضاء حاجتي».

أثناء تحدث أوشيا مع برات حول العودة إلى المقعد، ومحاولته مجدداً الحصول على اعتراف من أنتوني غارلاند، سحب بوش سماعات الأذن مرة أخرى للاستماع إلى المحادثة الجارية على المقعد، من الصور الظاهرة على الشاشات بدا أن أنتوني غارلاند يتجادل مع والده، كان العجوز يشير بإصبعه إليه، التقط بوش الحديث من منتصفه.

قال أنتوني غارلاند: «إنه مخرجنا الوحيد».

قال العجوز آمراً: «قلت لا! لا يمكنك القيام بذلك، لن تفعل هذا».

على الشاشة، ابتعد أنتوني عن والده ثم عاد إلى الخلف، وانحنى بالقرب من والده، وهذه المرة أشار بإصبعه، ما قاله كان منخفضاً لدرجة أن ميكروفونات مكتب التحقيقات الفدرالي التقطت فقط غمغمة، ضغط بوش

يديه فوق سماعات الأذن، لكنه لم يستطع سماع ما قال.

قال: «جيري، هل يمكنك العمل على ذلك؟».

أشار بوش إلى الشاشات، وسحب هوتين سماعاته، وذهب للعمل على الأقراص الصوتية، ولكن فات الأوان، لقد انتهت المحادثة السرية بين الأب والابن، وكان أنتوني غارلاند قد استقر للتو أمام والده وأولاه ظهره، كان ينظر بصمت عبر البحيرة. انحنى بوش إلى الخلف حتى يتمكن من رؤية الشاشة التي تظهر زاوية رؤية على المقعد من أحد مصابيح الطريق على حافة البحيرة، كانت الشاشة الوحيدة التي تظهر وجه أنتوني في الوقت الحالي. رأى بوش الغضب في عينيه، لقد رآه كذلك من قبل، ضغط أنتوني فكه بإحكام وهز رأسه، وعاد إلى والده.

«أنا آسف يا أبي».

عندما قال ذلك، بدأ يسير نحو مرسى اليخوت، شاهده بوش يخطو خطوات واسعة نحو باب الحمامات، ورأى يده تدخل سترته، أزال بوش سماعات أذنه.

قال: «أنتوني يتجه إلى حمامات الرجال! أعتقد أنه يحمل مسدساً».

قفز بوش، واندفع من خلف هوتين للوصول إلى باب الشاحنة، الذي كان غير مألوف له، واجه صعوبة في فتح المقبض، خلفه سمع أوامر أوشيا وهو يصرخ في ميكروفون الراديو.

«فليتحرك الجميع! تحركوا! المشتبه به مسلح، أكرر، المشتبه به مسلح».

أخيراً، تمكن بوش من الخروج من الشاحنة، وبدأ بالركض نحو مرسى اليخوت، ولم يكن هناك أثر لأنتوني غارلاند، لقد كان بالفعل في الداخل، كان بوش على الجانب الآخر من الحديقة وعلى بعد أكثر من مئة ياردة، تم نشر عملاء آخرين ومحققين من مكتب المدعي العام في المنطقة بشكل أقرب، ورآهم بوش يركضون وهم يحملون الأسلحة باتجاه المرسى أيضاً، وعند

دخول الرجل الأول، وهو عميل من مكتب التحقيقات الفدرالي، إلى المدخل صدر صوت إطلاق النار من داخل الحمام، أربع طلقات سريعة، علم بوش أن سلاح برات كان فارغاً، كان فقط قطعة للتمويه، حيث كان بحاجة إلى مسدس في حال فحصه، لكن برات كان محتجزاً ويواجه اتهامات، فسلموه مسدساً خالياً من الرصاص.

كما شاهد بوش، انخفض العميل عند المدخل في وضعية قتالية، وصاح: «مكتب التحقيقات الفدرالي!»، ودخل. على الفور تقريباً، كان هناك المزيد من الطلقات ولكن كان لهذه الرصاصات صدى مختلف عن الأربع الأولى، عرف بوش أنها من مسدس العميل. عندما وصل بوش إلى الحمام خرج العميل الفدرالي، ومسدسه إلى جانبه، وحمل جهاز راديو إلى فمه.

قال: «لدينا اثنان سقطا في الحمام، المكان مؤمن».

بعد أن خرج بوش عن مساره، استنشق بعض الهواء وسار نحو المدخل.

قال العميل: «أيها المحقق، هذا مسرح جريمة».

رفع يده أمام صدر بوش، دفعها بوش جانباً.

«أنا لا أهتم».

دخل إلى المرحاض ورأى جسديّ برات وغارلاند على أرضية خرسانية متسخة، وقد أصيب برات مرتين في الوجه ومرتين في الصدر، وأصيب غارلاند بثلاث طلقات في الصدر، وكانت أصابع يد برات اليمنى تلمس كم سترة غارلاند، كانت برك الدماء على الأرض تتدفق من كلا الجسدين، وسرعان ما اختلطت دماؤهما.

شاهد بوش مسرح الجريمة للحظات، وهو يدرس عيني أنتوني المفتوحتين، كان الغضب الذي شهده بوش قبل لحظات قد زال، واستبدله بمظهر الموت الفارغ، خرج من المرحاض ونظر إلى المقعد، جلس الرجل العجوز، تي ريكس غارلاند، متكئاً إلى الأمام ووجهه بين يديه، وقد سقطت العصا ذات رأس التنين المصقول على العشب.

38

أغلـق إيكـو بـارك للتحقيـق، وللمرة الثالثة في أسـبوع تمت مقابلة بوش بشـأن إطـلاق نـار، ولكـن هـذه المـرة كان الفيدراليـون هـم من يتولـون أمر الاستجواب وكان جزؤه هامشياً لأنه لم يطلق أي طلقة. عندما انتهى، سار إلى عربة ماريسكوس التي كانت متوقفة عند الرصيف، وفتحت أبوابها للعمل أمام حشد من المتفرجين خارج الشريط الأصفر. طلب شطيرة قريدس ومشروب الدكتـور بيبـر، وأخذهما إلى إحدى السـيارات الفيدراليـة القريبة، واتكأ على رفرف السيارة الأمامي لتناول طعام الغداء عندما اقتربت ريتشل والينغ.

قالت: «تبين أن أنتوني غارلاند لديه تصريح سلاح مخفي، وظيفته الأمنية تتطلب ذلك».

اتكأت عرضاً على السيارة بجانبه، أومأ بوش.

قال: «أعتقد أنه كان علينا التحقق من الأمر مسبقاً».

أخذ آخر قضمة، ومسح فمه بمنديل ثم كوّر غلاف الألومنيوم الذي جاء مع الشطيرة.

قالت: «تذكرت قصتك».

سألها: «أي قصة؟».

«القصـة التـي أخبرتنـي بهـا عن قيـام غارلاند بتعذيـب الطفلين في حقل

النفط».

«ماذا بخصوص ذلك؟».

«لقد قلت إنه اعتدى عليهما».

«هذا صحيح!».

لم تقل شيئاً، نظرت إلى البحيرة. وهز بوش رأسه وكأنه لم يكن متأكداً مما يحدث.

أخيراً قالت: «كنتَ على علم بشأن التصريح، وكنت تعلم أن بحوزة أنتوني مسدساً، أليس كذلك؟».

لقد كان سؤالاً لكنها قصدته كتأكيد.

«ريتشل، ما الذي تقولينه؟».

«أقول إنك كنت تعلم، لقد عرفتَ منذ مدة طويلة أن أنتوني يحمل مسدساً، كنت تعرف ما يمكن أن يحدث اليوم».

باعد بوش يديه.

«ذلك الأمر بخصوص الطفلين كان منذ اثني عشر عاماً، كيف لي أن أعرف أنه سيحمل مسدساً اليوم؟».

نزلت من الرفرف الأمامي للسيارة واستدارت لمواجهته.

«كم مرة تحدثت مع أنتوني على مر السنوات؟ كم مرة هزمته؟».

ضغط بوش قبضته بشدة على كرة الألمنيوم.

«أنا لم...».

«هل تخبرني أنه في كل تلك المرات لم ترَ مسدسه؟ ولم تتحقق من التصاريح؟ ولم تكن تعلم أن هناك احتمالاً كبيراً بأنه سيحضر مسدساً - وغضبه غير المنضبط - إلى لقاء مثل هذا؟ لو كنا نعلم أن هذا الرجل يحمل مسدساً، ما كنا لننفذ أي خطة في المقام الأول».

ابتسم بوش، لم يكن مسروراً، وهزّ رأسه منكراً ومستنكراً.

«ماذا كان الذي قلته عن المؤامرات الضخمة في ذلك اليوم؟ لم تمت مارلين مونرو بجرعة زائدة، بل استخدم آل كينيدي الرعاع لقتلها، هل علم بوش أن أنتوني سيحضر مسدساً إلى الاجتماع وسيبدأ بإطلاق النار؟ ريتشل، يبدو كلّ شيء...».

«وماذا عما قلته عن كونك محققاً حقيقياً؟».

حدّقت إليه بصرامة.

«ريتشل، استمعي إليّ، لم يكن هناك أي شخص يمكنه أن يتوقع ما حصل، لم تكن هناك...».

«توقّعَ، تأمل، جرى الأمر عن طريق الخطأ - ما الفرق؟ هل تتذكر ما قلته لبرات تلك الليلة بجوار حمام السباحة؟».

«قلت له كثيراً من الأشياء».

أخذ صوتها نبرة حزن.

«لقد أخبرته عن الخيارات التي نتخذها جميعاً».

أشارت عبر العشب إلى مرسى اليخوت.

«حسناً، يا هاري، أعتقد أن هذا هو الكلب الذي اخترت إطعامه، آمل أن تكون سعيداً به، وآمل أن يتناسب تماماً مع مفهومك للمحقق الحقيقي».

استدارت، وعادت إلى المرسى باتجاه المحققين الذين تزاحموا عند مسرح الجريمة.

تركها بوش تذهب، ولم يتحرك لفترة طويلة، مرت كلماتها من خلاله مثل أصوات الأفعوانية الدوارة، الهدير المنخفض والصرخات العالية، ثم ضغطَ كرة ورق الألمنيوم في يده، وأطلقها باتجاه حاوية قمامة بجانب شاحنة ماريسكوس، ولم يصبها بل أخطأ الهدف بمقدار ميل.

39

أتت كيز رايدر من خلال الأبواب المزدوجة على كرسيّ متحرك، وجدت الأمر محرجاً، ولكن تلك كانت قوانين المستشفى، انتظرها بوش بابتسامة وباقة من الزهور اشتراها من بائعة عند مخرج الطريق السريع بالقرب من المستشفى، وبمجرد أن سمحت لها الممرضة بالتحرك، نهضت من الكرسي، عانقته بهدوء كما لو أنها شعرت بالضعف، وشكرته على قدومه لأخذها إلى المنزل.

قال: «سأكون في الخارج في الجهة المقابلة تماماً».

مسنداً ظهرها بذراعه، خرج بها نحو سيارة موستانغ المنتظرة، وساعدها على الدخول، ثم وضع حقيبة من البطاقات والهدايا التي تلقتها في صندوق السيارة، ثم توجه إلى مقعد السائق.

سأل بعد أن أصبح في السيارة: «هل تريدين الذهاب إلى أي مكان أولاً؟».

«لا، فقط إلى المنزل، إنني في غاية الشوق للتمدد في سريري».

«أفهمكِ جيداً».

انطلق بالسيارة، وعاد إلى الطريق السريع، قاد السيارة بصمت، وعندما عاد إلى طريق 134 كانت بائعة الزهور لا تزال في الوسط، نظرت رايدر إلى الباقة في يدها، مدركة أن بوش قد اشتراها منها وبدأت تضحك، انضم إليها

بوش بالضحك.

قالت وهي تلمس رقبتها بيدها: «أوه، تباً، هذا مؤلم!».

«آسف».

«لا بأس يا هاري، أنا بحاجة إلى الضحك».

أومأ بوش موافقاً.

سألها: «هل ستأتي شيلا اليوم؟».

«نعم، بعد العمل».

«هذا جيد».

أومأ برأسه لأنه لم يكن هناك أي شيء آخر ليفعله، وعادا إلى الصمت.

قالت رايدر بعد بضع دقائق: «هاري، لقد عملت بنصيحتك».

سألها: «ماذا كانت النصيحة؟».

«قلت لهم إنه لم يكن لديّ أية طلقة، وأخبرتهم أنني لم أرغب أن أصيب أوليفاس».

«هذا جيد، يا كيز».

فكر في الأمور للحظات.

سألها: «هل هذا يعني أنك ستحتفظين بشارتك؟».

«نعم، سأحتفظ بالشارة... لكن ليس بشريكي».

نظر إليها بوش.

قالت: «لقد تحدثت إلى الرئيس، بعد أن انتهيت من إعادة التأهيل، سأعود إلى العمل في مكتبه، يا هاري. آمل أن لا يزعجك ذلك».

«كل ما تريدين القيام به هو جيّد بالنسبة إليّ، أنت تعرفين ذلك، أنا سعيد أنك ستبقين في الخدمة».

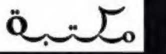
«وأنا أيضاً».

مرت دقائق، وعندما تحدثت مجدداً، بدا وكأن المحادثة لم تفتر.

«علاوة على ذلك، في الطابق السادس، سأكون قادرة على الاعتناء بك يا هاري، ربما أبقيك بعيداً عن جميع السياسات والخداع البيروقراطي، وحده الله يعلم أنك ستظل بحاجة إليّ من وقت إلى آخر».

ابتسم بوش ابتسامة عريضة، لم يستطع كبحها، وقد أحب فكرة أن تكون هناك في الطابق العلوي فوقه، تراقبه.

قال: «أنا أحب ذلك، لا أعتقد أنه كان لديّ ملاك حارس من قبل».



بعد ثلاثة عشر عاماً على اختفاء ماري غيستو في ظروف غامضة، رُجحت فيها فرضية الموت، ظل المحقق هاري بوش يبحث عن الجاني المفترَض ليعرف مصير الفتاة أو على أقل تقدير ليسترجع رفاتها.

ذات يوم يتلقى اتصالاً من مكتب المدعي العام. هذا الاتصال قلب الأمور رأساً على عقب، فقد ظهر القاتل، بعد أن عُثِرَ في سيارته على أشلاء امرأتين مقطعتين. وبعد أن طلبت له النيابة العامة عقوبة الإعدام، عرض محاميه استبدال الإعدام بالحبس المؤبد مقابل أن يخبر الشرطة عن إحدى عشرة جريمة من بينها جريمة مقتل ماري غيستو.

هناك نواجه المعضلة الأخلاقية الأولى في الرواية فعقوبة قتل امرأتين هي الإعدام، ولكن الاعتراف بقتل إحدى عشرة ضحية عقوبته السجن المؤبد.

ولكن المعضلات تتوالى وشكوك هاري بوش تطال الجميع من المدعي العام إلى المحقق المساعد، وتتسع دائرة شكوك المحقق المحنّك لتشمل مشتبهاً به قديماً، تتطور الأحداث بشكل سريع وما كان تحقيقاً واحداً يصبح تحقيقات بعد أن تسيل دماء وتزهق أرواحُ محققين، وهذا ما يحرف مسار التحقيق أكثر من مرة.



ولد مايكل كونللي في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في 21 يوليو 1956. انتقل إلى فلوريدا مع عائلته عندما كان عمره 12 عامًا. قرر مايكل أن يصبح كاتبًا بعد اكتشاف كتب Raymond Chandler أثناء حضوره في جامعة فلوريدا. اختار تخصصًا في الصحافة وفي الكتابة الإبداعية - منهج دراسي كان فيه أحد معلميه الروائي هاري كروز.
مايكل هو المؤلف الأكثر مبيعًا لخمس وثلاثين رواية وعملًا غير روائي. بيع منها أكثر من 74 مليون نسخة من كتبه حول العالم وتُرجمت إلى 40 لغة أجنبية، وتحول العديد منها إلى أفلام هوليودية يُعدّ اليوم واحدًا من أنجح الكُتاب حول العالم.


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

